maktabbah.blogspot.com

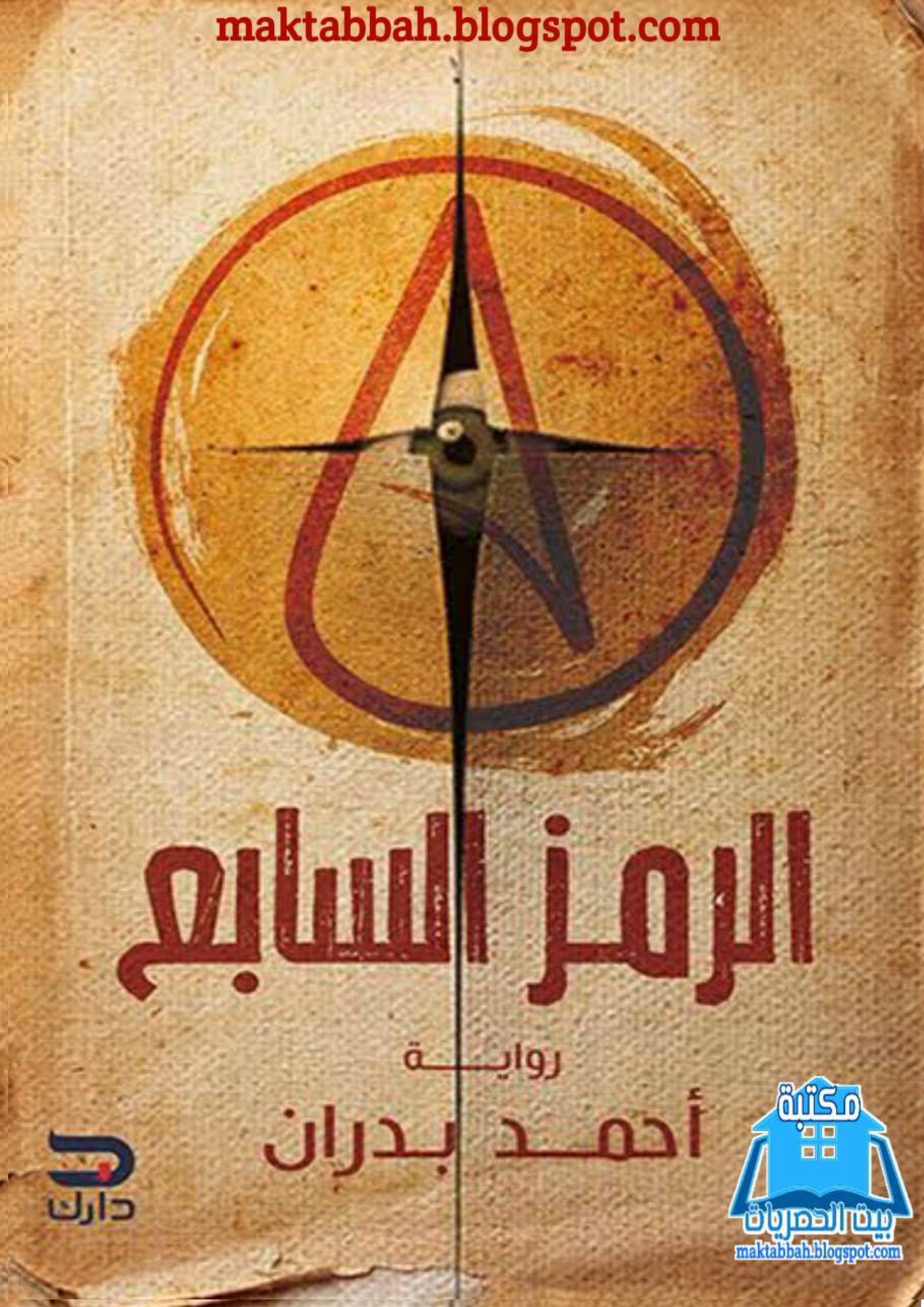

الرمز السابع

رواية

أحمد بدران

مكتبة بيت الحضريات
maktabbah.blogspot.com

الفصل الأول

خريف 1911م - قرب سواحل الإسكندرية

يومٌ آخر معتدل الحرارة صافي السماء، رغم ميول الشمس نحو الأفق الغربى تستحم في بحيرة الشفق، إلا أنها ما زالت تقوى على مد خيوط الدفء لصفحة مياه البحر المتوسط، مستوية ومترامية بلا نهاية يشقها أحدّ أسماك السردين شاردة عن سربها تدنو من السطح لحظات ثم تعاود الغوص في حرية ج تام لم يبدده سوى ذبذبة اهتزاز المياه من حولها، التقطتها أهداب الاستشعار لديها فأنذرتها بدنو جسم ضخم يسبح تجاهها فنكثت عائدة للقطيع وغاص الجميع هربًا من وحش أسطوري متمثل في بارجة حربية يرفرف فوقها العلم البريطاني، تشق الماء في هيبة وثقة، تتهادى صوب ميناء الإسكندرية، مما كان له الأثر في ترك قبطانها موقعه في كابينة قيادتها وتوجهه لغرفة إحدى الشخصيات رفيعة المستوى، طرقَ بابَها عدة مرات، حين جاءه الصوت من الداخل:

- أعلم تيري أننا على مشارف الإسكندرية.

انفتح الباب وأكمل:

- شكرًا لك، أنا مستعد تمامًا.

انحنى الضابط يحيّي المعتمد (هوراشيو هربرت كتشنر) أو (اللورد كتشنر) كما هو معروف. غادر الضابط حين عاد اللورد داخل الغرفة ثم خطا صوب نافذة زجاجية مستديرة يتطلع عبرها لأفق البحر المتوسط البعيد حيث يتلاقى مع السماء مجازًا كدليل بصري حاسم على كرويَّة الأرض، شارد الذهن يسترجع وجوده من قبل في مصر كقائد أعلى للجيش وتكوينه وقتها لأخوية ذات مبادئ هو يعتنقها ثم رحلته إلى الهند وتقلّده منصب القائد الأعلى لجيشها، إلى أن تم استدعاؤه وتكليفه بشغر منصب المعتمد البريطاني لدى الحكومة المصرية بعد

وفاة السير (الدون غورست) ورحيل اللورد (كرومر) من قبله لفشل سياسة الوفاق التي كان يتبعها وأدت إلى تدخّل الخديوي في شؤون الحكم على نحوٍ اهتزت له سيطرتهم على مقاليد الأمور، فأصبحت الأحداث على صفيح ساخن بخطة إنجليزية مُحكَمة تم بها محاصرة خديوي مصر الوطني (عباس حلمي الثاني) وتحييده وإنهاك قوته تمامًا في النضال ضدهم، ثم شق الصف بدفع حزب الوطن الذي أسسه (مصطفى كامل) ومن بعده (محمد فريد) لتشوية صورة (أحمد عربي) في آخر أيامه و اتهامه بجلب الخراب على البلاد، ثم التفتوا بعدها إلى (محمد فريد) نفسه وقاموا بتلفيق تهمة عبثية له، كانت عقوبتها النفي، ثم حان الوقت لمعتمد بريطاني قوي يعيد إحكام السيطرة وبسط النفوذ وإجهاض أي محاولة للنهوض.

عادت الحياة لعينين اللورد، واستيقظ من شروده على صوت نعيق البارجة الحربية إعلانًا بدخولها رصيف ميناء الإسكندرية.

شد جسده وتنفس رحيق الثقة، ثم صعد للسطح ورنا ببصره حيث مراسم الاحتفاء تنتصب على رصيف الميناء، الجميع بلا استثناء في انتظاره، يراقبونه. ينزل سلم البارجة في خيلاء يتبعه أعضاء الوفد وضباط من الجيش الإنجليزي، ما إن وضعوا أقدامهم فوق الرصيف حتى اهتزت الأرجاء بدويٍ عنيف من المدفعية الإنجليزية تطلق أحد وعشرين طلقة تحية للمعتمد البريطاني الجديد، تبسم على إثرها وانتفخت أوداجه فخرًا حتى شرع يغادر الميناء فاهتزت الأرجاء من جديد بأحد وعشرين طلقة مدفعية من الطوابي المصرية أيضًا تحيةً للورد. نفس الطوابي التي بناها (أحمد عرابي) وأتباعه بأيديهم عام 1882م لمقاومة وصد اجتياح الإنجليز بقيادة اللورد (كتشينر) نفسه لشواطئ الإسكندرية وقتها ببسالة نادرة، وبالفعل كبدتهم خسائر فادحة، ها هي الآن تحيي اللورد في بادرة مريرة تنم عن نجاح ساحق لخطة شق الصف.

- مبارك سيدي اللورد.

تبسّم (كتشينر) لمباركة (تيري) الهامسة بعد تحية المدفعية المصرية له، شعر معها أن مهمته ستكون ميسورة دون معوقات، تحدث لضابطه:

- لمَ يأتي ذلك اللعين لمقابلتي؟، أنا لن أنسى تصريحاته عقب (حادثة الحدود) .. لن أرحمه.

تبسم (تيري) يبرر لقائده:

- سيدي، الخديوي عباس حلمي قابع في قصره بالإسكندرية أسير اليأس مكبل الإرادة ينعي حظه الذي أوقعه مرة أخرى مع سيادتكم بعد العداء القديم.

- نعم، لقد تفاجأ بقدومي من جديد، هو لن يتوقع سبب مجيئي المباغت وما أبحث عنه ومن أجله تركت منصبي في قيادة جيش الهند والجيش البريطاني نفسه.

ارتضى اللورد ذلك التبرير ثم طار ذهنه للمستقبل وما يؤرقه من مهمة أخرى أكثر خطورة، ارتبك لتذكرها فغمد يده داخل سترته يسحب ساعة معلقة بسلسلة ذهبية متصل طرفها بالجيب الداخلي للسترة، أشارت عقاربها للسادسة مساءً بتوقيت القاهرة، أعادها حين دنا منه (تيري) يهمس له:

- سيدي، لا تلقِ للأمر بالًا، سنكون هناك فجرًا، المكان قريب من أطراف الإسكندرية، فقط استعد لكلمتك أثناء اجتماع الأحزاب المقرر لسيادتك عقده اليوم.

- لا تيري، أخبِرهم أن اللورد متوعك اليوم وسيؤجل الاجتماع لغد لأنني سأقوم بالإشراف على المهمة بنفسي!!

امتقع وجه (تيرى) لقرار اللورد، تراجع بلا تعليق، لقد خرج عن الجدول الزمني الذي وضعته لندن غير أنه لم يملك الاعتراض.

بعد تسع ساعات

اكتست السماء الصافية بزرقة فجر منير راح يزحف على ظلام ليلٍ غرقت فيه بيوت قرية مصرية فقيرة تابعة لمحافظة لصيقة بمحافظة الإسكندرية فأحاطها سكونٌ وظلامٌ تامٌ، لا يهتك ستره سوى مشاعل كيروسين تتسرب خيوط لهيبها المتراقص عبر شقوق منازل جصية لم ينم أهلها بعد.

- أخذت الدواء لكنها ما زالت تسعل بشدة.

تسربت العبارة عبر شقوق جدار أحد المنازل الساهر أهلها تشي بمريض يتم تمريضة بالداخل.. فتاة صغيرة يجلس على طرف فراشها الرث أبٌ ملتاع وأم مهمومة تضع رأس الفتاة على ساقها لا تملك من الأمر شيئًا.

زفر الأب في ضيق متبرمًا يحمل الفتاة من فوق ساق والدتها.. أزمة ضيق التنفس الناجمة عن أمراض الصدر تحتاج لهواء نقي، هو يعلم ذلك من سابق تجربته مع ابنته (عبير) المريضة ذات الستة أعوام، والأم تعلم ذلك أيضًا فقد أحضرت معطفًا متهالكًا وألقته فوق كتفي الفتاة تدثرها به، غادر الأب المنزل يخطو ببطء فوق الأرض الترابية يهدهد ابنته ويحثها على ملئ رئتيها بالهواء النقي، كان يعرف تاثيره جيدًا على فلذة كبدة التي لم يرزق سواها، محور حياته ونسمات قلبة الرطبة وثروته التي لم يجنِ سواها، بجانب قطعة أرض زراعية صغيرة جدًا يحرثها ويزرعها ويقتات من ثمارها، ساقته قدماه في الظلام بعيدًا حيث أرض جرداء لم تنبت نباتها، شاردًا هائمًا يمزق قلبه سعال ابنته التي أخذ تنفسها في التناقص تدريجيًا كلما تنفست الهواء النقي، التفت يشرع في العودة لكن صوتًا مريبًا نبع من خلف تل قريب أثار في نفسه رجفة وخوفًا، ترددت جوارحه بين خوف من المجهول وفضول جامح استحوذ على قلبه.

تسلق التل حين وقعت عيناه بالأسفل على وادٍ ترابي واسع تحيطه

الأشجار، وعلى مد بصره شاهد منطقة يموج فوقها غبار وأتربة كثيفة مجهولة المصدر، حين ظهر بغته من بين الأشجار رجلين مكممي الأنوف يركضان تجاه فقاعة الغبار حتى غابا داخلها للحظات، وتصاعد هدير محركات ركض على إثرها الرجلان يتواريان من جديد وسط الأشجار، فولّى وجهه شطر أقصى اليسار ليطالع تلك العربات المخيفة التي سماها المصريون عند ظهورها أول مرة قبل عشرين عامًا بـ (العربة التي تجرها الشياطين(نظرًا لعدم وجود دواب تسحبها، كان أول عهد البلاد بالسيارات الميكانيكية التي تعمل بالوقود، وبعدها بأعوامٍ توافدت العربات الميكانيكية على مصر.

لكن لم يُتِح عددها القليل لأهل قرية صغيرة من مشاهدتها، توقفت وسط غبارٍ راح ينقشع رويدًا رويدًا، هبط من السيارة بضعة رجال احتواهم الغبار دقائق، وحين انقشع وجدهم عاكفين أرضًا على شيء ما في أماكن متفرقة، استغرق نصف ساعة يراقبهم في دهشة يقومون بنقل شيء ما للسيارات وما إن انتهوا حتى انطلقوا مغادرين الموقع والقرية بأكملها.. بقي ساكنًا يخفق قلبه وتلهب عقله مخاوف وتساؤلات لا إجابة لها سوى الذهاب لذلك الموقع.

ألقى نظر على ابنته، نسيها مغمضة العينين نائمة في سكون، دثرها أكثر بالمعطف وضمها إليه ثم هبط بها للجانب الآخر من التل، وراح يخطو بحذرٍ صوب الموقع، دنا من آثار متفرقة ومريبة، وقف أمامها حائر الجوارح، يحاول تفسير ما يرى، خوف مبهم دفعه لوأدِ فضوله والتراجع بحرصٍ، حين تعثر واختلّ توازنه، سقط فانفلتت منه ابنته، أجفلت مع سقوطها أرضًا بالقرب من فوهة فجوة صغيرة يتصاعد منها بخار طفيف، راحت تصرخ في ذعر وداهمها سعال حاد، فوجئ والدها بيد تقبض على ذراعه تعينه على النهوض، ويد شخص آخر تحمل ابنته، هرول وانتزع ابنته من يد ذلك الرجل، دار بعينيه في وجوههم ثم استدار وأطلق ساقيه للريح كمن تطارده الشياطين.

الفصل الثاني

الوقت الحاضر

كانت الأجواء هادئة في تلك الساعة المتأخرة من الليل، الإضاءة الساهرة لمصابيح شوارع خاوية تكسو المحيط بضوء باهت تسير على هداه سيارة قديمة يهتك هدير محرّكها ستر سكون تلك المنطقة النائية على أطراف المعادي بالقاهرة الكبرى، حتى توقفت أمام أحد الأبراج السكنية الجديدة، تناول قائدها جريدة مطوية من المقعد المجاور له وترجّل من السيارة وابتلعه العقار ثم حمله المصعد للطابق العاشر، حيث شقة بعينها فتح بابها بمفتاح، وداخلها وتوجه لإحدى الغرف المتسعة حيث بدا أنه معمل بسيط يتوسطه رجل مسن يعكف على جهاز فحص، همس الشاب:

- دكتور عزيز...

لم يجِبه فاحترم الشاب الصمت لحظات، إلى أن فرغ المسن من فحصه فدنا الشاب من مخبار زجاجى مليء بسائل هلامي يستقر وسطه ما تبسم له الشاب، ثم تراجع وهو يشير للجهاز الذي يحتوي المخبار:

- هل اكتشفت أمر ما يحيرك بها!؟

- ليس بعد.. هل عثرت على الجريدة!؟

- نعم، حصلت على نسخة مدفوعة الرسوم من أرشيفهم.

ترك المسن الجهاز أمامه وتوجّه إلى الخارج حيث مكتب تراصّت فوقه بضعة كتب ضخمة، فتحها وحدّا تلو الآخر ينقل بصره بين شيء ما داخلها وبين الجريدة القديمة قائلا:

- جريدة الأهرام إصدار العام السابق يوم السادس والعشرين من مايو.

أشار للشاب الذي يمسك الجريدة قائلًا:

- الآن يا (سعد) افتح الصفحة التاسعة.

أطاعه الشاب وهو يطوي الجريدة على الصفحة المطلوبة، أخذه منه (عزيز) وراح يدقق بظفر في خبر تحته صورة (هذه هي). قطع الخبر والصورة من الجريدة وأعاد ترتيب المجلدات أمامه، ثم نظر للشاب بوجهٍ مُشرقٍ وأعين تتألق بنور الفهم والمعرفة.

- إنها تحمل أربعة أوجه!

بدا أن (سعد) لم يفهم شيئًا، غير أنه آثر الصمت وراح يتابع (عزيز) وهو يقلب خبر الجريدة، راح يكتب جملة على خلفية ورقة الجريدة حين انتفضا إثر صدمة تلقاها باب الشقة من الخارج، ثم صدمة تالية، لملم (عزيز) عدة أغراض ووضعها في خزنة وأحكم إغلاقها ثم حث الخطا لداخل المعمل قائلًا لـ (سعد) دون أن يلتفت إليه:

- كانوا يراقبونك، وفر لي بعض الوقت.

أغلق باب غرفة المعمل، بينما (سعد) دفع بمقعد ثقيل خلف مقبض الباب ووقف يراقب في خوف، تلقَّى الباب عدة صدمات تداعى لها الباب واقتحم الشقة رجل بملامح غربية من ذوي الشعر الأشقر والبشرة البيضاء يشهر سلاحه في وجه (سعد)، ثم أعقبه دخول ما يبدو أنه الزعيم، يخطو غير مبالٍ، سأل (سعد) في استخفاف:

- أين ذلك الكهل!

لم يجِبه (سعد)، جال يفتش ببصره حتى توقف أمام الغرفة المغلقة، فأشار لمساعده فانقض على الباب وحطمه، خلفه كان (عزيز) جالسًا أمام جهاز فحصٍ إشعاعي، جذبه المساعد من ملابسه في غِلظة وخرج به قائلًا:

- سيد هنري..

- دكتور عزيز شاكر.. لقد كنت خيرَ عونٍ لنا ومنحناك ما طلبت، لماذا خنتنا!؟

- صدقني، أنا لا أعرف ما تتحدثون عنه.

تبسم (هنرى) مستخفًا وعقّبَ:

- الآن أعطنى الأداة وكل دلالة تشير إليها، وأعدك بميتة سريعة دون المساس بأهلك، أما لو حاولت المراوغة؛ ستكون ميتتك بطيئة بعد أن ترى كل من تحب يتساقطون من حولك.

تبسم (عزيز) ابتسامة هازئة مريرة قائلًا:

- غرضكم خبيث.

بنفاد صبرٍ أشار (هنرى) لمساعده فاندفع يقتحم المعمل، خفقَ قلبُ (سعد) خوفًا فاندفع خلف المساعد إلى داخل المعمل، ودخلا في صراع تسبب في سقوط المخبار الزجاجي أرضًا وتحطمه، حين رفع (هنرى) سلاحه وقبل أن يطلق رصاصته نحو (سعد) دفعه (عزيز) بوهن، انحرفت له الرصاصة لتصيب رأس المساعد وترده قتيلًا، صوب (هنرى) سلاحه بغِل إلى (عزيز)، غير أن الأخير كان يتابع بأعين متسعة (سعد) وهو يمسك بين أنامله بالأداة ويضعها في حرص داخل مخبار آخر يحوي المادة الهلامية الحافظة، امتقع وجه (عزيز) وشرع في النهوض قبل أن يتلقى رصاصة من (هنرى) ارتد لها أرضًا بصدر تتسع فوقه بقعة دماء، حين عاد (هنرى) يصوب سلاح تجاه (سعد) فاصطدم بصره بفوهة سلاح مساعده في قبضة (سعد) يصوِّبه إليه بيدٍ مرتعشة، شرع يرفع سلاحه بسرعة لم تكن كافية، سبابة (سعد) كانت أقرب .

رصاصة من سلاح مهتز تفجَّرت في قلب (هنرى) تراجع لها في ذهول قبل أن يتهاوى أرضًا، تجمد المشهد لحظة قبل أن تداهم (سعد) موجةً مِن الضعف المباغت، اعتقدَ للحظة أن رصاصة (هنري) أصابته، غير أن جسَدَه كان سليمًا، رنا ببصره صوب (عزيز) الملقى أرضًا يحتضر ويشير

للمخبار، يقول بصوت مبحوح:

- ما سيحدث لك...

بأصابع واهنة أشار صوب الخزينة وهمس بتلعثم الموت:

- علاجه.. المصدر.

ثم أسلم الروح، حين خارت قوى (سعد) بدوره، فتهاوى جواره أرضًا دون حراك.

***

لم تكن المرشدة السياحية (ليلى عبد الظاهر) تعلم تحديدًا أين هي، أو كم الساعة، بل والأدهى أنها لم تكن تعلم كيف وصلت إلى ذلك المكان المظلم الكئيب، كل شيء كان يشي بكونه ذلك الكابوس المخيف الذي يتكرر معها منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر، كانت تعلم ما هو المشهد التالي تركض هربًا من المجهول عبر أروقة بناء مظلم مجهول، يتناهى إلى مسامعها صرخات طفلتها (ريم) من إحدى الغرف العلوية، ظلت تركض. يتردَّد الخوف في صدرها مع تنفسها، عبثت الظلمات بحواسها، كلما شعرت أن الصوت ينبع من غرفة، اقتحمتها فكانت خاوية، تصاعد لهاثها وراحت تبكي في يأس، كآبة المكان تعتصر صدرها.

كان كابوسًا مع حالة جاثوم جعلها تتصلب وهي نائمة، تشعر بملمس الفراش تحت كف يدها غير أن ذراعيها كما لو انغرستا داخل قالب من الإسمنت جاهدت لتصرخ دون جدوى، ودون مقدمات تحرَّرت من حالة التصلب ونهضت تصرخ لاهثة فوق الفراش وسط غرفتها، مرت لحظة استيعاب ثم قفزت حافية القدمين صوب غرفة ابنتها، فتحت الباب بحرص ورنت ببصرها للداخل حيث ما تخشاه دائمًا، ابنتها التي لم تتجاوز عامها السابع، تجلس فوق مقعدٍ أمام بيانو ضخم يحتل أحد أركان غرفتها، عيناها تتنقلان فوق أزراره مع أصابعها بينما الألم والشقاء باديان على وجهها المحتقن.

(ريم) ابنتها، مؤشر الحياة لديها وسرُّ روحها، بعد أن كانت مفعمة بالحيوية والسعادة والنشاط، تبدَّل حالها وأصبحت منذ ثلاثة أشهر طيفًا بلا روح، لم تعد تتفاعل مع مؤثرات الحياة، انفطر لحالها قلوب الجميع، لم تكن تتنبأ في أبشع كوابيسها أنها ستفقد ابنتها رغم كونها بين ذراعيها، الأطباء لم يجدوا أي مرض عضوي سوى ضعف حاد في مناعتها وخلاف ذلك اجتمع الأطباء النفسيون على أن ما أصابها نتيجة ضغط نفسي عند تعرضها لذلك الحادث، أدى إلى انفصالها عن الواقع في حالة تشبة التوحد غير أنها أكثر ضراوة وشدة.

- ريم حبيبتي ماذا تفعلين؟

قالتها الأم بقلب انفطر حزنًا، لم يصادف أي ردة فعل، دنت منها، وضعت أناملها على كتفها الدقيق تستجدي وعيًا لم يكن بالجوار، فقط استمرت الفتاة في العزف على أزرار البيانو، تصدر عنها تأوهات متألمة، ضيقت شفقة ملتاعة بين حاجبي والدتها، ابنتها تتألم دون مبرر والأدهى أن هناك آثارًا محتقنة فوق ذراعيها وجبينها تنبت من العدم كما لو أن قبضات خفية تعمل عليها، ثم بلا مقدمات سقطت الفتاة مغشيًا عليها. أعادتها (ليلى) إلى الفراش حيث راحت تهدأ تدريجيًا، ظلت ترمقها بحسره ثم تهاوت كمدًا على أقرب مقعد، دمية ماريونت انقطعت خيوطها.

***

كان يعلم أنه تأخر على موعد اصطحاب ابنته من المدرسة بسبب حادث سير سخيف ورطه في مشادة ومهاترات أهدرت وقته، كان يوم واحد فقط سيصحبها للمنزل لانشغال والدتها غير أنه أخفق في الوصول في موعده، انطلق بسيارته يلعن السائق الآخر، وحين بات على مسافة مائة متر من بوابة المدرسة، أمعن النظر صوب سيارة سوداء تقف هناك، جوارها أحد الرجال بحلة رسمية يحث ابنته لدخول السيارة بينما الفتاة شرعت تبكي وتتملص منه، أدخلها قسرًا إلى المقعد

الخلفي لحظة وصوله بسيارته، ناداها في لوعة، ركض صوب السيارة التي انغلقت أبوابها وانطلقت بالفتاة، جن جنونه وعاد راكضًا وقفز داخل سيارته غير مصدق ما يحدث، لم ترجح في عقله فكرة تعرض ابنته للاختطاف أمام عينه، لاحق المختطفين بسرعة جنونية حتى كان قاب قوسين من التقدم عليهم، مما دفع سيارة المتخطفين إلى مناورة يائسة، وبعدها قرروا ما انخلع له قلبه عندما خففوا من سرعتهم وانفتح باب السيارة الأمامي وألقوا ابنته خارجها وانطلقوا هاربين، تدحرجت الفتاة قليلًا حتى استقرت على وجهها دون حراكٍ، توقف بسيارته وركض إليها ثم انكفأ على ركبتيه وقلب جسدها فطالعه وجهها يعتليه خدوش طفيفة، احتضنها في لوعة، حملها من الأرض ومسح على شعرها، لا بأس محاولة اختطاف فاشلة وابنته بين يديه، قَبَّل جبينها بينما عيناه تراقبان بتوجُس حَذِر نظرتها إليه، لقد دخلت في حالة صدمة.. تصاعد رنين راح يطرق عقله بلا توقف، حتى تشوَّه المشهد داخل حلمه وتصاعَدَ وعيُه بفعل رنين الهاتف، حادَّ قابِس ينغس مخُّه بمخياط سحبه إلى واقع يلح عليه للاستيقاظ قسرًا.

انتفض وشهق، كان حلمًا جسَّد واقعًا مر عليه أقل من ثلاثة أشهر انطبع في مخيلته ونُحتَ بسكين حاد فوق قلبه فبات كابوسًا يلاحقه في منامه، بقلبٍ منقبض امتدت يدُه المخدرة جواره يلتقط هاتف يعوي بلا انقطاع، بأعين طمسها النوم أبصر على شاشته عميد (فوزي) تصاعد لعقله تساؤل عن سبب اتصال ذلك الضابط الآن، نفث ما تبقى من كابوسه وأجابه بصوتٍ ناعسٍ متحشرج:

- مرحبًا!!

أتاه صوت رئيس مباحث قسم شرطة المعادي مفعم بالنشاط على نحو مستفز وكأنه وقت الظهيرة:

- دكتور فريد، أعتذر عن إيقاظك الآن، أنا في موقع جريمة قتل متعددة الأطراف بالمعادي، وكنت أريد انتقالك رسميًا لموقع الحداث.

زفر (فريد) وتحدَّث بصوت ناعس:

- الأمور لا تأتي هكذا يا سيادة العميد، يجب أن يتم تكليفى من هيئة الطب الشرعي.

- أنت تعلم المادة 429 التي تجيز طلب انتقال الطب الشرعي لمسرح الجريمة في حالة كونها هامة وكبيرة إذا ما ارتأت المباحث ذلك، وفيما يخص تكليفك من الهيئة فالإجراءات ستتم في كل الأحوال بعد بضع ساعات، لكني هاتفتك شخصيًا.. أريدك هنا سريعًا قبل أي أحدٍ.

- صدقني لن أبرح مكاني إلا بتكليف رسمي من الهيئة وهو ما لم يتم بالتأكيد قبل العاشرة صباحًا.

تنهد (فوزي) وتحدَّث بلهجة المضطر:

- حسنًا، ليس هذا السبب الوحيد لاتصالي بك، أريد أن أعرف أولًا هل اسمك هو (فريد عبد الجليل البتاتوني)

- ما الأمر يا سيادة العميد، هل توقظني فجرًا لتسأل عن اسمي!؟ نعم هو كذلك، ماذا الآن!؟

صمت (فوزي) لحظات وهو يبحث عن الكلمات المناسبة:

- يوجد شيء مريب في مسرح الجريمة أعتقد أنه يخصك شخصيًا.

تسرب شعاع الوعي لذهن الدكتور (فريد)، فتساءل:

- كيف يوجد أمر شخصي يخصني في مسرح جريمة قتل سوى عملي في الطب الشرعي؟!

- ثِقْ بكلماتي يا دكتور، إنه يخصك من جانب آخر، أو لوشئت الدقة، فهو يخص أحد أحبائك.

مرت لحظة صمت على (فريد) يقلب المعلومة الجديدة في رأسه، هل هي محاولة من العميد لدفعه للنزول أم أن هناك خطبًا ما حقًا!

مرت لحظة صمت على (فريد) يقلب المعلومة الجديدة في رأسه، هل هي محاولة من العميد لدفعه للنزول أم أن هناك خطبًا ما حقًا!

- حسنًا سيادة العميد، أعطني العنوان وأرجو أن يكون الأمر ذا قيمة حقًا.

- عظيم، شارع 23 عقار (...) بالمعادي.

جلس (فريد عبدالجليل) على طرف الفراش بعد أن أنهى مكالمته مع ذلك الضابط المزعج كعادته، حقيقة هو ضابط ذكي ومجتهد وكان تعاونهما مثمرًا للغاية على نحوٍ لا يمكن نسيانه، حتى لو مرَّ على القضية عامان تقريبًا دون أي تواصل بينهما، لكن ما يقوله حول كون الأمر شخصيًا يبدو نوعًا من العبث.

أطلقَ سُبة ثم التقط من فوق كومود زجاجة مياه نصففارغة تجرع منها دفعة وسالت قطرات عبر شدقيه إلى صدره، التقط حافظة سجائر معدنية مزخرفة بنقوش فرعونية بارزة زادتها صلابة وثقلا، فتحها وأزاح حافظ الفلاتر وكيس التبغ والتقط سيجارة وحيدة متبقية من سجائر أعدَّها بالأمس، أشعلها وراح يزفر همومه مع دخانها، مسح وجهه يلعن اليوم الذي عمل فيه طبيبًا شرعيًا. خسرَ معه أكثر مما كسب، التفت آثر تلك الفكرة صوب حامل بإطار مزخرف يتكئ فوق الكومود يحتوي صورة ابنته، فتاة ذات سبعة أعوام تضحك بشدة فتتوارى عيناها البنيتان وسط وجنتيها ناصعتي البياض يحيطهما خصلتا شعرٍ له لون عينيها. نبتت ابتسامة حانية على ملامحه، تنهَّد في اشتياق واسبل جفنيه تعتصر روحه الوحدة وتزيده بؤسًا.

زفر شقاؤه، ونهض ينتعل مداس ترنح فوقه حتى الحمامِوأمام المرآة تخللت أصابعه خصلات شعره الأسود الطويل المتموج فوق جبينه، أعاده وسط جماعته، تطلَّع لأعين مرهقة تسلقتها شعيراتٌ دموية كمدًا، تحسس منابت لحية قصيرة، استجدى لحلاقتها عزمًا لم يصادف هوى في نفسه فتركها في سلام وانغمس أسفل مياه باردة انسابت على

جسده استفاق لها عقله كليًا، خرج بعدها في عجالة لغرفة نومة وقف أمام الدولاب ينتقي سترة خريفية احتوت قميصًا تركه خارج بنطال جينز، ملابس بالكاد تناسب طبيبًا شرعيًا في طريقه لمسرح جريمة لكنها منطقية مع رجل ما زال يقطع الأمتار الأخيرة في العقد الثالث، دسّ قدميه داخل جوربَين بالكاد وجدهما متشابهين ثم الهاتف، سلسلة المفاتيح، نظارته الطبية فوق أنفه ونظارته الشمسية داخل جراب، حافظة السجائر داخل جيب سترته الداخلي، لفظته شقة عائلة متوفاة يعيش فيها وحيدًا، فالتهمه مصعدٌ هبطَ به ثمانية أدوار في تسع ثوانٍ كئيبة عبر بعدها شارعًا جانبيًا يقبع وسط حي شبرا الخيمة. مأواه الوحيد بعد تَزك شقته في التجمع الخامس لزوجته ومعها صغيرته المريضة، ضريبة عمل يستدعيه في أي وقتٍ سددها من فاتورة اهتمامه بابنته وزوجته فخذلهما أكثر مما أسعدهما.

قفز داخل سيارته (الجيب)وانطلق بها عبر شوارع ناعسة طوال الطريق شاردًا غارقًا في غمرات من ذكرى مشاحنات عقب مرض ابنتهما، صدمة زلزلت كيانهما وزادت علاقتهما توترًا على توتر بالأخص بعد أن فشل الأطباء في دفع حالة ابنتهما للتحسن، اتفقا على مساحة وفراق مؤقت وذلك ساهم في ارتفاع معدل الجفاء بينهما، وصارت علاقتهما كئيبة فاترة بهتت تدريجيًا حتى انقطع حبل الفؤاد.

انتفض على إثر سيارة مسرعة مرت جواره تدفق لها مليمترات من الأدرياناليين في دمه فأعاده للواقع، جال ببصره وحدد موقعه الحالي لا يدري كيف انقضى الوقت، فهو على مشارف شارع 23 كما يعتقد بالنسبة لحي المعادي متشابهة الشوارع على نحو مستفز، خفف من سرعة سيارته حين أبصر سيارة شرطة رابضة أمام عقار غير بعيد تومض أضواؤها وتنعكس على سيارة إسعاف فاغرة فاها تنتظر ضحية، سكان محتشدون يقطر الفضول من أعينهم ويتحدث بعض المتحمسين مع رجال المباحث .

توقف خلف سيارة الشرطة وهبطَ يبحث ببصره عن العميد (فوزي عبد

الدايم)، رغم أنهما لم يعملا معًا غير مرة واحدة ولكنه عاد الآن بعد عامين يطلبه فجرًا. خطا (فريد) تجاهه يرخي جفنيه كنايةً عن النعاس والتململ فتبسم (فوزي):

- نشيط كعادتك دكتور فريد.

كظم غيظه وتبسّم، وقبل أن يتساءل أشار إليه (فوزي) يحثه على التقدم صوب سيارة إسعاف كانت على وَشْك غلق أبوابها، أشار لشخص بالداخل ممدَّدًا فاقد الوعي تتصل به أجهزة إنعاش:

- الناجى الوحيد من الحادث.

سأل (فريد) المسعفين عن إصابته، مطَّ أحدهم شفتيه وهز رأسه في حيرة:

- الفحص الظاهري لجسده سليم، لم نكتشف بعد سبب غيبوبته.

أومأ (فريد) برأسه فأشار (فوزي) للمسعفين فاغلقوا الباب الخلفي وانطلقوا به للمستشفى.

- كم عدد الضحايا بالأعلى؟

- ثلاثة قتلى.. سأجلب لك قهوة من تحت الأرض فالأمر جَدَ محير.

- دعنا نرى؟

دلفا المصعد وضغط (فوزي) زر الطابق العاشر بينما (فريد) يسأله:

- كيف حال ابنك، أذكر أنك كنت في حيرة من أمرك حول الكلية التي تريده أن يلتحق بها!

جز (فوزي) على أسنانه عبثًا ثم قال:

- إنه في عامه الجامعي الثاني وأدفع له أموالًا طائلة نفقات تلك الكلية العملية وبالأخص ذلك القسم المعقَّد الذي اختاره.

تبسم (فريد) قائلًا:

- لقد تركت له حرية اختيار ما يحب، سيكون ممتنًا لك كثيرًا.

مط شفتيه في عدم اقتناع:

- لقد دعمته في ذلك والدته، أتمنى أن يفلح.

لاحت عينا (فريد) بابتسامة راح يقاومها، التقطها (فوزى) فعاجله قائلًا:

- اضحك يا دكتور، نعم ما زالت والدته متسلطة، ومازلت أتجنب معاندتها قدر المستطاع.

نفى (فريد) تهمة الضحك بحجج واهية بينما كان عقله يسترجع شكوى (فوزى) من تسلط زوجته، أنقذه وصول المصعد للطابق العاشر، خرجا منه إلى باب شقة مفتوح رصد في صالتها الخارجية رجلين من معمل الأدلة الجنائية يمسك أحدهم بفرشاة تنشر غبار (البوليمرات) على مقبض الباب ثم يتبعها بلصق شريط مطاطي على المقبض ونزعه مطبوعًا داخله بصمات أصابع، ويلتقط الآخر فوارغ رصاصات بمبضع ويضعها في اكياس بيلاستيكية صغيرة، وداخل غرفة جانبية واسعة استلقت جثتان متوسطتا الأعمار بملامح غربية مدرجين دماؤهما إثر طلقات نارية، ثم أشار العميد (فوزي) صوب غرفة مكتب جانبية يتصدرها مكتب صغير وفوقه خزينة حديدية صغيرة ويرتمي جوار المكتب جثة مسن، بدا واضحًا أن المكان كان ساحة قتال. أشار (فوزي) للمسن:

- وجدنا جواز سفره وسط أغراضه ويُدعى عزيز شاكر، 66 عام، جرَّاح رمد مصري، شهير وعالمي وله جراحات ناجحة في مصر ومعظم دول أوروبا، سكنه وعيادته بحي مصر الجديدة في القاهرة، أما هذه الشقة فكانت لغرضٍ ما لا نعلمه، ولم يكن يزوره أحدٌ سوى الشاب الذي حملته الإسعاف منذ قليل، ووفقًا لأختام الدخول والخروج من المطار فهو

سافر للندن ومكث هناك ثلاثة أشهر ثم عاد منذ أسبوعين، وهي نفس فترة استئجاره للشقة. أشار للجثث مكملًا:

- بلا بطاقات هوية.. نعتقد أنهم بريطانيون، أبلغناسفارتهم وسيتحققون من الأمر، لكن بعد أن تقضي أنت أوقاتك السعيدة بصحبة الجثث.

بدت الأمور إلى (فريد) تقليدية أكثر مما ينبغي، رشق (فوزى) بنظرة تساؤل مازجَهُ الشك:

- ما الأمر الخطير الذي يستدعي انتقال الطب الشرعي لمسرح الجريمة.

أشار (فوزى) لجهاز فحص بالأشعة يقبع أسفله دورق زجاجي رماي اللون ممتلئ بسائل لزج يسبح داخله عين بشرية كاملة:

- هذه العين الغريبة هي أحد أسباب استدعائي لك.

بمنديل ورقي حمل (فريد) الدورق الزجاجي وقرَّبه من وجهه يتفحص العين ظاهريًا، عين بشرية عادية، كرة مطاطية انتشرت عبرها الأوردة الحية تحمل عدسة وقرنية يخرج منها طرف كان يعرف أنه العصب البصري الذي يربط العين بالمخ.

التفت إلى (فوزى)، مطَّ شفتيه:

- أعترف أن الأمر مريب بعض الشيء، إن حدقة تلك العين البشرية تضيق وتتسع استجابة لضوء.

- وبماذا تفسر ذلك؟

- الأنسجة الحية لا تصمد خارج الجسد لأكثر من أربعساعات إذا ما وضعت في محلول مغذّى كما هذا، إن هذه العين هي الشيء الحي الوحيد هنا.

أرخى العميد (فوزي) جفنيه ثم أطلق شبة اعتراضية:

- إذا سأقبض على العين وأقوم باستجوابها.

تبسم (فريد) ثم مطّ شفتيه وأضاف:

- لا بأس في كل الأحوال سوف أقوم بفحصها، لكن....

كور (فريد) إحد وجنتيه وهز رأسه بالنفي متململا، شرع يعيد التساؤل، حين اصطحبه (فوزي) صوب مكتب (عزيز) من جديد وعاجله قائلا:

- تتحقق لي اولًا من توقيت وفاة عزيز.

تحقق (فريد) من وريد بلا نبض، أخرج شريطًا لاصقًا من حقيبته وضعه على جبهة الجثمان، لحظات ثم سجل قراءة حرارته (34.5

تفقد مدى تيبس بروتين الاكتين والميوسين في عضلات الفك ثم التفت إلى (فوزي):

- متوف منذ ساعتين ونصف تقريبًا!

أوماً (فوزى) برأسه موافقًا وفسر ما يدور بخلده:

- الحارس أقرّ أن صوت الرصاص جاء في الثانية صباحًا،وفحصك يشير أنه توفى في الثانية والنصف، لقد كان أمام عزيز وقت قبل احتضاره، وبدلًا من أن يبحث عن أحد ينقذه، جاء من المعمل إلى مكتبه وفق خيط الدماء على الأرض.

قام (فوزى) بإدارة عدة مجلدات متراصة فوق سطح مكتب (عزيز) بحيث يواجه أسماء المجلدات (فريد)، تألفت كعوب المجلدات لتكون اسم السلسلة والمؤلف، قرأ (فريد) بصوت مسموع:

- موسوعة (المناظر) تأليف (أبو علي الحسن ابن الهيثم)

التفت إلى (فوزى) وأكمل:

- إنها سبعة مجلدات كتبها مؤسس علم البصريات (الحسن بن الهيثم)، وضع أعظم أبحاثه واكتشافاته بها، ينقصها المجلد السابع لكنني أعرفها جيدًا.

تسائل (فوزي):

- لماذا في رأيك عاد إليها عزيز وهو يحتضر تتقاطر منه الدماء!؟

مطَّ (فريد) شفتيه في حيرة، فقام (فوزى) بفتح المجد الثاني في موضع قلم داخله وعقب:

- هذا القلم كان في موضعه هنا عند صفحة (37) والمقال بعنوان (الإدراك البصري).

تقافزت أعين (فريد) على محتوى صفحة عادية من أبحاث ابن الهيثم، كاد يفرغ منها قبل أن يعيد النظر في طرف الصفحة قائلًا:

- يوجد هنا رقم (20) مكتوب بخط دقيق جدًا، ربما يرشدكم لمعرفة أهمية المجلدات.

دقق (فوزى) النظر للرقم، واعتدل مفكرًا:

- إنه مجرد رقم!!

سحب (فريد) المجلد الثالث وقلب صفحاته وتوقف عند أحدها لحظات شارحًا في تردُّد:

- لعلها إشارة لصفحة في المجلد التالي.

دنا (فوزي) من المجلد الثالث المفتوح على الصفحة (20) ودقق النظر للرقم الجديد المكتوب على هامشها حيث يشير (فريد) لرقم (31 (مكتوب بخط اليد الدقيق أيضًا يصعب ملاحظته، مما دفع (فوزي) لسحب المجلد الرابع وفتح صفحة (31) حيث وجدا في نفس موضع

طرف الصفحة رقم (14)، ناوله (فريد) المجلد الخامس على صفحة (14) مكتوب داخلها رقم (2) وبنفس الحماس وجدًا في صفحة (2) بالمجلد السادس رقم (30).. سادت لحظة صمت قطعها (فريد):

- يبدو أنه كان عاكفًا على حلّ متوالية ما، ينقصنا المجلد المتبقي ليكتمل رمزها السابع!

اقتضب (فوزى)، دار حوله وأجاب:

- سنجده حتمًا، وأثناء ذلك ستقوم أنت بتشريح الجثث.

أشار إليه (فريد) إعراضًا:

- ليس اليوم يا سيادة العميد لدي موعد هام في العاشرة.

- حسنًا، اكتفِ بفحص عزيز، على أن تبدأ مع الباقين آخر اليوم أو صباح الغد، وسأقوم بإنهاء إجراءات تكليفك رسميًا.

نظر(فريد) لساعة هاتفه حيث أشارت ارقامها للسادسة صباحًا، ميعاده في العاشرة صباحًا، لن يفوته حتى لو قامت جثة (عزيز) الآن ورقصت على أنغام موسيقى المامبو، بدا التأفف على وجهه ثم تنهد في ضيق فأومأ موافقًا على مضض، حين أشار (فوزي) لرجال الإسعاف فانقضّا بمحفاتهم يحملون الجثث إلى سيارة الإسعاف، أخرج (فريد) حافظة سجائرة المعدنية هولندية الصنع، منح واحدة للعميد وواحدة لنفسه، راح (فوزي) ينفث شعور بالحيرة، نظر لوجه (فريد) مشفقًا على نحو أثار دهشة (فريد)، قبل أن يباغته بسؤال:

- هل ابنتك بخير يا دكتور (فريد)؟!

تعالت الدهشة وجه (فريد)، جاوبه في ريبة:

- مريضة قليلًا.. ميعاد العاشرة هو لاصطحابها للتنزه، ثم لدينا موعد مع طبيبها.

لاح في عين (فوزى) قلق وسأله:

- مما تعانى!؟

بحذر مازجته ريبة تزايدت على وجه (فريد) أجابه:

- نعتقد أنه مرض نفسي و... (فوزي) ما الأمر!؟ ما الذي دفعك للسؤال عن ابنتي هكذا فجأة!؟

بدا أن (فوزى) تتنازعه الأفكار، قبل أن يغالب تردده، أشار لأحد رجال الأدلة الجنائية فدنا منه بمجموعة أكياس صغيرة من البلاستيك تحوي دلائل وأغراضًا، سحب (فوزي) من وسطها كيس بعينه وأخرج منه ورقة مقطوعة من جريدة بحجم كف اليد، أدارها أمام وجه (فريد):

- قصاصة الجريدة كانت أسفل المجلدات، هل هي حقًا كما اعتقد!؟

بُهت (فريد) وضاقت عيناه، تناول الورقة ودقق فى الصورة بأعين متعجبة مرت سريعًا على خبر في جريدة، رنا ببصره إلى عين (فوزي) المترقبة تستجدي تأكيدًا، أتاه على هيئة إيماءة من رأسه وصوت خرج مختنقًا:

- نعم.. هي.

***

(الساعة الثامنة صباحًا.. الدكتور (فريد عبدالجليل).. حالة عاجلة استدعت العمل مبكرًا)

وسط حجرة التشريح الواسعة داخل المشرحة الحكومية رفع دكتور (فريد) جهاز تسجيل صغيرًا أمام فمِه وقام بتوثيق التاريخ، ثم أكمل: (وجدنا في مسرح الجريمة عينًا بشرية محفوظة داخل مخبار يحوي سائلًا هلاميًا يمدها بالتغذية اللازمة لحفظها حية).

ارتدى قفازين من المطاط وترك حرفيهما يفرقعان فى رسغه، فتح المخبار وأخرج العين بماسك طبي ثم مضي بها نحو منظار ضوئي، رفع

قدرته على التكبير وراح يستعرض مكونات عينٍ كان يأمل أن يجدها مجرد عين إلكترونية متطورة، لولا أن خاب ظنُه بأنسجة خلوية حيه، عدسة، قرنية، قزحية، جسم هدبي، شبكية، خلايا مخروطية، فاضاف عبر المسجل: (إنها عين بشرية كاملة).

التقط مبضع رفيع للغاية كشط بها 10 ميكرومتر من الأنسجة. مسحها فوق شريحة فحص، أسفل مجهر إلكتروني راح يضبط عدسته بدت له صورة واضحة لخلايا حية تسبح داخلها كروموسومات (DNA) حاملة للمادة الوراثية. شرع يرفع عينه لولا أن عاد يحدق لعدسة المنظار نحو مادة وراثية بدت تشوبها بعض اختلافات ظاهرية لم يدرك مع الفحص الأوّلي كنهها تحديدًا. أعادها داخل المخبار فسبحت داخل سائلها المغذى حين تحدث لنفسه (لا يمكن أن يصمد عضوٌ حيويٌ خارج الجسد كل هذا الوقت حتى تحت أفضل الظروف!)

التفت لمساعده ومد يده إليه بعينه من العين، وعينه من لعاب (عزيز) قائلًا:

- دكتور محمد، أرسلهما للمعمل لإجراء تحليل DNA

أطاعه المعاون بينما عيناه تتنقلان بين عينين (عزيز) داخل محجريهما وتلك العين الثالثة، هل نحن أمام رجل بثلاث عيون!

انتظر خروج المساعد وأكمل التسجيل: (أمامي فوق منضدة التشريح جثة جراح العيون (عزيز شاكر)، ذكر 66 عامًا، أسود الشعر حليق الوجه، طوله 176 سم، وزنه حوالي 71كجم، وجد مقتولًا داخل شقة مستأجرة بالمعادي، الفحص الظاهري يشير أن سبب الوفاة هو عيار ناري في الصدر، وبعد فحص الملابس والمظهر الخارجي وتجريده من الملابس، انتقل للفحص الداخلي).

وضع (طوبة الجسد) أسفل ظهر الجثة، أمسك بمبضع حادٍ شق به منطقة الصدر عرضيًا، نبع منه دماء لزجة متكاسلة: (شق عرضي يصل بين عظمتي الترقوة ثم شق رأسي من المنتصف ينحني يسار السرة

حتى منطقة العانة).

ترك جواره المبضع الدامي، انتقى ملقاطين لطرفي الجلد وفتر بهما الشقين ليكشف عن عظام القفص الصدري، تفحَّص موضع اختراق الرصاصة بين الضلوع، ثم (بمنشار ستريكر) نشر عظام القفص من الجانبين واستخرجه قطعة واحدة بعد تقطيع أوصال الأنسجة الرخوة، وعقب:

(تم الكشف عن الأحشاء الداخلية وتبين الفحص الأوَّلي اختراق الرئة اليمنى بعيار ناري).

النمط التقليدي للتشريح يحتم عليه نزع الأحشاء واحدًا تلو الآخر ابتداءً بالقلب لكن ضيق وقته مع معرفة سبب الوفاة مسبقًا دفعه لتخطي المألوف، فقام بتدقيق النظر لثقب في الرئة اليمن، استلَّ مبضع باعد به بين الأنسجة ثم سحب الرصاصة بملقاط رفيع ووضعها جواره في طبق معدني ثم عاد مرددًا: أظهر التشريح اختراق الرئة اليمنى بعيار ناريٍ وتبين من عمق الرصاصة أنها أطلِقت من مسافة حوالي مترين، من سلاح ناري عيار 9ميليمتر، أدت لنزيف حاد بالرئة وامتلائها بالدماء مما تسبب في الاختناق والوفاة.

سحب طوبة جسد جديدة ووضعها أسفل الرأس ومن خلف الأذن مرر مشرط حاد قطع به فروة الرأس حتى الأذن الأخرى، سحب فروة الرأس الأمامية وغطى بها الوجه وسحب الخلفية حتى تدلت لأسفل، سحب (سترايكر) وشرع يقوم بنشر عظام الجمجمة دائريًا، غير أن ضيق صدره دفعه لإعادة تغطية عظام الجمجمة بفروة الرأس.

رفع بصره لساعة حائط أشارت عقاربها للتاسعة والربع، أجفل وتسارعت تحركاته، سيشنق نفسه لو تأخر على ابنته. خلع قفازيه ثم المعطف في عجالة في اللحظة التي دخل فيها الطبيب المعاون يؤكد على دخول العينات للفحص بالمعمل.

شكره (فريد) في عجاله حين بدا شيئًا مريبًا في نظرة المساعد إلى

مخبار العين، شيئًا من الشبق تصاعد لملامحه قبل أن يخفيها سريعًا ويتظاهر بالانشغال في ترتيب أدوات المعمل، علقت النظره في عقل (فريد) كثيرًا، ارتدى سُترتَه وغادر المعمل، حين كانت تلاحقه نظرات مجنَّد الخدمة على نحوٍ غريبٍ، خرج معتل العقل بزخم من علامات استفهام تشير جميعها لما يريب، لكن العجالة منعته من بحث أمورٍ ستؤخِّره على موعده مع صغيرته، ساعات تنعش روحه وقلبه يعيد ترتيب خلايا جسده المبعثرة في فضائه المظلم وروحه الخاوية.

تذكر أنك حملت رواية الرمز السابع مجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

*****

الفصل الثالث

وصل العميد (فوزي) إلى أحد الشوارع الرئيسية وسط حي (مصر الجديدة) بالقاهرة، ترجَّل من سيارته وتركها أسفل شجرة عتيقة تساقطَت أوراقها، بدا أكثر راحة في ملابس مدنية رغم أن الملابس الرسمية غالبًا تشق له طريقًا ممهدًا عبر روح من أمامه بسكين من الخوف، راجع العنوان المُدرَج في جواز سفر عزيز، ثم توجَّه لعقار من أربعة أدوار احتل الطابق الثاني منه عيادة تحمل شرفتها لافتةً باسم الدكتور (عزيز شاكر)، تكدست أسفله خبرات متعددة تجذب أيَّ مريض، دلف مدخل العقار حيث امرأة تجلس فوق سجادة قديمة أمام غرفة صغيرة أسفل السلم يرتع حولها ثلاثة أطفال:

- أليس هنا منزل الدكتور (عزيز شاكر).

أشارت لأعلى في روتينيه:

- شقة الدكتور عزيز في الثالث وعيادته في الثاني لكنه سافر وترك

العيادة لزميله، الكشف يبدأ الساعة الثمانية

- منذ متى سافر؟

- لا أدري.

- هل يعيش وحيدًا؟

مطت شفتيها وبدت الريبة تجد طريقها إليها فتحولت لهجة (فوزي) معلنًا انتهاء الثرثرة الودية:

- أنا العميد (فوزي)، أتحرى عن قضية.

لم تحتَج إلى مزيدًا من التفاصيل فقط نهضت في جزع، وأجابت عن كل ما يريد وما لا يريد.

- يعيش وحده، وتأتي ابنته السيدة (نهلة) أسبوعيًا ترعى المنزل.

- وأين تسكن ابنته!

أشارت للخارج قائلة:

- الشارع الكبير هناك فوق بقالة (...)، إنها ابنة حنونة على والدها كانت تشتري له الأغراض، وكان الدكتور عزيز دائمًا يذهب لرؤية حفيده هناك، كانت روحه في حفيده وابنته الوحيدة، وله ابن في الخارج لا نعرف عنه شيئًا.

اكتفى (فوزي) بالمعلومات، سار مشيًا إلى المنزل العتيق المشيد على الطراز الفرنسي كعهد معظم منازل حي (مصر الجديدة) والتي لا تخلو أيضًا من حارس للعقار.

- أين تسكن نهلة عزيز؟

- هنا في الطابق الرابع، يوجد جهاز اتصال لو أنك...

- سوف أصعد لها.

بمصعد عتيق منتهي الصلاحية وصل للطابق الرابع حيث استقرت شقة وحيدة لم يكد يشرع في طرق بابها حتى انفتح كاشفًا خلفه عن امرأة ممتلئة قليلًا تتشح بالسواد تخرج مسرعة، تعلق على كتفها حقيبة متوسطة وتحمل طفل يبلغ حوالي خمس سنوات بدا من شخوص عينيه أنه ضرير، أجفلت وتوقفت يطل الخوف من عينين طمسهما الحزن والبكاء، عاجلها (فوزي) بلهجة ودود:

- مدام نهلة عزيز!؟

أجابه صمتها وترقبها فعاد لتعريف نفسه:

- العميد (فوزي) رئيس مباحث قسم المعادي.

نظرت إليه نظرة مترنحة فأشار لباب الشقة المفتوح:

- أقدّر حزنك ولن أعطلك كثيرًا.

بدت نظرة معذبة في عينيها حين قالت:

- زوجي مريض أريد أن أذهب إليه.

عادت لداخل الشقة، بدا أن طاقتها قد نضبت، فألقت حقيبتها وتهاوت فوق أقرب مقعد، احتضنت صغيرها ثم انفجرت في البكاء.

- تعازيا القلبية لوالدك سيدة نهلة، ماذا حدث لزوجك!؟

تقاطرات دموعها وبصوت مبحوح:

- جاءني اتصال من هاتفه منذ قليل، يقولون إنه سقط مريضًا ونقلوه للمستشفى الآن بغرفة الرعاية.

اعتل قلب (فوزي) بتلك المفاجأة وأشفق كثيرًا على السيدة، نقل بصره نحو الطفل الصغير الذي بدا منزعجًا، أي عائلة بائسة تلك!، سبحت الفكرة في عقله قبل أن تقع عينيه على صورة عائلية تجمع الزوج والزوجة والابن، بدهشة:

- هل هذا زوجك؟!

دون أن تنظر للصورة:

- نعم هو.. (سعد).

ابتلع (فوزي) المفاجأة، نهض في أسى قائلًا:

- مدام نهلة تعال معي سأوصلك لمستشفى زوجك ولنتكلم أثناء الطريق.

مسلوبة الإرادة والوعي سارت معه دون اعتراض، وداخل السيارة أثناء الطريق لمستشفى يعرفها (فوزي) جيدًا ويعرف هذا المريض تحديدًا راح يتذكر كلمات طبيب الإسعاف أنه الناجي الوحيد وغير معروف سبب غيبوبته بعد.

هتك (فوزي) ستر الصمت:

- سيدة نهلة، زوجك كان مع والدك في شقة بحي (المعادي)، وهناك شيء ما حدث، ماذا كانوا يفعلون هناك!؟

سكنت لحظة ثم أجابت:

- لا أدري.

أطلّ خوف من عينيها دفع (فوزي) لإعادة صياغة السؤال:

- مدام نهلة والدك توفي بطلق ناري وضحيتين أخريين، وزوجك لا ندري ما حل به. من الممكن أن تكون حياتك وحياة طفلك في خطر أيضًا، يجب أن تتعاوني معنا.

تقلص وجهها، اعتصرت طفلها، ترددت لحظات ثم أجابته بكل ما يجيش به صدرها:

- والدي جراح رمد كبير، ورغم ذلك حاول بكل السبل العلمية والطبية المعروفة ليرد لحفيده نور عينيه، لكنه فشل تمامًا مع التلف الكامل

لعينيه، منذ أكثر من ثلاثة أشهر أخبرني أنه سيذهب لمؤتمر طبي هام في أمريكا من الممكن أن يجد فيه علاجًا لحفيده .

تنهدت بعد أن أنهكت روحها تلك الذكري ثم أكملت:

- ثلاثة شهور ثم عاد واخبرنا انه وجد علاج لطفلى، كانت الامور تسير على خير، قبل ان يرسل إليه شخص مجهول تلك المجلدات، فانقلبت حياته جحيم واختفى بعدها، ثم ترك رسالة لزوجي في عمله بطريقة مستترة بأن يقابله سرًا في عنوان تركه له بالمعادي، أخبرني زوجي بالأمر ثم ذهب إليه سرًا، تكررت الزيارة مرتين أخبرني خلالها (سعد) أن والدي يقوم بتجهيز العلاج لرد بصر حفيده.

فرت منها التعبيرات فقلبت يديها كناية عن قلة الحيلة حتى خانها صوتها فخرج باكيًا ملتاعًا:

- ثم جاءني خبر مقتل والدي، والآن مرض زوجي.

بينما (نهلة) تروي له ما تعرفه، شرد (فوزي) بمخيلته يرسم صورًا للمشهد، علاج (عزيز) لحفيده هي عين كاملة جديدة عاد بها!، تشتت ذهنه وهو يتفادى عربة خضروات ثم عاد إليها:

- ألم يخبرك والدك أين كان تحديدًا في أمريكا أو اسم المؤتمر؟!

- لا أدري.. لا أدري أي تفاصيل أخرى.

خفف (فوزي) من الضغط على أعصاب امرأة مكلومة فآثر الصمت دقائق حتى وصلا لمستشفى المعادي حيث يرقد زوجها؟. عبرا الطابق الثالث قصدا غرفة رعاية مركزة بعينها، تقدَّم (فوزي) من الطبيب المسؤول:

- العميد فوزي رئيس مباحث قسم المعادي، ما هي حالة المريض سعد!؟

- حقيقة حالته سيئة، بعد الفحوصات المكثفة وجدنا خلايا سرطانية

تغزو كل جسده وتتفاقم وتتضخم في شراهة وبسرعة غير طبيعية ولا معتادة في أي نوع من أنواع السرطان.

امتقع وجه (فوزي) وشعر بأنه وقع في خطأ للسماح لزوجته بالتواجد أثناء الحديث، اختلس نظرة جانبية تجاهها فوجدها متراخية الأطراف والجوارح يفتك بها الهم والغم، تقدمت من الطبيب لا إراديًا:

- ماذا تقول يا دكتور!؟، زوجي سعد لم يشتكِ من أي مرض.

تعالى صوتها في هستيرية من تكالبت عليه المصائب:

- أنت تكذب كلكم تكذبون، هذا كابوس سخيف سأستيقظ منه.

ثم وبلا تمهيد تهاوت كروبوت فرغت شحناته، التقطها (فوزي) يقرع قلبه الذنب، أشار الطبيب لممرضين بحملها إلى أقرب سرير طبي وعكفوا على محاولة إفاقتها. هز (فوزي) رأسه أسفًا ثم عاد للطبيب:

- دكتور، كيف يمكن له أن يصاب بشيء غريب كهذا بغتة.

هز الطبيب رأسه نافيًا:

- كل ما يمكنني قوله، إنه سيئ الحظ، توافقت جينات جسده مع مرض ما دفع جسده لذلك النشاط السرطاني.

- هل يمكنه التحدث؟

مطّ الطبيب شفتيه في حيرة:

- حالته سيئة، لكن يمكن انتزاع منه كلمات قليلة أثناء استفاقته اللحظية.

وداخل غرفة باردة برودة الموت دلف (فوزي) يخطو تجاه (سعد) الراقد كجثة حية بأعين نصف مغلقة يحيط بوجهه وجسده أسلاك وخراطيم فألقي إليه كلمته:

- (سعد) هل تتذكر ما حدث لك مع الدكتور عزيز؟

وكأن العبارة مست شيئًا من وعي (سعد) فالتفت إليه في تثاقُل وارتجفت شفتاه على نحو يوحي بمجهود ضاري يبذله للتحدث:

- عزيز أخبرني.. العلاج هناك.. المصدر.. بالخزينة.

شرع يرفع يدًا تزن طنًا ثم خارت قواه وسقط وعيه في دوامة سوداء.

نكث (فوزى) عائدًا للطبيب:

- كم لديه في رأيك!؟

- بذلك المعدل.. أقل من يوم.

شرع (فوزي) في التعليق على الأمر لولا أن جاءه اتصال أجابه في لهفه، ثم خطا مبتعدًا عن الطبيب يستمع لأخبار تصاعدت معها مجريات الأمور لمستوى جديد من الخطورة زحفت أماراتها على قسمات وجهه المتوترة.

***

قفز (فريد) داخل سيارته الرابضة أمام المستشفى، وانطلق بها بسرعة كبيرة صوب حي (التجمع الخامس) عبر شوارع تتثائب طرقاتها الشبة خاوية صباح الجمعة، شاردًا تعبث برأسه نثرات ذكرى ليست ببعيدة ذات يوم عندما فتح عينيه صباح يوم الإجازة فأشرقت فتاته تتقافز فوق الفراش جواره تناديه بشكل متكرر، قَبَّل وجنتيها واحتواها حين عبثت بملامح وجهه بسبابتها الرقيقة، تذكَّره بوعده:

- لقد أخبرتني أننا سنذهب اليوم للملاهي.

- بابا يفي بوعوده دائمًا.

عبرت عن سعادتها بالتصفيق بكلتها يديها فوق وجهه أورثه ضحكات

من القلب، يقبلها فتتملص منه، ولم يمر الكثير حتى كانا داخل الملاهي تسير جواره في انبهار تصفق في جذل، تتابع الصخب والألوان المبهرة والشخصيات الكرتونية، الألعاب المتحركة تهدر وتدوي صرخات رعب وضحك مرتادو الألعاب تملأ المكان، وقف قليلًا ثم مال على أذنها:

- هل ريم جاهزة للطيران؟

كانت تعرف ما الذي يعنيه ذلك فضحكت وقالت بصوت مرتفع أقرب للصياح:

- جاهزة.

انتشلها من الأرض ورفعها فوق كتفيه ممسكًا بذراعيها، وسار مهرولًا بها وسط الزحام تتعالى ضحكاتها، أنزلها حين أحضر لها دمية شهقت لها ورفعتها أمام أعينها المتسعة فرحًا:

- عروسة سندريلا.

احتضنت الدمية ثم احتضنت عنقه بيديها الصغيرتن، ولثمته على خده، وعادت تقلب الدمية، ثم راح يمدحها:

- ريم هي أجمل فتاة في الدنيا.

فتجيبه:

- لأن أبي هو أحسن أب في الدنيا.

دخلا للعبة دارت بهما حتى الثمالة ضحكًا، ثم ثانية وثالثة حتى بدا الإرهاق عليها فابتاع لها بالونات وسارا حتى المطعم، جلسا يلتقطان أنفاسهما، حين داهمته بسؤال مباغت:

- لماذا أنت منشغل دائمًا يا أبي.

بُهت فريد لحظة، تنهد يغالب تأثره من سؤال نابع عن طفله ثم أجابها:

- لن أنشغل عنك أبدًا يا صغيرتي.

- هل هذا وعد..

تبسم لكلماتها الكبيرة فأوما برأسه موافقًا:

- نعم، وعد.

- إذا لم تفِ بوعدك ستصبح مثل (بونوكيو) وتطول أنفك.

كاد موظف العرض في عقل (فريد) يشرع في تشغيل مشهد آخر من فوق أرفف ذكرياته لولا أن أضاء العميد (فوزي) قاعة عقله المظلمة برنين مكالمة عاجلة:

- فريد.. أين أنت؟ لقد حدث هجوم مسلح على مستشفى المشرحة منذ لحظات وتم سرقة جثة عزيز والعين!!

امتقع وجه (فريد) يعيد على مخيلته نظرات مجند الخدمة المريبة، ثم تصرفات الطبيب المعاون، وحمد الله أنه قام بذلك التصرف في آخر لحظة:

- العين معي يا فوزي، لقد انتابنى شك مبهم وشعرت أن على حماية تلك العين.

- هذا هو صديقي فريد..

قالها (فوزى) في سعادة، ثم أعقبها بسؤال:

- لكن احتفاظك بها خطر عليك الآن، سآتي لاستلامها منك.. أين ستكون!

- أنا في الطريق للملاهي بارك، لكن أخبرني يا فوزي ما الأمر، ما سر تلك العين ومن هؤلاء!

جاوبه لحظات صمت من (فوزي) حتى ظن أنه فقد الاتصال لولا أن

جاءه صوته متردداً:

- فريد.. الأمر معقد قليلاً، وله أبعاد خاصة بالأمن الداخلي.

- ...!!

- سآتي إليك لآخذ العين ونرى ما الذي يمكنني إخبارك به.

تركه (فوزي) مع هواجس تنهش تفكيره تحسس على إثرها وعاء العين في جيب سترته، ثم سحب هاتفه وفتح معرض الصور حيث التقط صورة لقصاصة الجريدة، نظر للخبر يعتليه صورة ابنته ترفع مجسم ذهبي صغير لقيثاره، تطلع إليها لحظات تدور حول رأسه ألف علامة استفهام، (لماذا تحتفظ بخبر فوز ابنتي بمسابقة موسيقية يا عزيز!؟)، قالها بعقل وقلب معتل قبل أن يلقي الهاتف جواره، عاد لشروده وسار في دربه بنظرة خاوية وصدر مثقل بالهموم حتى دخل حي القاهرة الجديدة حيث شقته سابقًا، وشقة زوجته الحاضنة لابنته حاليًا.

ضغط زر الجرس ثم انتظر لحظات قصيرة انفتح بعده الباب يكشف عن سيدة عجوز واهنة تحمل ملامحها آثار جمال بائد، تبسمت تدعوه للدخول في روتينية، قابلها بالشكر والرفض في روتينية أكبر، تناهى لمسامعه كلمات عربية بلكنة ركيكة حين ظهرت مدربة الموسيقى الخاصة بابنته، صهباء نحيلة على الطراز الأوروبي تشرع في الخروج، تبسمت له:-

- مرحبًا بك (مستر) فريد، ابنتك سيكون لها شأن عظيم في العزف.

تبسم فريد مجاملًا وأومأ برأسه:

- شكرًا لكِ سيدة (جوليا).

تراجع مفسحًا لها طريق النزول، ثم عاد ببصره لداخل الشقة حين وقع بصره عليها من فوق كتف السيده العجوز، قف في الداخل غير

بعيد بقامتها المتوسطة وبشرتها الخمرية وشعرها الأسود تضيء عينيها العسليتين بطبقة من الإرهاق وعتاب بائد تسلل من خلف قناع قوة واعتزاز يليق بمرشدة سياحية طويلة القامة لتبدو ممشوقة قصيرة لتبدو أمام الجميع حادة الذكاء، تلاقت أعينهما وأطالا النظر.

وقفت العجوز تستمع بأذن الخيال لحوار من عشر صفحات لم يتكلما فيه حرفًا، نظرات عتاب طويل لم يرقَ إلى حد المُصالَحة ولم يهوَ إلى قرارة الجفاء، انتزع (فريد) نفسه عنوة من عينيّ (ليلى) زوجته، والتفت للعجوز قائلًا:

- من فضلك أحضري (ريم).

وحين غاضت العجوز داخل الشقة، خطا (فريد) خطوتين للداخل وناول (ليلى) هاتفه المحمول يتصدر شاشته صورة ملتقطة من خبر في جريدة كانت في مسرح الجريمة قائلًا:

- هذا الخبر وجدناه بحوزة جراح رمد متوف يدعى (عزيز شاكر).. هل سمعتِ الاسم من قبل؟!

أطالت النظر وأجابت بدهشة:

- لا .. لم أسمع عنه، لماذا يحتفظ جراح رمد بصورة ابنتي!؟

لم يكن (فريد) يملك جواب، فاكتفى بهز رأسه نافيًا وقنع بها إجابة، وراح يغمغم بصوت خفيض يشوبه اهتزاز ثقة:

- الشرطة تبحث في الأمر.

رفعت (ليلى) حاجبيها، أومأت موافقة في استهانة وتهكم:

- حقًا!

تجاوز (فريد) نبرة التهكم وأراد تغيير دفة الحديث فتساءل:

- هل تستجيب للعلاج!؟

اجابته في لهجة عدائية:

- لا تستجيب، ولا تجيب، ولا تتحدث، أدس لها الطعام في فمها سائلًا لأنها لا تمضغ، تعزف وهي تتألم، ثم تظهر تلك العلامات على جبينها ورسغيها فتبدأ في الصراخ ثم تنهار.

- سوف أصحبها لنزهة بمدينة الملاهي كما عودتها، إلى أن يحين موعد الطبيب.

أجابته في فتور وكمد:

- هذا الاستشاري مواعيده دقيقة، رجاءً لا تتأخر.

زفر (فريد) في ضيق من مغزى العبارة:

- (ليلى) ،كفاكِ عتابًا، لقد احتشدت الظروف في ذلك اليوم و...

قاطعته بإشارة توقف من كف يدها:

- أرجوك، لا أريد التحدث بعد الآن.

غليت مراجله وراح إعصار الغضب يعصف بكيانه في اللحظة التي جاءت فيها (ريم) بصحبة جدتها، شاحبة نحيلة ما إن وقع بصره عليها حتى تبخرت من قلبه قسوة الدنيا. انفطر لرؤيتها، سماعه لأخبارها أمرًا، ومشاهدتها شاخصة شاردة بلا مؤشرات للحياة، لهو أمر أشد وطأة.

حاول ملاطفتها، حدقت في وجهه بأعين ذاهلة، سحبها من يدها في أسي ونزل لسيارته أجلسها جواره وانطلق بالسيارة، صامتًا واجمًا محتقن العينين، راح يملس على شعرها يتأسف لها بشفتين مرتجفتين:

- لم أكن لأتأخر عليك قط يا حبة قلبي.

***

عبر بوابة الملاهي انعطف (فريد) بالسيارة، محاولة يائسة لاسترجاع

مشاهد سابقة له مع ابنته لعله يثير عقل خامد فقد بريقه، اختلس نظرة إليها تمسك بدمية جديدة أحضرها لها لم تصادف أي رد فعل لديها، حتى الألوان المبهجة والمهرجين والألعاب وتقافز الأطفال لم يمس شيئًا من روحها. مال عليها وهمس لها كما كان يفعل دائمًا:

- هل ريم جاهزة للطيران؟!

انتظر جواب يعلم أنه لن يأتي، فقط انتشلها من الأرض ورفعها فوق كتفيه ممسكًا بذراعيها، وسار بها وسط الزحام ثم أنزلها عندما أحضر لها دمية دبًا، ثم ركبا لعبة دارت بهما حتى الثمالة، ثم ثانية وثالثة حتى بدا إرهاقًا صامتًا وجهها فابتاع لها بالونات وسارا حتى المطعم، حين لاح على وجهها شبح ابتسامة، برزت من وسط فضاء التجهم لم تلبث أن ذابت وعادت لتجهمها.

قبل أن يحاول محادثتها مجددًا تعالى رنين هاتفه التقطه ثم أجاب على (فوزي) الذي كان قد نسي كل شيء عن قضيته:

- نعم يا فوزي نحن عند ساحة المطاعم.. في انتظارك.

بدا واضحًا أن (فوزي) بالفعل أضحى داخل محيط الملاهي فلم تمر بضع دقائق حتى وجده (فريد) أمامه ينحني على الفتاة يداعبها ثم يصافحه في ترقب أثار توتر (فريد)، الفتاة معه ولا ينوي تلويث سمعها بأيٍّ من مفردات عمله، دنا منها هامسًا:

- ريم حبيبتي ساتحدث مع صديقي في العمل دقيقة وأعود إليكِ.

لم تبدُ أنها سمعته، نفس النظرة الخاوية المندهشة، ربتعلى رأسها ونهض يخطو صوب (فوزي) حيث يقف متوترًا وقال له في حدة:

- أخبرني يا (فوزي) بالله عليك، ما الذي أقحمتني فيه!؟

***

الفصل الرابع

افترشت أرض مطار القاهرة بنثرات ضوء قمر متآكل في ليلة خريفية لحظة هبوط الطائرة التابعة للخطوط الجوية المصرية القادمة من ولاية (فلادلفيا)، وبعد إجراءات سريعة انتشر الركاب خارج صالة الوصول، وأمام أحد أبواب الخروج استقل مسافر أشقر الملامح بمعطف أسود طويل سيارة (ليموزين) كانت في انتظاره، انطلقت به على الفور عبر دروب وطرقات القاهرة الكبري بينما راكبها يحدق بتركيز شديد في شاشة هاتفه اللوحي المتصل بالشبكة العنكبوتية يتابع مجريات أمور تشابكت وتعقدت كثيرًا حتى باتت تهديدًا حقيقيًا في تلك البلاد من شأنها هدم ترتيبات شهور مما اضطرهم للدفع به، (فيكتور).. مقاتل سابق في القوات الخاصة الأمريكية، تم ضمه للتحالف بعد تسريحه من الخدمة، يميل للعنف الزائد لكنه لا يترك أثرًا يشير إليه أو إلى التحالف، يتم الزج به عندما تتعقد الأمور، حاد ودقيق وسريع، من شأنه التعامل مع أي تهديدات تحيق بالتحالف خارجيًا وداخليًا. تواصل مع عملاء التحالف داخل الإقليم وأعلن عن وصوله كتابةً:

(فيكتور معكم.. وصلت للتو إلى الإقليم المصرى وسأتولى القيادة من الآن بعد مقتل (هنري) وإخفاق الجميع، أريد تقرير شامل من فريق الضغط الحكومي، وفريق تصفية (عزيز) واستعادة الأداة، وفريق التنظيف الخاص بقضية مقتل (هنري) ومعاونه، واعلموا أن الرئيس (شرودر) يتعهد بقطع رأس من يخفق هذه المرة).

أغلق (فيكتور) القناة المؤمنة، شرد لحظات بعينيه النافذتين عبر زجاج السيارة، سبحت في مخيلته كلمات رئيس التحالف (شرودر):

(التحالف على حافة حدث عظيم يا فيكتور سيقوم له العالم ولم يقعد، وسيبدأ بعده عصر ازدهار لم يسبق له مثيل، لكن هناك أمور خرجت عن السيطرة وأريد استعادة زمام الأمور هناك).

قطع تفكيرة أزيز وصول رسالة عبر البريد الإلكتروني، فتحه على الفور يقرأ تقرير المسؤول عن فريق تنظيف مقتل (هنري) واسترداد الأداة، يخبره أن الطبيب الشرعي المكلف بتشريح الجثث قد استولى على العين وجاري البحث عنه. ضاقت عينا (فيكتور) وراح يحدث شياطينه:

- مَن هذا الطبيب الذي أقحم نفسه في الأحداث!؟

كان يقولها ويداه تعبثان في مؤشر الصفحة هابطًا بها لأسفل، لم تكد تقع عينه على صورة الطبيب واسمه حتى ضربته الدهشة. فراح يكتب لمحدثه عبر قناة مؤمنة: أليس هذا والد الفتاة!؟

جاءه الرد سريعًا: نعم، لقد أقحمه في الأحداث ضابط شرطة بينهم سابق معرفة .

رفع (فيكتور) وجهه عن الهاتف شاردًا يخاطب شياطينه:

- لقد اتسعت دائرة التصفيات إذًا.

***

وسط صخب رواد مدينة الملاهي وقف العميد (فوزي) أمام الدكتور (فريد) في حرج لاقتحام يومه على هذا النحو، كان يجب إخباره ببعض تفسيرات على قدر من السرية لكن من حقه أن يعرف ما تم إقحامه فيه بالأخص بعد الهجوم على المشفى لأسباب بدا واضحًا أنها بحثًا عن العين، أو الأداة كما سموها المعتدون نقلًا عن أقوال حرس المشفي، تنهد (فوزى) وشرح:

- ما توصلنا إليه باختصار يا (فريد) أن (عزيز) تلقى دعوة من جهة مجهولة للمشاركة في بحث طبي في أمريكا، مكث هناك حوالى ثلاثة أشهر وبعدها عاد للقاهرة منذ أسبوعين، تقول ابنته إنه كان يبحث عن علاج لرد بصر حفيده، أخبرهم بعد عودته مباشرةً أن معه العلاج، قبل أن يصل إليه طرد مجهول يحتوي على المجلدات التي رأيتها، نعتقد أنه

اكتشف شيئًا ما فيها بدلت يقينه.

سهم (فريد) تتقلب على صفحة وجهه تساؤلات يحاول إجابتها بمنطقية..

- وألم تتحققوا في الجهة التي استدعته؟

- لم نصل لماهية تلك الجهة أو ذلك البحث الغامض،سرية تامة أحاطت بها، وهذا كل ما تعرفه ابنته، غير أن الجديد في الأمر أن ذلك المسجى في العناية يدعى سعد، هو زوجها.

وجم (فريد) لحظات وهو يجاهد في محولة يائسةلإيجاد علاقة تجمع كل هذا وابنته:

- لماذ يحتفظ بخبر تلك الجريدة عن ابنتي؟!

بدا العجز في إيماءة نافية من رأس (فوزى) وأكمل:

- هذا هو كل ما لدينا، أمامنا سعد في المشفى وهو يحتضر، أو خزينة عزيز نفسه لعل ما بها يرشدنا لانجلاء غموض موته، حيث سأتركك الآن وأذهب لحضور فتحها مع لجنة من النيابة العامة.

ثم مدَّ يده إليه وأضاف:

- بعد أن تعطيني العين.

دس (فريد) يده في جيب سترته وناول (فوزي) مخبار العين، تناوله (فوزي) ثم رنا ببصره للفتاة الساهمة ينشد توديعها بابتسامة سرعان ما ذابت لاصطدامها بشرود وخواء، أشاح بوجهه في أسي مازجه حرج، وغادر المكان.

***

شاردًا واجمًا عبر دروب حي (مدينة نصر) انطلق (فريد) بسيارته إلى (منطقة السفارات) حيث عيادة الطبيب، يختلس نظرات سريعة لابنته

تمسك في يدها الحلوى المفضلة لديها على نفس الوضع الذي أعطاها به.

انعطف بسيارته لأحد الشوارع الجانبية فاصطدم بتكدس مروري، وعلى قارعة الطريق ثلاث سيارت متصادمة دفعته بالتراجع الفوري بسيارته.

وسار عكس اتجاه السير صوب طريق جانبي حين بلغ مسامعه ثرثرة بعض الفضوليين عن الحادث، بأن سيارة كانت تسير وسط الطريق حين قفزت بغتة للخلف وكأن يد عملاق خفية حملتها عن الأرض، وألقت بها للوراء لتصدم السيارات خلفها، لم تعلق الكلمات في ذهنه، زفر توتره واستعاد هدوءه وراح يفكر، هذا الطبيب يتقاضى أموالًا طائلة تثقل كاهله رغم أنها الزيارة الخامسة له بعد أن قامت (ليلى) بالأربعة زيارات السابقة، ولم تتحسن حالة (ريم)، لكن (ليلى) تصر على استكمال العلاج معه فقط لأنها تثق بترشيح صديقتها التي عالجت طفلها لديه وأصبح بصحة جيدة، رغم صلابة (ليلى) إلا أنها ككل السيدات تنظر لصديقاتها، وصل بسيارته أمام عيادة من طابقين على نمط (الفيلات)، يتصدر واجهتها اسم الطبيب مع قائمة من الدراسات والخبرات، دقائق وكان جالسًا مع ابنته داخل حجرة أنيقة أمام طبيب استشاري يدني منظاره الطبي على طرف أنفه ويطالع أوراق جلبها له الممرض من ملف (ريم)، مرت لحظات صمت إلا من حفيف أوراق الفحص، ثم تنهد الطبيب، رفع عينيه إلى (فريد) قائلًا:

- كما أخبرت السيدة (ليلى) في آخر زيارة، الصدمة أحدثت خللا في المسارات العصبية للمخ.

قرب الأوراق من (فريد) وأكمل:

- أنت طبيب وسترى معي أن التحليل الجيني للفتاة سليم.

اطلع (فريد) على التحليل الجيني لابنته في تمعن ثم أومأ برأسه

موافقًا وأعاده للاستشاري وعقب:

- الدواء لضبط كهربية المخ واستعادة نشاط المسارت العصبية لكن على مدار (ثلاثة أشهر) لا يوجد أية استجابة.

نهض الطبيب من خلف مكتبه وأشار له، فحمل (فريد) ابنته ووضعها على سرير الكشف بينما الطبيب يشرح:

- ابنتك صغيرة اخترت لها دواء نسبة المادة الفعالة به طفيفة؛ لذا فسيحتاج لوقت طويل حتى تشعر باستجابة، وذلك خير من دواء قوي وآثار جانبية وخيمة.

ذم (فريد) على شفتيه متفقًا مع الطبيب بينما الأخير يضيء مصباح صغير في عيني (ريم) فاستجابت قرنيتها للمؤثرات كأفضل ما يكون، سألها الطبيب ما اسمك، فنظرت إليه الطفلة بخواء واكتفت بها إجابة، برودة قرص سماعة الكشف أصابتها بقشعريرة بمجرد أن مس صدرها. عاد الطبيب وعاد بها (فريد).

- إنها تستجيب استجابة فطرية لكافة المؤثرات الطبيعية مثل الأصوات، والأضواء، والكلمات، والبرودة، والسخونة، لكنها لا تستجيب للمهارات المكتسبة، مما يؤكد تلف المسارات العصبية للفص الصدغى من المخ حيث المهارات المكتسبة.

- هل هو تلف دائم أم عُطل مؤقت!؟

- الأشعة المقطعية لا تشي بتلف عضوي، بعد نظام المغذيات الذهنية والجلسات الأسبوعية، أتوقع تحسنًا ملحوظًا.

زم (فريد) على شفتيه في أسى، أومأ برأسه ثم حمل الفتاة ودخل خلف الطبيب لغرفة جانبية واسعة مليئة بألعاب ذهنية بسيطة تركها للممرضة كما هي العادة، اعتذر له الطبيب:

- كما تعلم يجب أن لا يكون معها أحد تعرفه حتى لا يتشتت انتباهها،

ساعة على الأكثر وتنتهي الجلسة يمكنك تناول القهوة بالخارج.

جلس (فريد) في استراحة أنيقة ذات مقاعد وثيرة تلفاز ضخم معلّق على حائط بطلاء متوافق مع سجاد فاخر افترشت به منتصف قاعة الانتظار، تقدَّم (فريد) صوب بوفيه مفتوح للمشروبات وأعد لنفسِه قدحًا من القهوة من ماكينة القهوة، أخرج علبة سجائره المعدنية، كيس فلاتر وكيس تبغ، برم له عدة سجائر وجلس ينظر للتلفاز بأعين شاردة لا تعي التفاصيل. لم يدرك كم مضى من الوقت شاردًا إلا عندما تلقى موظف الاستقبال اتصال ثم دعاه للدخول لغرفة الطبيب، وفي الداخل وجد ابنته مع الممرضة، تسلمها منها ثم عاد لغرفة الطبيب وجلس أمامه وهو يقرأ تقرير الطبيب النفسي المعاون، هز رأسه في رضا وعاد إلى (فريد):

- إنها تتطور، لقد تفاعلت مع أحد الالعاب البسيطة وتابعت ببصرها بعض التحركات مما يشير إلى استعادتها التدريجي للتفاعل.

شكره (فريد) بامتنان زائف، وداخل سيارته أمام العيادة داعب وجنتي (ريم) فنظرت إليه بأعينها الصافية البنية، تمنى أن يرى ابتسامتها حيث تضيق عيناها وسط وجنتين ناصعتي البياض، لكنها لم تتحسن بهذا القدر، فعادت تنظر أمامها في خواء.

دنا من منزل (ليلى)، حمل ابنته النائمة من المقعد المجاور له، احتضنها فشهقت ثم عادت للنوم، سلمها لجدتها.. ثم عاد لسيارته هادئ الجوارح مشحون المشاعر.

فى طريق عودته لحي شبرا الخيمة، صار تفكيره بطيئًامخدرًا، تبخرت أفكاره حتى بهتت وتلاشت في الأفق مع زرقة ليل كست ثوب السماء، يستهله حي شبرا الخيمة بزحامة الشديد وعربات الركاب من ذوي الثلاث عجلات تنتشر كالنمل، تفادى دراجة يقودها شاب يحمل فوق رأسه طاولة خبز، انعطف يمينًا حيث يقبع مسكن أبويه الراحلين، مقره الدائم الآن، ترجل من السيارة وابتاع طعامًا يخرس به معده تحتج

جوعًا، يمني نفسه بنوم هادئ بعدها، وداخل منزله ألقى بأغراضه وتهاوى فوق أريكة مريحة يموج صخب النهار في رأسه، اكتسبت جفونه وزنًا زائد فراحت تتراخى حتى التقت أهدابها وراح الخدر يبث سكونه في العروق، حين بدَّد رنين الهاتف سكونه، نهض متبرمًا يتطلع في دهشة لشاشة الهاتف تعرض اسم زوجته (ليلى)، أجابها وفي مخيلته تتمازج التفسيرات، حين صفع أذنه صوت رجل غير مألوف يتكلم بعربية ركيكة:

- دكتور فريد، عَلِمنا أنك استوليت على شيء يخصنا، لدينا أيضًا شيئًا يخصك، صغيرتك ريم وزوجتك، والحق يقال إنها شرسة للغاية اضطررنا لإفقادها الوعي حتى ننتزع الفتاة منها.

ارتجفت شفتا (فريد) وراح لون وجهه، اعتصر الهاتف فوق أذنه، استجمع شتات روحه:

- العين سلمتها للشرطة!

- لقد أخطأت بتلك الفعلة، الآن ليس لديك شيء تقايض عليه ولن تري صغيرتك بعد الآن، إلا.....

قاطعه (فريد) متوسلًا:

- أرجوك أيًا ما تكون أستطيع أن أستعيدها وأسلمها لك، الفتاة لا ذنب لها في كل هذا أنها مريضة.

مضت لحظة صمت من الجانب الآخر:

- تستطيع مناداتي (بفيكتور)، ولا أعلم كيفستستعيدها، ولكن أمامك حتى منتصف الليل تأتي بالأداة لأحد المعاونين لي في مصنع الألبان المغلق وسط المدينة فتحصل على فتاتك على الفور.. أليس كذلك يا صغيرة!

أتاه عبر الهاتف صوت ابنته تتألم على نحو مزق نياط قلبه؛ أغمض له

عينيه يعتصر الهاتف في غل ثم أجاب ضاغطًا على حروف كلماته:

- ستحصل على أداتك ولن تمس الفتاة بسوء وإلا قمت بتشريحك حيًا.

***

الفصل الخامس

تناغمت وتلاحقت دقات أجراس ساعة جامعة القاهرة العريقة حين أشارت عقاربها للتاسعة مساءً، كان ذلك نمط الساعة منذ سبعة وسبعين عامًا عند صناعتها وإنشائها عام 1937م في عهد الملك فاروق الأول على يد نفس المهندسين الذين شيدوا ساعة لندن الشهيرة (بيج بين)، اثنان وأربعون مترًا من التاريخ الأقدم في الشرق الأوسط ينتصب واقفًا داخل حرم جامعة القاهرة يهتدى بها القاصي والداني، وعند قاعدتها وقف طالب جامعي متوسط القامة مائل للقصر مسح على شعره الأسود القصير وراحت عيناه السوداوان يجوبان وجوه الأشخاص من حوله بحثًا عن شخص بعينه يجتر ذكريات ليست ببعيدة. منذ التحاقه بكلية العلوم وإصراره على دخول قسم (البيوتكنولوجي)، حيث التعامل مع الكائنات الحية على المستوى الخلوي والتحت خلوي، غير أن ذلك استقطبه لأمر آخر وجد الكثير من زملائه قد انساقوا إليه، تحدث إليه أكثر من زميل ثم قرر أخيرًا أن يستمع أكثر .

عاد للواقع آثر أنامل مست كتفه في حنوٍ، ما إن وقعت عيناه عليها حتى تسللت من شفتيه ابتسامة عفوية؛ هدأت روحه وتصاعد نبضه. (ريناد) لا تعني له سوى ملاذ، نبع حب لا ينضب، وحدها فقط من تملك مفاتيح إعادة ترتيب خلاياه، أقسم لها وأقسمت له على البقاء معًا، كثيرًا ما جلسا سويًا يتذكران لحظة تقابلهما في الصف الأول الجامعي، بينما المُحاضر داخل معمل الجامعة يقوم بشرح الفحص الجيني لكروموسوم بشري، كانا متجاورين في مقعد المدرج تتعانق أعينهما في

عالم من السحر والخيال، لولا أن مزق المحاضر أخيلتهما المنسجة بالإشارة إلى (ريناد) يسألها مغاضبًا:

- ما هو ترتيب احرف (نوكليوتيدات) الحمض النووي للكروموسوم.

نهضت (ريناد) في تردد ممتقعة الوجه خجلًا، لم تكن تعرف عما يتحدث من الأساس، كان هو أيضًا يجلس جوارها ولم يسمع حرفًا من شرح المحاضر غير أنه اختلس نظرة لأجندة محاضرات زميله أمامهم توثق المحاضرة بها وقرأ الرمز الأول (الأدينين) وكتبه أمامها كما هو لعلها تستنبط منه الرمز، اختلست نظرة وقرأتها فنطقت للمحاضر (A ،(وعندما علم هو ان الترتيب المدون سليم راح يكتبهم واحدًا تلو الآخر، (السايتوسين، الجوانين، الثايمين) بينما (ريناد) تحولهم لأحرف وتنطق).(A، C، G، T

اقتضب المحاضر تعجبًا ولم يجد سوى الإشارة لها بالجلوس ثم أكمل الشرح، بينما (ريناد) جلست تلتقط أنفاسها تتطلع لابتسامة تزين وجه جمال، وبعد انتهاء المحاضرة شعرت أنه سندها، أنها تنشد الجلوس معه حتى آخر العمر.

- جمال، سوف اذهب معك.

أعادته بهذه الكلمة للواقع، قالتها له فالتقط أناملها من فوق كتفه في رفق تفيض عيناه بنظرة امتنان.

- كنت أعلم أنك ستأتين.

تبسمت له:

- لقد أقسمنا أن نظل سويًا.. للأبد.

- لكن هل أنت حقًا مقتنعة.

- إلى حدٍ ما، لذا سوف اذهب معك لنتأكد سويًا.

وافقها بإيماءة مترددة، تفقد ببصره عدد من طلاب الجامعة وبالأخص

كلية العلوم فيما يبدو أنهما تلقا نفس الميعاد بنفس المكان، من نفس المضيف، توحدت أنظار الواقفين صوب زميل يدنو منهم يبدو أكبر سنًا متبسمًا وسيم على نحو ملحوظ له أعين بنيه هادئة ومطمئنة يدعمها (كاريزما)، وتوهج عقلي دفعت كل من يبحث عن ذاته للاستماع إليه والاقتناع بمبادئه:

- شكرًا لكم لأنكم لبيتم الدعوة.

تفقد (هشام) بعض الحاضرين متبسمًا في امتنانومجامله ثم توقف عند (جمال) صديقه قائلًا:

- كنت أعلم أنك شخص مستقل وذكي ستصبح ذا شأن عظيم معنا.

تبسم (جمال) وشكره في تردد ثم سأله:

- أشكرك، لكن لماذا اخترتم ذلك المكان للتجمع يا(هشام)، هذا تناقض غريب، أليس من الأفضل أن...

قاطعه (هشام):

- جمال، سوف أخبرك بكل شيء والآن هيًا بنا سوف نتأخر عليهم.

ثم التفت إلى (ريناد) بنظرة متسائلة مازجها شيئًا من الظفر:

- هل هي معنا!

صمت (جمال) لحظة ثم أجاب بلهجة جادة ذات مغزى:

- هي معي.

أوماً برأسه متفهمًا، أشار إليهما والتفت يشير للجمع منخلفه بالمضي قدمًا واستبقهم صوب بوابة الحرم الجماعي.

سارا (جمال) و(ريناد) متشابكا الأيدي وسط عدة طلاب في قلق بدا جليًا على وجه (جمال) بينما صدره يحتوي قلبًا ارتفعت خفقاته،

وداخل رأسه عقل يفور بالتناقضات.

***

بأقصى سرعة تسمح بها شوارع العاصمة المزدحمة انطلق (فريد) يناور بسيارته بين سيارات متثاقلة لا تضاهي سرعته المتهورة يتحدث عبر الهاتف إلى (فوزي) في انفعال كاسح:

- أنا من أحضرتها يا فوزي وأريدها الآن.. فلتحترقأحرازكم والقسم بأكمله، هناك مخبول يهدّد حياة ابنتي.

بدا واضحًا أن العميد (فوزي) منزعج للغاية من التطورات السريعة للموقف فبينما (فريد) يتلو عليه مصيبة جديدة كان يقف أمام جميع أحراز القضية، ومن بينها ما وجدوه داخل خزينة عزيز، كان يعلم أن صديقه مستعد بالفعل لحرق العالم بأكمله إذا ما تعلق الأمر بابنته، فمُنيت كل محاولاته لتهدئة (فريد) بفشل ذريع ولم يجد سوى الموافقة لكن بترتيب وضعه بنفسه يحمل شيئًا من المخاطرة.

- حسنًا، سنتقابل هناك واسمعني جيدًا...

راح يسرد عليه بعض الترتيبات، وبعد أقل من ساعة وسط أجواء من الصمت والسكون يغلف مكانًا خاويًا مهملا يسكنه القطط والكلاب الضالة وترتع فيه الفئران، وقف (ألبرت) مساعد (فيكتور) بسترة كاملة وكرافات، بجواره آخر يقف متحفزًا بسلاح ناري في يمينه، وبيساره يقبض على ذراع الفتاة يتحدث عبر سماعة أذن لطرف آخر يؤكد على شيء ما، حين اقتربت سيارة (فريد) من بوابة المصنع المهجور وتوقفت أمامه، ترجل منها وتقدم نحوهم رافعًا يديه فوق رأسه، اقترب أكثر ثم تحدث للفتاة:

- لا تخشي شيئًا يا صغيرتي، سوف أصطحبك للمنزل بعد لحظات.

ظلت الفتاة تنظر إليه في سكون، فقط راقبته وهو يخرج المخبار

الزجاجي تسبح داخله العين يرفعها أمام وجهه:

- الآن ها هي أداتكم.. أعطني ابنتي.

تحدَّث (ألبرت):

- ليس بهذه السرعة.

أشار لمعاونه، تقدَّم ينتشل المخبار من يده ويعود به لقائده، قلبه الأخير في يده ثم اخرج ما يشبه القلم الضوئي سلطة عليها فظهرت قراءة على جانبه تبسم لها في جزل قائلًا:

- أردت إبلاغك أن من تعتمد عليه بالخارج تم الإمساك به، ما هي خطتك الآن!؟

ضحك (فريد) الذي لم يكن سوى العميد (فوزي) قائلًا:

- كنت أراهن على هذا، أنت لم ترَ (فريد) من قبل.

تيبس الرجل لحظة ثم انفجر في الضحك على نحو آثار دهشة (فوزي) قبل أن يعاجله بتفسير:

- ما لا تفهمه أننا نعرف الدكتور (فريد) وأسرته أكثر مما تتخيل.

ثم أشار للمساعد الذي استقبل أمر رئيسه بتصفية (فوزي)، لكن الأخير بينما يداه مرفوعتان خلف عنقه استل سلاحه من داخل عاتق سترته وقفز جانبًا يتفادى رصاصة المساعد ثم ردها برصاصة في رأسه لم تمهله أي فرصة للتحرك، حمل (ألبرت) الفتاة أمامه بيمينه بينما احتفظ بالمخبار في يساره قائلًا:

- احذر، إذا ما مست هذه العين الفتاة؛ فسوف تتأذى كثيرًا كما حدث لمعاون (عزيز).

قبل أن يعقب (فوزى) دخل مساعد ألبرت الثاني يدفع (فريد) أمامه، بدهشة مصطنعة قال (البرت):

- دكتور (فريد) مرحبًا، ابنتك كالنبات لا فائدة منها لماذا تبذل مجهود لاستعادتها.

احتدم الغضب والغيظ والكره في لهجة (فريد) قائلًا:

- أعطِني ابنتي وانصرف الآن.

تبسم متهكمًا:

- وإلا ماذا!؟ ستقتلنا بمبضع تشريح.

بينما الحديث دائر وقعت عينا المساعد الثاني على جسد زميله مدرج في الدماء فضربه التوتر ودفعه لتصويب سلاحه تجاه (فوزي) في لحظة أهمل فيها (فريد) استغلها وأمسك بمعصمه ورفع ذراعه الممسكه بالسلاح طاشت على إثرها رصاصة، حين انقضّ عليه (فوزى)، فاندفع (فريد) صوب (ألبرت) ينقذ ابنته، شرع (ألبرت) في الركض غير أنه تعثر بأرضية ناتئة، سقط مع الفتاة أرضًا فوق مخبار تهشم زجاجة، انكب (فريد) على ابنته وانتشلها بينما عيناها تتراخيان حتى سقطت مغشيًا عليها، تفحصها (فريد) في قلق، وقف (فوزي) مترقبًا بعد أن صرع المعاون الثاني، ممتقع الوجه زائغ البصر ينقل بصره بين الفتاة والعين و(ألبرت)، اقترب من الأخير وشرر غضب يتطاير من عينه:

- هل مستها الأداة!

زحف أرضًا وهو يقسم إنه لم يقصد ذلك، جثا (فوزي) فوقه يكيل له لكمات متتالية غرق لها وجهه بالدماء وسط دهشة (فريد) الكبيرة، فدنا منه يجذبه من فوق (ألبرت):

- (فوزي) كفى، الوضع تحت سيطرتنا بالفعل.

التفت إليه (فوزي) بأعين محمرتين تتقدان غضبًا مازجه شفقه، وفي حلقه غصة مريرة:

- فريد،...

صمت لحظات ثم أكمل:

- أعتقد أن ابنتك أصابها مكروه من المساس بتلك العين، كالذي تعرَّض له (سعد) وأصابته بـ...

لم يستطع إكمال العبارة أشاح بوجهه بعيدًا ثم نهض وجذب (ألبرت) من ملابسه يجبره على النهوض، بينما (فريد) ما زال يقف باهتًا مصفرًا زائغ البصر يعتصر ابنته.

- فريد.. دعنا لا نضيع الوقت، سنجري لها فحصًا طبيًا شاملًا على أمل أن...

- إذا ما أصيبت، فلا طريقة لديكم في شفائها.

هتف بها (ألبرت) فالتفت إليه (فوزي) وعاجله بلكمة مزقت نسيج وجهه وطرحته أرضًا متورم العين، انتزعه من جديد ينعته بأقزع السباب ثم وبمقت كاسح سأله:

- وما هو السبيل إذًا!

لهث وتلعثم بفم دامٍ:

- لا أعرف، جميعكم هالكون من الأساس، لقد أرسلوا (فيكتور).

قبض (فريد) على عنق (ألبرت) في غل:

- ومن هم!؟، وماذا تفعلون هنا؟!.

احتقن وجهه للغاية، شعر (فوزي) بالقلق فقبض على ساعد (فريد) وخلص عنق (البرت)، سأل (فريد) (فوزي) في لهفة غريق أمسك بقشة:

- أخبرتني أن (سعد) قال شيئًا عن خزينة عزيز بدا وكأنه علاج، ماذا وجدت داخلها!؟

تسلقت وجه (فوزى) إمارات الحيرة وقال:

- أغرب ما قد تجده في خزينة جراح رمد.

***

الفصل السادس

(المجلد السابع لابن الهيثم، وسلسة رخيصة لعين حورس!!، لماذا يخفي جراح رمد تلك الأغراض في خزينة مغلقة؟)

أخرج (فوزي) سيجارة وأشعلها ثم أومأ برأسه مؤكدًاللنقيب (مصطفى) الضابط من قوة مباحث قسم المعادى، أشار للمجلد السابع فوق مكتبه بعنوان (خداع الانعكاس)، جواره قلادة عين حورس الفرعونية.

- نعم يا (مصطفى) هذا كان كل شيء، أشياء لا تبدووكأنها تحمل أي دلالة كما اعتقدنا، وبمجرد انتهاء القضية سنعيدهم لابنة (عزيز).

عاد (فوزى) يسأل (مصطفى):

- ذلك اللعين المدعو (ألبرت)، ألم تخرجوا منه بأي معلومة جديدة!؟

نفى النقيب (مصطفى) وعقب:

- استعملنا كل الطرق معه، لو كان يعرف المزيد لقاله؛ من الواضح أنه شرذمة ممن لا يتم إطلاعهم على التفاصيل.

عاد (فوزي) للمكتب، فتح المجلد السابع على صفحة (ثلاثين) للمرة العاشرة منذ تسلمه الجِرز، أعاد تدقيق النظر لتلك الأرقام المتناثرة عشوائيًا بخط اليد وسط تلك الصفحة، مط شفتيه وهز رأسه دون فهم، دنا منه النقيب (مصطفى):

- تلك الأرقام بلا معنى، لن تقودنا لشيء.

هرس (فوزي) سيجارته في المنفضة ثم ارتشف آخر ما تبقى من فنجات قهوته، وسحب سترته من فوق المقعد وعقصها فوق ذراعه،

دسَّ الكتاب والميدالية وسط السترة وشرع في الخروج قائلًا:

- فريد يصدق كلمات (سعد) التي قالها قبل دخوله في غيبوبة على أن ما وجدناه في خزينة عزيز يحمل علاجًا، حتى لو مجرد كتاب وقلادة، ابنته تحتضر ولا يمكنني رفض طلبه في الاطلاع عليهما.

- كما تشاء (فوزي) باشا، فلن يسأل عليه أحد في ظِل الارتباك الراهن وسط البلد.

أومأ فوزي برأسه اتفاقًا وتأكيدًا وأضاف:

- بالفعل قوات العاصمة في حالة تأهب كبيرة، لدىالسلطات معلومة تفيد بتحركات مريبة تتم لإحداث شغب، دون أن يقف أحد على التفاصيل.

- لا أعتقد أن الأمن سيسمح بتجمعات مرة أخرى.

مطَّ (فوزى) شفتيه وعقب:

- لا أحد يعلم، سنرى قريبًا.

ربت (فوزى) على كتف (مصطفى) وانصرف خارج القسم، كان يعتبر (مصطفى) ابنًا له، يعطيه من الخبرات دون حساب.

وأمام القسم جلس (فوزي) خلف مقود سيارته، وضع سترته والكتاب والقلادة جواره وانطلق نحو مستشفى السرطان حيث ترقد ابنة (فريد) فاقدة الوعي، بعد أن قام باتصالات عديدة حتى حصل لها على سرير في تلك المستشفى والآن أحضر له إحراز على مسؤليته الشخصية.

دار بسيارته مع سور المستشفى الضخمة وسط حي السيدة زينب، ترجل من سيارته ودلف الباحة الخارجية الواسعة جدًا تحتضن ثلاثة أبنية أسطوانية متلاحمة يحيطها ما يشبه شراعى المركب وأمامهم بناء كروي من الزجاج، وداخل البناء المخصص لسن السبع سنوات في الطابق الرابع حث (فوزى) الخطى إلى غرفة الفتاة، وهناك كان المشهد

مفجعًا بحق، (ليلى) في الممر الخارجي للغرف في غمرات من الحزن تنهمر دموعها أنهارًا و(فريد) يجلس على مقعد مقابل مطرق الرأس زائغ البصر.

اقترب منه (فوزي) مشفقًا، وضع يده على كتفه، فانتبه(فريد) ورفع أعين مظلمة طمسها الحزن كأنما تقطران من ماءٍ آسن، عاجله (فوزي) بالكتاب وسلسلة حورس، قلَب (فريد) السلسلة والكتاب في خيبة أملٍ، لم يكن هذا ما كانت ينتظره، كان يتمنى قنينة ترياق أو وصفة دوائية، نهض وتطلع إلى (فوزي) بنظرة يأس وحزن اجتاح قلبه.

- لماذا اعتقد (سعد) أن ما بالخزينة يحمل شفاءً له، هل من شيء آخر كان بداخلها!

ضمَّ (فوزى) شفتيه أسفًا:

- هذا كل شيء.

عادَ يرصد عنوان الكتاب (خداع الانعكاس) لابن الهيثم المجلد السابع، راح يفرط أوراق الكتاب في ضياع حين أمسكه منه (فوزى) وفتحه على صفحة (ثلاثين):

- هذا ما تبحث عنه.

دقق النظر للصفحة تحتوي وسطها خمسة أعداد متناثرة عشوائيًا بلا معنى، نظر إلى (فوزى) باستجداء وغمغم:

- تسلسل الارقام السابقة...

تاهت منه الكلمات حين أخرج (فوزى) قلمًا وكتب علىهامش الصفحة تسلسل الأرقم في المجلدات السابقة.

نظر (فريد) إليه في المجمل، كان يأمل أن تفسر له الأرقام السابقة شيئًا، غير أنها زادتها غموضًا وعسرةً، ضاق صدره فطوى الكتاب وتمتم قائلاً:

- حسنًا حالما يستفيق (سعد) سوف نفهم المقصود تحديدًا.

بدا التردُّد على وجه (فوزي) وقسمات وجهه تشي بشيءٍ آخر يوَدُّ قوله فتعلقت عينا (فريد) به، تنحنح (فوزي) وتنهد في أسف:

- أبلَغوني منذ قليل أن (سعد) توفي، أتى عليه السرطان بعد (ثلاثين) ساعة تقريبًا من إصابته، تصديقًا لتنبؤ الأطباء.

ارتعشت عينا (فريد) وارتجف جانب فمه، تراجعت الدماءمن وجهه وشعر بشفتيه تخدرتا، انهار فوق المقعد ودفن وجهه في راحتيه وراح في هزيان طويل بين الوعي واللاوعي، لقد أصيبت ابنته منذ خمس ساعات، لم يبق لها في الدنيا سوى يوم واحد تقريبًا، رفع أعين دامعة، وقع بصره على (ليلى) تنظر إليه من وسط دموعها نظرة قاسية طمسها الحزن لو تحولت لكلمات لعصفت به.

لم ينقذه منها سوى وصول الطبيب الاستشاري، وقفَ (فريد) يستمع إليه ومن خلفه أنصتت (ليلي):

- يبدو أن ابنتك سيئة الحظ فقد توافقت تلك العدوى الجينية مع جينات جسدها على نحوٍ غريبٍ؛ نحن نبذل قصارى جهدنا لكننا لم نشاهد أو حتى سمعنا عن سرطان يظهر بغته يلتهم الجسم بتلك الشراسة والسرعة، العلاج الإشعاعي الحديث لم يبطئ حتى من تقدمه الشره.

تدخل (فوزي) مضيفًا في تردد:

- يوجد حالة أخرى أصيبت بنفس الطريقة وتوفت خلال (ثلاثين ساعة)، أستطيع أن أجعل الطبيب يتواصل معكم.

- حسنًا سيكون مفيد نوعًا، وبالفعل مدة الثلاثين ساعة هي المدة التي قررناها نحن أيضًا قبل أن يأتي السرطان على الأعضاء الحيوية للفتاة.

مست (ليلى) شفتيها بأناملها تحبس شهقة ملتاعة ولم تستطع، تراجعت في غمراتٍ من الحسرة، انسحقت روح (فريد) ود لو يفدي نفسه بابنته، لقد دمّر حالتها النفسية وتسبب في اختطافها، ثم بلغ به الإخفاق أن يودي بحياتها، شعر بأنه لا يستحق ما يتنفسه من هواء، تملّكته الفكرة وناءَ بثِقلها فشعر لوطأتها باختناق يقبض صدره وهانت عليه روحه.

تنهد الطبيب في أسف مصطنع ومعتاد قائلًا في تردُّد:

- بصفتنا أكبر مستشفى سرطان في الشرق الأوسط وعلى عِلمٍ بكافة تطورات علاج الأورام السرطانية في العالم فسوف أخبرك بأن هناك تقنية علاجية متطورة تم اختبارها بنجاح لكن لم يتم تعميمها، وما زالت قيد الاختبار، تدعى الخلايا الجذعية الموجهة .

أكمل الطبيب:

- لكن الدور الرئيسي يكون للعلاج المضاف لتلك الخلايا.

بدت بارقة أمل في الأعين حين عاجلهم الطبيب وأضاف:

- لكن في حالة ابنتك يجب أن يكون ذلك العلاج المضاف هو الصورة الأولية لتلك العدوى الجينية، إذا ما توافرت ستعمل على إطفاء النشاط الجيني السرطاني في جسدها كبداية، ثم تبدأ مرحلة علاج الضرر.

انهارت معنويات (فريد) من جديد وهو يردد:

- الخلية المصدر، كلمات سعد الأخيرة!

مط الطبيب شفتيه في حيرة:

- لو أن تلك العين التي حدثتني عنها هي سبب العدوىفستحتاج للجين النقي الأولي منها.

- حسنًا، لن أستطيع العودة إلى معملي، أريد مكانًا أقوم فيه بفحص

العين!

بدا التردد على وجه الطبيب لحظات ثم أجاب:

- لا أستطيع منحك تلك الإمكانيات هنا.. رغم عدماقتناعي لكن سوف أخاطب استشاريًا في جراحة العيون لديه تلك الآليات في مستشفاه، ربما يستطيع معاونتك.

عقب قوله بطلب رقم مسجل على هاتفه وضعه على أذنهلحظات ثم هتف:

- دكتور صبحي كيف حالك نأسف للاتصال الآن.. أشكرك يادكتور.. لدي طبيب زميل هنا يريد أن يستفسر منك عن شيء غريب يخص العيون.. أشكرك للغاية ها هو معك.

التقط (فريد) الهاتف وألقى على الرجل التحية ثم سرد له الوقائع فيما يخص العين وما تسببه، صمت (فريد) لحظات ثم تحدث:

- نعم سأحضرها لك، لكن أرجوك سآتي إليك الآن فالوقتضيق.. نعم.. شكرًا جزيلًا.. نعم أعرف المنطقة.. على الفور.

أعاد الهاتف للطبيب قائلًا:

- لقد استرعى الأمر انتباهه، يريد فحص العين.

استوقفه (فوزي) ممسكًا بذراعه:

- (فريد)، ما معك يبحث عنه الكثير، ستكون في خطرٍ.

- لو أن بها أملًا في شفاء ابنتي فلن يناله أحدٌ على الأرض ما دمت حيًا.

تنهد (فوزي) في قلق:

- لدي عمل في القسم لن أستطيع أن آتي معك لكن أخبرنى بموقعك باستمرار.

أنهى (فوزي) عبارته ثم رنا ببصره صوب الكتاب الذي يعتبر حرزًا لكن تمسك (فريد) به جعله يتراجع عن طلبه، قرأ (فريد) أفكاره فهز رأسه في امتنان قائلًا:

- العين والكتاب والقلادة معي يا فوزي، أعلم أن هذا أكثرمما تحتمله سلطتك لكن أرجوك أحتاجهم بشدة، وأتعهد لك بإعادتهم.

أطبق (فوزي) شفتيه وهز رأسه في ودٍّ:

- لا تشغل بالك، فقط كن حريصًا على نفسك، فسيبحث آخرون عن تلك العين.

طمأنه (فريد) بإيماءة مضطربة وشرع في المغادرة قبل أن تصفع (ليلى) وعيه بعبارتها:

- سآتي معك!

تصلب لحظة، تجنب النظر لعينيها، أومأ برأسه واستبقها، سارت خلفه وحافظت على خطوتين، مسافة آمنة عكست ما يعربد في قلبها من عدم استمرارهما جنبًا إلى جنب بعد الآن. كانت تنظر إليه يحث الخطى أمامها غريبًا لا تعرفه، عدو مستهتر، حاصرتها رغبة خفية في العودة إلى الماضى فطار عقلها عبر الزمان تسع سنوات، وهي تقود فوجًا سياحيا صغيرًا في منطقة سقارة تقص عليهم أصل ممرات أثرية تدعى (السيرابيوم)، حينها توقفت عن الشرح عندما انتبهت لأحد السائحين وسط الفوج يجرى اتصالًا ثم تخلف عن الفوج، وضع لا يثير الشكوك، لكن عقلها كان مختلفًا، ضربها الارتباك واستدارت تدقق النظر حيث الأرضية الترابية للممر، أخذت نفسًا عميقًا ثم أعلنت للفوج:

- سوف نتوقف هنا قليلًا.

أنهت عبارتها وأجرت اتصالًا هامسًا من هاتفها، وبضبط نفس تحسد عليه راحت تشرح الرسوم الجدارية كسبًا للوقت إلى أن ظهر رجلا شرطة، ما إن اقتربا حتى ركض ذلك السائح هربًا، قبل أن يطلق

رصاصات طائشة من سلاحه أثارت الذعر، وساد الهرج، لاحقه رجال الشرطة وبرصاصة محكمة في ساقه أردته أرضًا، بينما فريق من الشرطة اقتحم المدخل، أشارت إليهم (ليلى) نحو أرضية الممر هاتفة:

- هنا أسفل تراب الممر أمام نحت (أبيس).

انحنى الرجل أرضا وازال التراب بحرص حتى عثر على لغم أرضى شديد الانفجار عكف عليه أحدهم، دقائق وكان يسحبه من الأرض بعد إبطال فاعليته، بعد استقرار الاوضاع جلست (ليلى) بالخارج يشوبها التوتر، دنا أحد رجال المباحث منها قائلًا:

- سيدة ليلى، بلاغك أنقذ العشرات، ومعهم سمعة البلاد، لكن قبل أن نبدأ التحقيق على الورق أريد أن أعرف كيف علمتِ بالأمر وكشفتِ ذلك الإرهابي!

تلعثمت قليلًا قبل أن تجاوبه:

- أنا على دراية بقراءة لغة الشفاه، كان لي قريبة صماء، هكذا علمت بما يقوله عبر الهاتف بصوت منخفض و....

ضاعت منها الكلمات فأومأ الضابط متفهمًا ومطمئنًا:

- لا بأس سوف نكمل التحقيق لاحقًا.

ثم انصرف لمتابعة عمليه الإخلاء.

سحبت (ليلى) من حقيبتها زجاجة مياه فكانت فارغة،وضعتها جانبًا، حين أبصرت يدًا ممدوة إليها بزجاجة مياه مغلقة، وعندما رفعت بصرها لصاحب اليد كان رجلًا يبتسم في ود وقام بتعريف نفسه:

- (فريد عبد الجليل) الطبيب الشرعي المسؤول عن الحادث.

تناولت (ليلى) الزجاجة وشكرته حين تساءل (فريد):

- سيدة ليلى هل تتحدثين اللغة الأوردية!؟

لم تفهم المغزى من السؤال غير أنها هزت رأسها نافية، وأضافت:

- لا، لم أدرسها وليست تخصصي.

أوماً (فريد) برأسه موافقًا ثم أضاف:

- أستاذة ليلى، قلتِ لضابط المباحث إنكِ عرفتِ كل تلك المعلومات من قراءة شفاه ذلك الرجل.. والتحريات عنه اثبتت انه لا يتحدث سوى الأوردية.

راح لون وجه (ليلى) وتحصنت بالصمت لحظات قبل أن تجيبه:

- هل يلزم حقًا معرفة كيف علمت بالأمر، أم إنقاذ السائحين!؟

تبسم (فريد) وأجاب:

- معرفتك لتلك المعلومات دون سبب وجيه ستزج بك في التحقيق لأيام طويلة وتحريات مرهقة.

أشفقت (ليلى) وأثرت الصمت فأضاف (فريد):

- سيتم التحقيق معكِ رسميًا، ستقولين إنك تعرفين بعض الكلمات الأوردية، وسيخلى سبيلك بعد ساعة واحدة.. اتفقنا...!؟

(هل ستركبين معي)!؟

صكت الكلمة وعي (ليلى) فأعادته من رحلته للماضي إلى مرقاب سيارات مستشفى سرطان الأطفال، كانت تسير مخدرة حين سمعت (فريد)يسألها فيما يبدو أنها للمرة الثانية ويشير لسيارته:

- (ليلى) هل ستركبين معي!؟

حدقت في وجهه لحظة، أبت نفسها الجلوس جواره هزت رأسها نافية:

- سأستقل سيارتي.

ألقتها وشرعت في التوجُه لسيارتها حين سألها:

- لو فقدتِ أثري، عنوان العيادة هو....

التفتت وتبسمت ابتسامة هازئة مريرة وبترت عبارته:

- أنت تعلم أنني عرفته.

***

وسط ميدان شهير، خفض (فريد) من سرعة سيارته ثم انعطف داخل مرآب للسيارات أسفل بناء أنيق من ثلاثة طوابق تتصدره لافتة ضخمة ومضيئة خُطَ فوقها (مستشفى الرمد للجراحات التخصصية الفائقة)، ترجل من سيارته في الوقت الذي اصطفت (ليلى) بسيارتها جواره، حثا الخطى في صمت حتى مدخل البناية، ألقى (فريد)نظرة على ساعته، شرع يتفوه بكلمات يبست في حلقه وتراجعت، صعدا بضع درجات حتى موظف الاستقبال داخل بهو أنيق سأله (فريد) في عجالة:

- دكتور (صبحي عبد الحي) يعمل هنا!؟

أجابه موظف الاستقبال دون اهتمام:

- إنه صاحب المستشفى.

- حسنًا، لدي موعد معه الآن، أين أجده؟

ألقى الموظف نظرة للساعة جواره في ضيق من سيضطر للمكوث وقتًا إضافيًا، أجرى مكالمة في آلية ثم أشار له صوب المصعد:

- سيصل مكتبه بعد دقائق.. الطابق الثاني.

تسلق المصعد طابقين، وانفتح بابه أمام رواق خاوٍ ذي إضاءة هادئة يصطف على جانبيه نباتات زينة ومقعد، نهض من فوقه بتكاسل عامل بالمستشفى استبقهم لغرفة مغلقة وفتحها:

- دكتور (صبحي) قادم بعد قليل.

احتواهما مكتب ضخم أنيق ذو مستويين يتراص في القطاع الثاني منه العديد من أجهزة طبية تبدو متطورة. مرت دقائق ثم سمعا صوتَ رجلٍ يعطي تعليمات بصوت متعجل فتوجَّه بصرهما تلقاء باب خلفي انفتح بغتة وظهر خلفه معطف أبيض يحتوي رجلًا قصير القامة في العقد الخامس، تفحصهما بعينيه الضيقتين، تبسم مجاملة ثم جلس خلف مكتبه في إرهاق قائلًا:

- مرحبًا بك دكتور (فريد)، حالة طارئة كما تعلم.. تفضلا.

أومأ (فريد) برأسه متفهمًا، تصافحا ثم غاص الجميع داخل مقاعد وثيرة تفقد (فريد) وجه (صبحي) الحليق، لطَّخ الشيب ما تبقى من جانبي شعره أكسبه وقارًا يمازجه إرهاقٌ بادٍ في عينيه جنى ثماره شهادات مكدسة فوق حائط بطولات خلفه.

تبسم (صبحى) حين رصد نظراتهما:

- حقيقة لقد ورثت جراحة العيون عن والدي رحمه الله، بداية العيادة كانت له، وتطويرها هكذا بدأ منذ دراستي الطب في أمريكا.

جاهد (فريد) حتى تبسَّم بينما عيناه متعلقتان بلوحة معلقة عن يمين المكتب قائلًا:

- أليس هذا ابن الهيثم!؟

- بالضبط كشعار للعلم التجريبي وجواره العالم جاليليو كشعار للعلم الحسي، وفوقهم...

أشار (صبحي) لأعلى دون النظر للصورة حيث طفلان مجنحان بهيئة ملائكة يمسكان بشريط مكتوب فوقه باللاتينة وأضاف:

- ارفع بصرك لأعلى وتدبر مَن خلق هذا!.. اقتباس من سفر أشعياء، إنها لوحة (السلينوجرافيا- Selenographia) وتم اتخاذها غلافًا

لكتاب يحمل نفس الاسم، أحتفظ به أيضاً.

بصعوبة أوماً (فريد) مجاملًا وبعقل مثقل بالهموم لم يستحضر التعليق المناسب فتخلى عن قواعد اللياقة، وأخرج من جيب سترته مخبازًا احتوى سائلًا سكنت وسطه العين:

- هذه هي يا دكتور، احرص على عدم لمسها مباشرةً.

قلبها (صبحي) في فحص ظاهري دون انفعال:

- لا بأس.

فتح المخبار وأخرجها بماسك لين، تفحصها بعينيه المجردتين:

- تبدو عين بشرية تامة لكن..سنرى

مضى بها للقطاع الثاني من المكتب حيث جهاز فحص متطور وضعها أمام عدسته، تصاعد فحيح تشغيل الجهاز وراحت شاشته تعرض أدق تفاصيل العين، دنا (فريد) يراقب عن كثب بشيء من المعرفة لا ترقى لحد التخصص، حين قال (صبحى) دون أن تغادر عيناه الشاشة:

- تركيب العين البشرية عمومًا شديدة التعقيد، لم يجرؤأحدٌ على التفكير في تخليقها معمليًا، لكن الفحص هنا أظهر دلالات تخليق معملي.

اقترب (صبحي) من الشاشة وأكمل:

- بقايا خلايا جزعية بكر، عامل جيني مجهول، محفزات فيزيائية وكيميائية!!

تقدمت (ليلى) منه:

- ما نحتاجه لعلاج ابنتي دكتور صبحي هو ذلك الجين في صورته الأولى، هل يمكننا استخلاصه!؟

تردَّد (صبحي) لحظة ثم أجاب بحسم:

- بالطبع لا، محاولات تخليق عضو بشرى- باختصار شديد- تبدأ باستخراج خلايا جذعية متعددة المهام من جسم حي، ودفعها معمليا لتكوين العضو البشري المراد تخليقه عن طريق جين بدأ تكوين ذلك العضو، بعد تعريضها لمحفزات كيميائية وفيزيائية بمعايير ومعادلات غاية في التعقيد وبمجرد اختلاطهم وتكوين العضو، الجين هنا تطرأ عليه سلسلة تحورات لا يمكن إحصاؤها.

- في رأيك كيف يمكننا الحصول عليه!

- جهاز الفحص يراجع خواص الجين لديه ليتوصل لنوعه، وقتها ربما نتمكن من الحصول عليه.

- هل حقًا من شأن التعرض لذلك الجين أن تثار أورام سرطانية بالجسم البشرى كما حدث لابنتي!؟

- نعم، أرجح أنها عدوى جينية، لكن أعتقد أنها لا تصيب الجميع، فقط من تتوافق جيناتهم معه.

قاطعهما صفير متقطع من الجهاز، دقق (صبحى) النظر لنتيجة فحص الجين فوق الشاشة مقتضبًا علت وجهه الدهشة.

- عجيب!.. الجهاز مصمم للتعرف على جميع أنواع الجينات مهما كانت نادرة، ومع ذلك لم يتعرف على نوع ذلك الجين.

أطرق (فريد) برأسه، كان يعلم أن الأمور لن تسير معه بذلك اليسر، دائمًا يمني بالتعقيدات، حظه العاثر لن يتحسن أبدًا، فكر لحظات ثم قرر العودة للخطة البديلة، رفع الكتاب في يده وفتحه على صفحة (ثلاثين) حيث أرقام المتوالية التي كتبها له (فوزي)، وأسفلها الخمسة أرقام المتناثرة قائلا بتردد:

- مجهول صنع تلك المتوالية للدكتور (عزيز شاكر) قبل وفاته، كان

يعكف على حلها حين داهمه غرباء، زوج ابنته أصابه ما أصاب ابنتي وكان يعتقد أن ما به يمكنه علاجه.. الجين المصدر.

تناول (صبحي) الكتاب والقلادة في استهانة، قلبهما في يديه، تصفح المجلد السابع للمناظر، قرأ الاسم، مط شفتيه وقلب كفه مستنكرًا:

- كيف يمكننا استياق نوع جين مجهول من تلك الأرقام يا دكتور!؟

تدخلت (ليلى):

- ألا يعني وجود ابن الهيثم شيئًا!

- نوعًا ما، ابن الهيثم هو أول من حدَّد كيف يمكننا أن نرى بأعيننا من الأساس، وأول من وضع تشريحًا تفصيليًا لمكونات العين البشرية وما زالت تسميته لمكونات العين تُستعمَل حتى يومنا هذا، مثل القرنية والشبكية والعصب البصري وغيرها ، لكن ذلك لا يكفي لنتوصل إلى مصدر جين مجهول.

أشار (فريد) للأرقام في الكتاب:

- الستة أرقام تلك كان موزعة في الستة مجلدات الأولىمن الموسوعة، (37 ،20 ،31 ،14 ،2 ،30).. والخمسة أرقام هذه (،144 (16،18، 160 ،12 كانت متناثرة في صفحة المجلد السابع كما هي وأسفلها جزء صغير من الصفحة مهترئ...

تلاشت جدران الغرفة من حول (صبحي) وضجيج الحيرة يطرق رأسه، راح يردد:

- سبعة مجلدات تحتوي خمسة أرقام متوالية ومجلد سابع يضم خمسة أرقام أخرى، لا تبدو كمفتاح تسلسل جيني مثلا!؟

تبدو لي أنا (كمفتاح أوكتاف).

التفتا صوب (ليلى) حيث وقفت ساكنة طوال دقائق، مرتبكة حائرة، بدا من تنهيدتها أن حديثهم يجثم على صدرها وعقارب الساعة تلتهم

الوقت ومعه روحها، تقدمت منهما قائلة:

- لوحة أزرا البيانو مقسمة لـ (سبعة مجموعات) وكل مجموعة هي (سبعة) أزرار بيضاء متتالية تحتوي (خمسة) أزرار سوداء، أنت كما لو أنك تتكلم عن (مفاتيح الأوكتاف) للبيانو.

تساءل (صبحى) مندهشًا:

- أرى أنكِ عازفة بيانو مدام (ليلى).

- حقيقة كنت أتابع تمارين البيانو الخاصة بابنتي (ريم)، شفاها الله.

بعفويه اختلس (فريد) نظرة خاطفة إلى (ليلي)، لاحظته فأشاحت بوجهها عنه وأكملت:

- أين يمكن أن يتوافر بيانو الآن.

تلاقت الأعين وساد الصمت لحظة قبل أن تعيد (ليلى) طلبها مقترنًا بتوضيح.

- حسنًا، الأوتار الموسيقية يقابلها قيمة رقمية وكسور رياضية متغيرة.. ومن قام بتوزيع تلك القيم الرياضية على المجلدات جعلها بنمط متوافق مع السلم الموسيقى ومفاتيح أوكتاف البيانو لمعزوفة ما.

اتسعت عينا (فريد) وأضاء نور المعرفة جنبات روحه:

- هل تعتقدين أن تلك الشفرة الرقمية هي...

لم يكمل (فريد) عبارته عندما أومأت (ليلى) برأسها وأضافت:

- إن الموسيقى عبارة عن معادلات رياضية مسموعة.

بذهول مازجه حماس بلغ ذروته، صاح (صبحي):

- هل تعلمون أنهم عندما قاموا بتحليل مقطوعاتالموسيقار النمساوي

(موتسارت) رياضيًا، اتضح أنه يستعمل النسبة الذهبية في نمط الكسور المتغيرة لألحانه حث (صبحى) الخطى صوب حاسوبه الشخصي:

- يمكنني توفير بديل.

أدار الحاسوب ناحيته وأضاف:

- لدي برنامج هنا للآلات الموسيقية من بينها البيانو، يمكنكِ العزف بأزرار لوحة المفاتيح، لكني حقيقةً لا أدري ترتيبها.

دققت (ليلى) في شاشة الحاسوب حيث تظهر أزرار بيانو كبير ينتظر العزف عليه، جذبت مقعد وراحت أناملها تعبث بأزرار لوحة مفاتيح الحاسوب وتتابع تأثير ذلك على أزرار البيانو فوق الشاشة، حتى تمكنت من استيعاب نمط توزيع أزرار البيانو على لوحة مفاتيح الحاسوب .

فتحت الكتاب أمامها وراحت تقسم الأرقام إلى مجموعات الاوكتاف وفق كسور متغيرة، وفوق كل مجموعة راحت ترسم رموز النوتة الموسيقية المعروفة حين ارتجفت يداها لحظة وبدا أن عقلها يفور بمعاناة كاسحة من شيء ما، وبينما الصمت يسود المكان وأعين الترقب تتابع عن كثب، مست (ليلى) بأنامل التردد لوحة أزرار الحاسوب، وبدأت العزف بانسيابية ينبوع صافٍ من النغمات العذبة، حين اختلج قلبها وتوقفت بغتة، بينما أعين (فريد) احتقنتا واعتلا وجهه الذهول، فتساءل (صبحي):

- ما الأمر!؟، لماذ توقفتِ أستاذة ليلى!؟

أسبلت (ليلى) عينيها تغالب شعورًا كاسحًا اعتراها، بينما (فريد) زفر ما يعتل به صدره مسيطرًا على انفعاله، أجاب (فريد) دون النظر إليه:

- الآن فهمت سبب احتفاظ (عزيز) بصورة ابنتي في الجريدة، تلك المقطوعة الموسيقية.. ريم هي من قامت بتأليفها.

***

رغم أن الشمس توارت خلف مباني حي (الجمالية) العتيقة إلا أنها ظلت تقوى على مد خيوط من أشعتها الشحيحة تقاوم في يأس زُرقة ليل راح يزحف على شوارع ضيقة داخل أسوار القاهرة القديمة خلف (بوابة الفتوح) مباشرةً، حيث يقبع هناك بطول (120) متر وعرض)113) متر تحفة معمارية بدأ بناءها الحاكم الفاطمي (العزيز بالله) خارج أسوار القاهرة لكنه توفي قبل إتمامه، فأكمله (الحاكم بأمر الله) وسماه نسبة إليه (مسجد الحاكم بأمر الله)، ثم جاء الوزير (بدر الدين الجمالي) وضم المسجد داخل الأسوار بعد توسعتها، وعلى الرغم من أن الصلوات ما زالت تقام في المسجد إلا أنه أضحى مزارًا سياحيًا أكثر منه مسجدًا، يقصده كل باحث عن عراقة وأبداع تاريخ السلف، واليوم بدا غير تقليدي عندما التف داخله حشد كبير من الشباب وسط إيوان القبلة حول شخص مجدول الشعر معقوص برباط وترك ضفيرة قصيرة تنسدل خلف ظهره، بدا من طريقة الإشارات بيديه أنه يخطب فيهم بشيء ما بصوت مرتفع حتى يبلغ عشرات الجالسين أمامه والواقفين في الصفوف الخلفية من الدائرة، يردد كلمات حماسية، يصغى له الجميع مشحذى الحواس تتمازج مشاعرهم وتتضارب على نحو بدا وكأنهم يستقبلون معلومات مست وترًا حساسًا في أرواحهم؛ وراحت تقرعه بلا توقف، شعور جمعي بالانتشاء والتحرر، شعور لم يجرؤ أحد من قبل على البوح به علانية.

راحت الوفود تتوالى، حين جلس عند أطراف الدائرةالحشد التابع لـ (هشام)، ومضي الأخير يشق طريقه للداخل، يصطحب خلفه (جمال) و(ريناد) على نحو بدا وكأنه أحد المنظمين ذي الكلمة المسموعة، صافح (هشام) المتحدث ثم جلسوا أمامه مباشرة، دار (جمال) بعينه فيما حوله رصد بعض الوجوه المألوفة من زملائه في الكلية العلوم، عاد للتركيز مع المتحدث بحديث منمق لكلمات مدروسة راحت تنساب داخل عقله في نعومة تشكل يقينًا يضرب كل موروث حتى فتّته:

- أحبائي كما قلت لكم، نحن هنا اليوم وبهذا العدد، بعد عناء شديد مرَرنا به، وبعد مثابرة في طريق وعر مفخخ، منذ بضعة أعوام عندما أصدرنا البيان الأول لنا، دستور ومنهج سنتبعه، أقسمنا على حمايته والالتزام به، استطعنا وقتها أن نوجُه بعض الانتباه إلينا وكثيرًا من السخرية، لكننا تحملنا حتى اجتاحت البلاد ثورةً كبيرةً فنزلنا وطالبنا بكامل حقوقنا في اعتراف الدولة بنا، وقتها انضم إلينا العديد وبتنا قوة لا يستهان بها... نحن متطورون، سقينا عقولنا بالعلم فنبتت وازدهرت حقائق علمية حطمت صنمًا قديمًا.

صمت قليلًا يتيح فرصة لعقول المحتشدين حوله للتأثر بكلماته يستمتع بمراقبة وقع كلماته على وجوه يغزوها الحماس والتأثر، اقتضب ورسم الغضب على ملامحه وعاد للتحدث:

- واليوم تأتي الدولة بمنتهى الاستفزاز وتناقش مشروع قانون لمطاردتنا قضائيًا!... نحن نتحدث معهم بالعلم والعقل، فينتقمون منا!، نناشدهم الاستماع إلينا فيولونا ظهورهم، الآن نحن على أعتاب مرحلة فاصلة، سيتحرر بعدها الجميع، لن يخفي أحدٌ انتماءه، سوف يعلن الجميع سيادة العلم والعقل فقط، سوف نعلمهم كيف بدأ الخلق وكيف تطورت الكائنات طبيعيًا من العدم، بالحجة والبرهان، حتى أعضاء الجسد البشري جميعها تم التثبت يقينًا من الناحية العلمية أنها تحمل جينات من الخلية الأولى مما يؤكد تطورها التدريجي الطبيعي.

هنا سرت همهمة بين الحاضرين وتبادل البعض نظرات الريبة والقلق، التقطها الخطيب فتبسم في ثقة وجذل وقال لهم:

- أعلم ما تتهامسون بشأنه، ولقد تعمدت إثارة تلك النقطة التي كنا نتجنبها جميعًا ونخشاها كالطاعون، السوط الذي كان يجلدنا به المتدينون، الثغرة في نظرية العالم (تشارلز داروين)، كيفية تطور أكثر أعضاء الجسد تعقيدًا، وعدم اكتشاف خلية أولية تحمل جينات لبدء نشوء ذلك العضو المعقد والوحيد الذي كاد يطيح بالنظرية كلها!! اليوم

أسوق إليكم هدية الخلاص والأمل، خلال ساعات من الآن سينعقد مؤتمر طبي عالمي ببث مباشر، وسيتم الإعلان فيه عن كشف علمي، انطلاق ذلك الكشف سيكون بمثابة إشارة بدء مستترة لتجمع الحشود في كل دول العالم؛ تطالب بشيء واحد اتفق عليه الجميع، وحتى ذلك الحين سنقوم بما يمليه علينا واجبنا تجاه القضية، سأخبركم بخطواتنا التالية التي سوف نبدأها للتأكد من عدم مطاردتنا قضائيا بعد الآن، تحت مظلة حماية دولية.

سرت رجفة في قلب (جمال) عند ذلك الحد من كلمات الرجل وما وصل إليه الأمر من تصعيد، سبحت في مخيلته صورة والده عندما يعلم ما يقوم به، لكن العِلم فوق الجميع، سوف نفعلها وتكون الغلبة للعلم والتكنولوجيا.

تشابكت أيدي (جمال) و(ريناد) دون وعي وقبضا برفق على أنامل بعضهما يعلنان تضامنهما، استنشق (جمال) أريج الحرية بعد أن وصل بتفكيره لهذه النقطة واطمأن بها وسرت لها في أوصاله قشعريرة التحرر.

***

- دكتور فريد، لقد جئت إلى هنا طلبًا لمعاونتي في إنقاذ ابنتك، إن لم تطلعني على كل ما تعرف، فسأعتبرها إهانة وسأنهي مقابلتنا الآن.

تحصنا (فريد) و(ليلى) بالصمت لحظات، حين تطوع (فريد) بالسرد:

- (ريم) أبدت ميلًا فطريًا للموسيقى منذ صغرها، راحت تعزف على بيانو بدائي كان لديها، حتى إنها قامت بتأليف مقطوعة موسيقية دون أن تتعلم شيئًا عن العزف، منذ بضعة أشهر تقدمنا لها في مسابقة عالمية للبحث عن موهوبين، فازت بالمركز الأول، وترشحت لبعثة لأمريكا لتعلم العزف الاحترافي لكننا رفضنا سفرها، فتكفلت الشركة الراعية بمنحها بيانو احترافي وبمصاريف تدريبها منزليًا، على أن تنضم

لفريق المؤسسة فيما بعد .

أومأ (صبحي) برأسه متفهمًا ثم عقب:

- هل تعرف مسمى ما تتحدث عنه!؟

اكتفى (فريد) بنظرة مرتبكة وأشاحت (ليلى) بوجهها تعلن عدم احتمالها للمزيد، تركزت عينا (فريد) في وجه (صبحي) في صمت يشي بتأييد ما يدور بخلده، لم يطق (صبحي) معها صبرًا واندفع فيض الكلمات منه:

- إنها (متلازمة الطفل الموهوب المكتسبة)، متلازمة نادرة ومتباينة؛ بعض المصابين بها يرى مشاهد في رأسه يرسمها بدقة، وآخر قام بنحت تماثيل بديعة رغم أنه لم يتعلم النحت أصلًا، وأحدهم اعتدى عليه لصوص وتلقى ضربة على رأسه ثم بدأ بعدها يرى مخططات هندسية بأنماط لا يمكن لأحد رسمها إلا ببرامج حاسوبية ضخمة، وهناك طفل ضرير كان يرى عن طريق اهتزاز الأجسام من حوله كالوطواط، وغيرها من الحالات المسجلة، لكن حالة ابنتك تحديدًا تتشابة مع جراح العظام الأمريكي (توني سيكوريا) الذي تلقَّى صاعقة برقية أثناء تواجده في منطقة نائية، ظلَّ أسبوعين يهذي ويعاني من النسيان ثم تعافى ليجد نفسه مهووسًا بالعزف على البيانو، كان يقول إنه يسمعها في رأسه كما لو كانت تأتيه من السماء، كما كان يقول الموسيقار النمساوي (موتسارت) .

نقل (صبحي) بصره فيما بينهما عله يطالع آيات الإبهار غير أنه اصطدم بنظرة متجهمة مشفقة لا تشي بأي مفاجأة، فتدراك مغمغمًا:

- صحيح، لا بُدَّ أنك بحثت تلك الأمور بعمق كبير عند نبوغ الفتاة

أماً (فريد) برأسه وانفرجت شفتاه:

- نعم.. ويوجد أمرٌ آخر أود إخبارك به، بعد فوز (ريم) في المسابقة تعرضت لمحاولة اختطاف فاشلة، عندما شعر المختطفون أنهم

مدرّكون ألقوها من السيارة، أصيبت بصدمة عصبية ونوع نادر من التوحد، عقلها عاد للصفر، وفقدت جميع المهارات المكتسبة باستثناء العزف، استمرت تحاول إنهاء مقطوعتها في ألم وعناء، وأثناء ذلك كان يظهر على رسخيها ووجهها علامات حمراء دامية، لا سبب طبي معروف لها.

- يا إلهي..

أصيب (صبحى) بالاسي لما سمع عن تلك الفتاة البائسة ولم يجد ما يعقب به، فقلب كفيه وهمس:

- هل هناك المزيد!؟

أجابه (فريد) بإيماءة نافية ولم يعقب، زفر (صبحى) والتفت إلى (ليلى) قائلًا:

- حسنًا أستاذة (ليلى)، فلنكمل تلك المقطوعة.

دون تعقيب استدارات (ليلى) لحاسوب راح يخرج منه نغمات رقراقة تخلب اللب من فرط توافقها، سماوية كألحان الجنة، تنساب في نعومة داخل العقل فتزدهر في القلب، تضرب الفؤاد كهمسة من همسات الكون، خشعت لها الأرواح وخفقت القلوب مأخوذين بما سمعوا، حين توقفت (ليلى) بنغمة مبتسرة، وظلّ الجميع على وقفته للحظاتٍ، حتى تسلل صوت (ليلى) للآذان:

- توقفت ريم عند هذا الحد، ختام المقطوعة هي ما كانت تحاول تكملته.

تسلقت أمارات الإرهاق ملامح الدكتور (صبحي) قائلاً:

- حسنًا، بعد أن أرشدتنا أرقام المجلدات إلى مقطوعة (ريم) الموسيقية، ما الذي يمكننا الحصول عليه منها؟!

- عبر الكسور المتغيرة يمكنني استياق رموز وأرقام من نوتة

المقطوعة، قسم العرض وقسم التفاعل وقسم الإعادة، السلم الكروماتيكي فيهم مقسّمٌ إلى 12 نغمة بين كل نغمتين نصف بُعدٍ.. بالإضافة إلى أن القالب هنا مقسّم بين عدة رموز a، b... وغيرهم.

ساد الصمت فالتفتت (ليلى) إليهما حيث ظلا واقفين تتراقص البلاهة في وجهيهما، أومأت متفهمة عدم إلمامهما بقواعد النوتة الموسيقية، فعادت للأنماط الموسيقية التي خطتها في صفحة الكتاب وغاصت في بحر من الحسابات للحظات قبل أن تبدأ في ترديد رموز مقترنة بأرقام، أوقفها (صبحي) وحثّ الخُطى خلف مكتبه وأدار حاسوبه الشخصي نحوه، قائلا:

- من فضلك أملي على الجميع تلك الرموز والأرقام بتروٍّ.

على مدار عدة دقائق راحت (ليلى) تمطر (صبحى) بسيل من الحروف والأرقام، بينما (صبحى) يغذي بها برنامج في حاسوبه، وحين انتهت (ليلى) من عملية التحويل المرهقة، أدار (صبحى) شاشة الحاسوب إليهم، التصق (فريد) بالشاشة غير مصدق ما يرى، همس دون وعي:

- معادلة جزيئية !؟

لم يستطع (صبحي) كبح الافتتان في صوته:

- معادلة ضخمة من ثلاث قطاعات، غاية في الروعة والتعقيد.

أشار (صبحي) للقطاع الأول والثاني من المعادلة وقال همسًا:

- عناصر القطاع الأول والثاني متكاملة ومتوازنة بروابط مستقرة تامة.. القطاع الثالث ما زال غير مكتمل.

بأعين متسعة تتقافز فوق عناصر المعادلة همس (فريد):

- لأن (ريم) لم تكمل خاتمة المقطوعة، لكن انظر لسبب استقرار القطاع الأول والثاني، روابط تشبه خواص جين (pax6)، لكنه مختلف نوعًا.

ارتدي (صبحى) عوينات أخرى ودنا من الشاشة كثيرًا إلى حيث يشير

(فريد)، قبل أن يهمس قاصر الطرف على رابطة الجين:

- قدرات الجين متضاعفة كما لو أنه 12 pax

تدخلت (ليلى) اعتراضًا:

- هل يمكن لأحدكما إبقائي على معرفة بما يحدث!؟

خلع (صبحى) عويناته وفرك عينين محمرتين، وتنهد شارحًا:

- (الباكس) عائلة جينية وظيفتها إصدار أوامر للخلاياحتى تتجدد، أو للبدء في تكوين الأنسجة والأعضاء أثناء الحياة الجنينية في رحم الأم، وبالأخص (pax6) هو الجين التنظيمي لبدء نمو العين والمخ والجهاز العصبي المركزي والغدة النخامية والبنكرياس، لكن الخواص هنا مضاعفة، نحن أمام (12 pax)على الأقل.

أومأت (ليلى) برأسها متفهمة وأضافت في لهفة:

- عظيم هذا ما نبحث عنه، إذا كان استخلاصه من العين مستحيلًا فيمكننا استخلاصه من متبرع، أو أيًا كان!!

جاوبها لحظات صمت حائرة، قطعها (صبحي):

- لا يوجد كائن حي معروف يحمل جين بتلك القدرات.

ثم استدار إلى (فريد) وأكمل:

- أنت حرفيًا.. كما لو كنت تبحث عن الخلية الأولى للخلق.

تذكر أنك حملت رواية الرمز السابع مجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

الفصل السابع

من داخل إحدى ناطحات السحاب بولاية (فلادلفيا) الأمريكية، تطل من الطابق الستين قاعة أنيقة واسعة يغلب عليها اللون الأبيض يمازجه الأزرق السماوي ينعكس على الأرضية البُرسيلين الناصعة وحول طاولة مستطيلة من العاج جلس عددٌ من الأشخاص غربي الملامح، يبدو عليهم أمارات الجدية والخطورة يستمعون في إنصات شديد لرجل يجلس على رأس الطاولة تراص أمامه بضعة ملفات متشابهة، ذات أغلفة زرقاء، وضع كفّ يدِه فوقهم قائلًا:

- كما تعلمون، البيان سينطلق في أرجاء العالم قريبًا، وحيث أننا لن نترك مجال للصدفة فقد تمكنا من حشد أهم الشخصيات البارزة في كل أنحاء العالم، تميزوا بمصداقية وشعبية لدى شعوبهم.

فتح أول الملفات على صورة رجل ذي شعرٍ ناعم كثيف ووجه نحيل وعينين ضيقتين:

- (نيكوازي هيديكي) ياباني الجنسية تقلد مناصب علميةعديدة ونال جوائز على مستوى قارة أسيا والعالم، أثرت في تطوير تقنيات طبية هامة جدًا، له شعبية جيدة وشهرة واسعة نظرًا لمساعداته الطبية للفقراء دون مقابل، لقد تم ضمه لفريقنا وسيكون ممن يلقي البيان الطبي من اليابان بعد البيان الرئيسي مباشرة.

فتح ملف آخر على صورة رجل أسود البشرة وشرح:

- (سيوات جوما) طبيب بشري من أصل أفريقي،متخصص في علم الكيمياء الحيوية، له مشاركات عديدة في أبحاث أوروبية، لكنه فضّل العودة لأفريقيا للمساهمة في القضاء على الأمراض الوبائية بمستشفى علاجي خيري ضخم، نال معها هناك شهرة وحبًا واحترامًا.. سيقوم بدوره بإلقاء بيان داعم لاحق على البيان الرئيسي موجه لشعوب الجزء الجنوبي للقارة الأفريقية.

أغلق الملف وفتح آخر على صورة سيدة تتمازج ملامحها بين الشرقية والغربية، أثارت انتباههم، غمغم أحد الجالسين في دهشة:

- هل هذه هي...

لم يجد الوصف المناسب فبتر عبارته، أومأ الرئيس برأسه إيجابًا:

- نعم هي، الجزء الشمالي من أفريقيا والعرب سيثقون بكلماتها إبان ظهورها في أحداث منذ ثلاث سنوات خلت، وكشفها لمؤامرة خطيرة كادت تنال من دولتها، كسبت ثقة الجميع، أكملت دراستها للفلك في (هارفورد)ومتدربة الآن في وكالة (ناسا) بفضلنا نحن، تقلدت منصبًا شرفيًا كبيرًا في وكالة فضاء دولتها، والآن بعد عرض الأبحاث عليها وافقت على المشاركة في الإدلاء ببيان عالمي فيما يخص مجالها، لكننا لم نشأ أن نعطيها مزيدًا من المعلومات وتأكدنا من كونها لن تتخطى ذلك الحد في الإدلاء بالتصريح لأسباب أمنية تخص شركتنا، حقيقة سيكون عليها العبء الأكبر لأن كلمتها موجهة لمجتمع متدين، وهم أصعب ما يمكن إقناعهم بالأمر، لذا سيكون لها دور رئيسيى ومحل مراقبتنا ومتابعتنا باستمرار.

طرح الملف جانبًا ثم تكلم عن ثلاثة ملفات أخرى، تكومت فوق بعضها، ثم نظر للجميع وأضاف:

- نحن على أعتاب بدء سلسلة من الأحداث شديدة الخطورة، فدعونا لا نضيع الوقت

***

ران على مكتب الدكتور (صبحي) صمت ثقيل، إلا من صخب أفكار حائرة واجمة، بينما المعادلة تبتلع وعيه؛ فبقي على جلسته قاصر الطرف لشاشة حاسوبه يخاطب شياطينه:

- تبدو عناصر القطاع الاول انها خاصة بتخليق تلك العين البشرية لوجود الرابط الجينى (12 pax)، عناصر القطاع الثانى مكتملة، لكنها

غير معلومة الاستخدام فقط ارى تواجد (للباكس) مترافق مع (فوسفات كالسيوم)، القطاع الثالث غير مكتمل ويضم عناصر فيزيائية غريبة!، أي معادلة لعينة تجمع كل هذا! ؟

تبخر تساؤله إثر طَرقات على باب الغرفة ودخول متردد لعامل العيادة يشير في حرج إلى (صبحي)، استأذنهما وراح يتحدث همسًا ثم عاد قائلًا:

- معذرًا يا سادة، هناك مريض بالطوارئ، يمكنكما انتظاري هنا.

أعقب قوله بإعادة العين داخل سائل المخبار وسلمها إلى (فريد)، معقبًا:

- سأعود سريعًا.

خرج (صبحى) عبر الباب الخلفي، حين ألقى (فريد) بالمجلد السابع فوق المكتب، أخرج هاتفه يتصل بالطبيب المعالج لابنته، جاءه صوت الطبيب في محادثة قصيرة مقتضبة لم تزده سوى شقاءً:

- العلاج الإشعاعي لا يبطئ الزحف السرطاني، أنا آسف.. لو هناك أمل واحد بالمائة فسيكون من خلال حقنها بخلايا جذعية تحمل الجين الذي أصابها في صورته الأولى.

عاجلة فريد قائلًا:

- نعتقد أنه جين من عائلة (pax) يحمل الرقم 12.

- لا اذكر وجود (pax) بتلك القدرات، لكن لو أنه لديك فسأحتاجه على الفور.

- اعدك أن أجده.

تنهد الطبيب وبحث عن الكلمات المناسبة:

- حسنًا.. كان الله في عونك.

أنهى (فريد) المكالمة وتهاوى فوق أحد المقاعد، دفن وجهه بين راحتيه وأغمض عينين محتقنتين، تمنى لو أنه كابوس من كوابيسه البائسة، دقيقة من الصمت المدوي مرت كساعة، بينما (ليلى) ظلت واقفة لا تملك نفسها الثائرة رفاهية الجلوس، عقلها يحترق بأفكار تتداعى عليه من كل حدبٍ وصوب حين داعب بصرها قلادة حورس جوار المجلد، تأملتها بأعين طمسها الحزن للحظات، همست شاردة:

- عين حورس لها أسطورة فرعونية مناسبة للوضع الراهن.

رفع (فريد) وجهه إليها يحثها على التكملة، فجلست فوق أقرب المقاعد وببساطة من تقول نفس الكلمات مع كل فوج سياحي تصطحبه عبر جولة أثرية:

- يتم وضع عين حورس غالبًا كشعار على ورقة الوصفات الدوائية (الروشتة) ذلك لأنها رمز فرعوني للشفاء وفق الأسطورة الفرعونية التي تنص أن (حورس) و(ست) كأنا إخوة، الابن الأكبر (ست) قتل أبوهما (اوزوريس) فخاض (حورس) معارك ضارية ضد أخيه للثأر لوالده، فقد خلالها عينه اليمنى؛ فتدخل الإله (تحوت) واستبدلها له بأودجات بصرية تشبه هذه القلادة وأضاف إليها قدرات عديدة بالشفاء ورؤية الموتى، استعملها حورس في إحياء والده أوزوريس، واعتبرها المصريين القدماء تعويذة تحيي الموتى وتُصلِح النظر، واستعملوها في حساب مكاييل الحبوب والثمار للتبرك بها، ما زال البعض يستعملونها كتعويذة سحر، يطلق عليها القدماء أودجات وعين القمر .

عقب (فريد):

- الأسطورة متفقة مع ما أراده عزيز من إصلاح بصر حفيده، لكن هل هي مجرد تميمة حظ، أم لها شأن آخر!؟

مطّت شفتيها وقنعت بها ردًا، دار حديث ذهني في عقل(فريد) يخاطب شياطينه: (ابنتي تؤلف مقطوعة موسيقية يتضح أنها معادلة جزيئية ضخمة قطاع منها لتخليق عين. بتحفيز جين لا وجود له. قلادة عين

حورس اسمها عين القمر لها أسطورة تتعلق بإصلاح البصر. صراعٌ على عين بشرية مُخلقة..الحسن ابن الهيثم مكتشف تشريح العين.. عزيز يريد علاج بصر حفيده، وكأننا في سيرك، كل شيء يشير للعين!)

رفع (فريد) وجهه صوب (ليلى) فإذ بها منشغلة بتحسس بروز يتوسط الغلاف الكرتوني للمجلد السابع للمناظر، تفقدت حافَة الغلاف فإذ بها منشطرة تحاول دسّ أناملها في فراغ بين الشرائح الإلكرتونية، تفتق ذهن (فريد) لما تقوم به فضغط طرفي الغلاف طوليًا فانبعج من الوسط فاغرًا فاه يفصح عن ورقة صغيرة مطوية داخله، سحبتها (ليلى) في حرص وتوجس، فتحتها فكانت ورقة كبيرة مصفرة، دققت النظر في كلماتها، ثم نكصت إليه:

- لا أجيد الألمانية!

جال (فريد) ببصرة في أرجاء ورقة مهترئة، مكدسة بالكلمات بخط اليد، ثم أخرج هاتفه قائلًا:

- حسنًا سأرسلها لمدرس لغة ألمانية صديق.

التقط صورة للورقة وأرسلها عبر تطبيق (واتساب) مع عبارة: (أرجو ترجمة هذه الورقة ترجمة دقيقة من أجلي يا صديقي)، انتظر حتى تلقّى الرد بالإيجاب ثم دس الهاتف في جيبه، زفر وراح يحدّث شياطينه:

(لا أصدق أنهم تمكنوا من تخليق أكثر أعضاء الجسم البشرى تعقيدا، 40 مُكّون دقيق وحساس لو تعطل أحدهم لن ترى العين، جين بدء تكوين الخلايا العصبية كان أكبر عائق لهم، حتى الخلايا العصبية التالفة في جسم الإنسان لم يتمكنوا من دفعها للتجدد كباقي خلايا الجسد، لو تلف العصب البصري لعين؛ لفقد صاحبها البصر تمامًا وبصورة نهائية.

انفرجت شفتا (ليلى) قائلة:

- ماذا لو صح عثورهم على مصدر ذلك الجين.

أجابها (فريد) على الفور:

- سيتعالى على نحو يصم الآذان أصوات ممن يعتقدونفي نظرية تطور الخلق من الصفر بفعل الطبيعة، تركيب العين المعقد كان شوكة في ظهر مؤيدو نظرية (داروين)، وسبب في فشل محاولة منح الطبيعة دور الخالق.

صهَرَ الحديث العلمي جمود الخلاف بينهما وانغمسا في التفكير، تساءلت (ليلى):

- أحدهم حاول إرسال تلك المعلومات لـ (عزيز)، هل يمكننا البحث عن ذلك الشخص!؟

مط (فريد) شفتيه في حيرة واجاب:

- إنه شخص مُلِم بالتفاصيل أكثر من (عزيز) لكنه حريصللغاية، على الأرجح أحد قيادات تلك المؤسسة ويخشى بطشهم!!

دنا ببصره صوب كتاب المناظر وميدالية عين حورس وأضاف:

- عزيز توقف بالبحث هنا، ولم يمهله القدر لاكتشاف المزيد.

تنهدت (ليلى) في حيرة وإرهاق ثم القت نظرة لساعتها التي دنت عقاربها من الثالثة فجرًا، شعور بالعجز يضعضع كيانها ويسحقه، سقطت روحها في ظلام اليأس والمرارة حين أجفلا على تصاعد رنين هاتف (فريد)، وجم وهمس حين أبصر المتصل:

- طبيب ابنتنا

أجاب في لهفة:

- طمئني يا دكتور!

تصاعد صوت الطبيب عبر سكون الغرفة:

- حالتها تتدهور والعلاج الكيميائي لن يوقف تفشي المرض، هل حصلت على عينة من الجين!؟

- أرجوك قم بتجهيز الخلايا الجزعية وأعدك أننا سنعثر على الجين.

مال (فريد) بالهاتف في أحد أركان الغرفة يخفي تضرعه،غير أن الغرفة كانت هادئة أكثر من اللازم، فسمعت (ليلى) كل كلمة بالأخص عندما بدا (فريد) منزعجًا وهو يردد:

- ماذا!، أنا لا أعرف أصدقاء يتحدثون بلكنة غربية؛ منذ متى أخبرتهما بوجهتنا؟!.. اللعنة.

أغلق المكالمة ورفع وجهه إلى (ليلى) بأعين وجلة، فقابلته بسؤال حذر:

- منذ متى؟!

- منذ ساعة تقريبًا.

لم يكد (فريد) ينطقها حتى تصاعدت بالخارج أصوات جدال من بينها صوت العامل يعترض بشدة على دخول أشخاص، كان ذلك مؤشرًا كافيًا بالنسبة إليهم ليجمعوا الأغراض ويقتحموا الباب الخلفي لمكتب صبحي، ركضا عبر الراوق حتى وصلا لسلم الطوارئ، نزلا في سرعة حتى وصلا لمخرج المبنى الخلفي حيث تلقفتهما صفعات الهواء البارد والعدو المتربص.

***

عبر المخرج المطل على الشارع الخلفى لبناء مستشفى الدكتور صبحي تسلل (فريد) و(ليلى) يرافقهما الحذر والترقب، هبطا انحدار المدخل الخلفي لمرآب المبنى وتسللا بين السيارات خافضي الرؤوس، يرصدان على الجانب الآخر من المدخل رجلًا مترقبًا يتحدث عبر الهاتف مقتضبًا

يبدو أنه يتابع اقتحام العيادة بالأعلى، كادت (ليلى) تدنو من سيارتها لكن (فريد) جذبها عنوة لسيارته غير أنها أطاعته كمن ينتظر ذلك، دخلا السيارة بحذر، دس (فريد) مفتاح التشغيل وسهم لحظة هامسًا: -

- المخرج الخلفي مغلقٌ، سنضطر للمرور من أمامه مباشرة، تمسكي جيدًا

أدار المفتاح وهدر محرك جذب انتباه الرجل، فالتفت يندفع إليهم شاهرًا سلاحًا ناريًا، أجفلا من مشاهدته، لم يتوقعا أن يصل الأمر لهذا الحد، شعور متزايد بالخوف اندفع معه بالسيارة، راحت تقفز صعودًا عبر مخرج المرآب، قفز الرجل جانبًا بصعوبة قبل أن يدهسه (فريد) حين اقتحم نهر الطريق، نقلت له المرآة الجانبية صورة الرجل يشرع في إطلاق الرصاص لكنه تراجع لبعد المسافة، ومن مدخل المستشفي خرج رجلان راكضين نحو سيارتهم (المرسيدس)، قفز ثلاثتهم داخلها وانطلقوا في إثرهما، زاد (فريد) من الضغط على دواسة الوقود يتمايل بالسيارة وقلبه يتواثب بين ضلوعه بينما انكمشت (ليلى) في مقعدها غير مصدقة ما يحدث، طلب (فريد) رقم من هاتفه ثم عاد يراقب الطريق:

- فوزي.. اسمعني، سأخبرك.. لكن الأن أنا وليلى مطاردين من ثلاثة رجال مسلحين قرب ضواحي الجيزة.. نعم داخل سيارتنا.. نعم أستطيع أن أصل لقسم شرطة الجيزة، سأفعل.. الأحراز بحوزتنا.. حسنًا.

أغلق الهاتف وأعاد ترتيب الخريطة الجغرافية في عقله ثم انحرف بغته لأحد الشوارع الجانبية، صرت على إثرها إطارات السيارة حين تعالى صرير مماثل خلفهما يشي باقتراب سيارة الملاحقين لهما، بأعين تراقب الطريق قال (فريد):

- العميد فوزى يريد الأحراز التي بحوزتنا، يقول إنها مطلوبة منه، سوف يتواصل مع أحد ضباط قسم الجيزة!

جاوبه رنين هاتفه، اختلس نظرة سريعة لشاشته ثم ناوله إلى (ليلى):

- إنه طبيب ريم في المستشفى.

- نعم أنا.. والدة ريم.. ماذا تقول؟!

نطقتها في لوعة كبيرة انسحبت معها الدماء من وجه (فريد) تتلاعب بعقله أسوأ الظنون:

- ماذا حدث؟

لم تجبه بل ظلت تومئ برأسها دون وعيٍ وترئد:

- سوف نحاول.. سوف نحاول.

تركت الهاتف وقد تزايد احتقان عينيها وبصوت متهدج قالت:

- سنها صغير وجسدها ضعيف..الطبيب بحث أمرَ الجين وهو بالفعل لا وجود له.

تسلق خدر العجز أطرافه، حين فوجئ (بالمرسيدس) تحاذيه عن يمينه، تماست السيارات في صدمة خفيفة استفاقت لها حواسه، وارتعدت لها (ليلى) وانزلقت أكثر في مقعدها لا إردائيا، اعتصر (فريد) دواسة الوقود حين طالعهما قسم شرطة الجيزة على مسافة قطعتها السيارة في ثوانٍ، توقف (فريد) أمام بوابة القسم بصرير آثار حفيظة حراس البوابة بينما مرت (المرسيدس) بجوارهما وأكملت الطريق يطل من داخلها أعين متوعده، هرول حرس البوابة إلى (الجيب) في قلق وتحفز:

- ممنوع الوقوف هنا تحرك الآن

بدا أن (فريد) لم يسمعهم، التقط أنفاسه قاصر الطرف بأعين خاوية إلى (المرسيدس) متوقفة غير بعيد، التفت لحرس بدا عليهم توتر غاضب، صكت أذنه صيحة (ليلى) جواره:

- ماذا تنتظر؟! هيّا ندخل القسم.

سمعها وكأنها نابعة من عالم آخر، من خلف زجاج سميك، لم تخدش وعيًا يحترق بصورة ابنته وهي على حافة موتٍ مُحقَّق، الجين الأوَّلي، المجلدات، عين حورس، العين البشرية، جميعها دلالات سيفقدها حال دخوله القسم.. سينقطع خيط نجاة ابنته للأبد.

بدأت طَرقات غاضبة من الحرَس على زجاج السيارة المُغلَق، حين برزَ من الداخل ضابط متحفز، طرق زجاج السيارة فالتفت إليه (فريد) ثم رنا ببصره صوبَ (المرسيدس) رابضة على اليمين غير بعيدٍ، مدَّ يده لمبدل السرعة فهتفت (ليلى) بذهول:

- (فريد) ماذا ستفعل؟!

- حياة ابنتنا تعتمد على ذلك.

أعقب قوله بضغط مفاجئ لدواسة الوقود فانطلقت السيارة بغتةً مثيرةً خلفها موجة غبار، تراجع الضابط مغاضبًا، دار بها (فريد) وسط الشارع وانطلق في الاتجاه المعاكس، حين انتهى أحد الأمناء من تسجيل رقم اللوحة في وريقة وسلمها للضابط، بالتزامن مع دوران (المرسيدس) والتحرك في إثرهما.

بكلتا يديه أطبق (فريد) على المقود يفرغ شحنة عصبية تنبضت بها أوصاله، شعوره بالذنب يسحق عظامه ويخلطها بلحمه، فقدَ صغيرته مرتين، تركها تنتظر فتم اختطافها، أهمل حمايتها فضربها مرض يعتصرها بلا رحمة، ضربات القدر المتتالية أصابت عقله بالعطب، تجسد غضبه في نظرة لمرآة السيارة تعرض صورة (المرسيدس) تدنو عن يساره، وأمامه على اليسار سيارة قمامة ضخمة متوقفة، تشكلت في أفق مخيلته الخطوة التالية، حين شهر أحدهم سلاح مكمم بكاتم صوت، فلم يبلغ مسامعها سوى اختراق الرصاصة لزجاج (فريد) الجانبي مرت من أمام وجهه ثم مرت من فوق رأس (ليلى) لتخترق زجاجها الجانبي، طاشت معها رصاصة أخرى، تركهم يحاذوه، حين أدار

المقود بغتة يسارًا، ضربتهم سيارته وألقت بها في مواجهة سيارة القمامة وبلمح البصر وقع صدام مريع شهقت له (ليلى) والتفتت تحدّق للمشهد خلفها في ذهول، نقلت بصرها إلى (فريد) الذي بدا متوترًا للغاية:

- ماذا فعلت بالله عليك، هناك أشخاص في سيارة القمامة.

- لم يتضرر سوى هؤلاء الملاعين.

عادت تغوص داخل مقعدها تحيط جبينها بأناملها، تخطَّى الوضع أكثر مما تحتمله أعصابها، لحظات ثم عادت إليه في انفعال وحدة:

- الآن ماذا ستفعل!؟

تجهمت فرائسه دون إجابة، أنقذه اهتزاز هاتفه على نغمة الرسائل، فتح تطبيق (واتساب) خفض سرعته حتى توقف على جانب الطريق والتهمه الهاتف فضاقت عيناه، قرأ تعليق صديقه المتعجب حول كنه الوريقة، تجاوزها سريعًا ثم ولج لملف ترجمة الصفحة للعربية، رفع الهاتف أمام عينه وراح يقرأ:-

(ليلة الأربعاء 28يونيو)

«استيقظتُ الثالثة فجرًا ولم أجده جواري انتظرت قليلًا ولم يعُد، من فوق السلم أمام غرفتي أبصرت ضوء غرفة مكتبه يتسرب من أسفل الباب، لم يكن معتاد السهر، شرعت في النزول إليه لكنني توقفت عندما فتح الخادم باب القصر، وتصاعدت الهمهمات من شخصان أو ثلاثة، عدت لباب غرفتي واختلست النظر لرجلين يحملان صندوقًا خشبيًا مغلقًا بطول الذراع، يتقدمهما معاون الخديوي المقرَّب (فيضى) باشا وكان يسعل بشدة فبدا أنه مريض، ثم دخل ثلاثتهم بالصندوق غرفة المكتب. مكثت في حجرتي البلورية لساعتين أحاول الاسترخاء بموسيقى العبقري النمساوي (موتسارت)، نغمات سماوية دائمًا ما تحلق بي في آفاق عوالم بديعة، تعيد لي شعوري بالوطن حيث الرقي

والتحضر في الإمبراطورية النمساوية التي اشتقت إليها كثيرًا.

جلست أقاوم النعاس حين خرجوا مع ساعات الشروق الأولى، نزلت لغرفة المكتب والتساؤلات تكتظ في مخيلتي الناعسة، وعندما دخلت فإذ بمشهد تقليدي للغاية وكأن ما سلف كان حلمًا، يجلس هو خلف مكتبه هادئًا يدخن سجائره الكوبية، يستمع إلى أنغام موسيقى (موتسارت) أيضًا عبر الفونغراف الإنجليزي الخاص به، ولا أثر في الغرفة لأي صناديق!! وبمجرد أن رآني أطفأ سيجارته في المنفضة ونهض متبسمًا «هل مازلتِ مستيقظة!؟»

قلت له» نعم»، أشرت للفونغراف وسألته: لقد أصبحت تسمعه كثيرًا.

ابتسم وأجابني: «هل تدرين يا جويدان، منذ أن أخبرتيني قبل عام ونصف أنك تعشقين موسيقى الموسيقار موتسارت لأنه يستعمل ما يسمى بالنسبة الذهبية في توزيع ألحانه وأنا أعشق ذكاء هذا الرجل».

سألته وأنا أدور ببصري في أرجاء المكتب: «هل كان الرجال يحملون شيئًا أثناء دخولهم أم أنني أخطأت الرؤية في الظلام.»

ابتسم بطريقة غريبة وقال لي: «ياجويدان، البصر يخطئ في كشف مغالطات تاريخية واضحة من أجل إخفاء طريق النجاة».

علمت أنه يريد تغيير الحديث، ولم يترك لي فرصة للسؤال، اصطحبني وهو يقول لي: «هيًا بنا يا عزيزتي فلقد بدأ الصباح في البزوغ ونحن لم ننم بعد.. انتهى.

ليلة الخميس 29 يونية.

استيقظت على أصوات عديدة بالأسفل، لم يكن جوارى أيضًا كعادته مؤخراً، نظرت من أعلى فوجدت ضابطين من القوات الإنجليزية يتلوان نص تكليف من اللورد (كيتشينر) شخصيًا بتفتيش القصر بحثًا عن شيء ما، غير أنهم لم يجدوا شيئًا وغادروا بعدها، لم أتمكن يومها من سؤال زوجي لانشغاله بترتيبات نعي ووفاة صديقة المقرب، فيضي

باشا... انتهى».

ظلت أعين (فريد) تحدّق في الهاتف حتى بعد انتهائه من قراءة ترجمة النص، همست (ليلى):

- الصفحة من مذكرات (جويدان) هانم خلال فترة زواجها من خديوي مصر الأخير، أعتقد أن.....

صمتت لحظات وبدا أنها تسترجع معلومة ضبابية، ثم استعانت بمحرك البحث على هاتفها، لحظات وراحت تقرأ:

(جويدان هانم أو ماريا توروك زندرو، نمساوية الأصل، تزوجت من الخديوي عباس حلمي الثاني آخر خديوي لمصر، عام 1910م دام زواجهما ثلاث سنوات، تطلقا بعدها، ثم عاشت هي في موطنها الأصلي النمسا وتوفيت هناك ودفنت في مدينة غراتس، كانت مهتمه بكتابة كل ما مرت به أثناء تواجدها في قصر عباس حلمى الثاني الذي بناه لها خصيصًا على الطراز النمساوي، المذكرات تم نشرها بلغتها الأصلية ونسخة أخرى مترجمة للعربية).

سألها (فريد):

- كم يبعد ذلك القصر عن هنا!!

- متوسط ثلاث ساعات.

- القاهرة خاوية الآن يمكننا الوصول سريعًا!؟

- إنه ليس في القاهرة من الأساس.

تذكر أنك حملت رواية الرمز السابع حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

الفصل الثامن

كانت الشمس قد أفلت إلى غروبها السرمدي فبعثت بآخر خيوطها على أطراف حي (النزهة) داخل العاصمة المصرية ووسط شارع (جوزيف) انتصب بناء مستطيل باللون الأصفر المميز للمباني الحكومية يجاوره عدة مبانٍ ملحقة، رغم كون البناء متواجدًا منذ بضع سنوات إلا أنه قد تم تهيئته ليصبح مقرًا (للهيئة القومية لعلوم الفضاء والاستشعار عن بعد) أو (نارس) وذلك بالتزامن مع تدشين توطين علوم واستكشاف الفضاء.

وأمام البوابة الرئيسية تنبه حارس غافي لاقتراب سيارة (ليموزين) أجرة توقفت أمام حاجز الأمن، نزل من كشك الحراسة بتململ يسترق النظر للزائر في المقعد الخلفي حين تراجع متبسمًا وألقى التحية على مساعد مدير الهيئة، نكص عائدًا ورفع الحاجز، عبرت السيارة الباحة الأمامية واصطفت أمام بوابة المبنى، حين فتح الحارس الداخلي باب السيارة وتراجع في احترام، ترجلت سيدة ملامحها تجمع بين موروثات شرقية مصرية ولمسات غربية منقولة عن والدتها الكندية، فأورثتها عينين زرقاوين يضيئان وسط بشرة خمرية يحيطها شعر كستنائي أزاحته عن وجهها فانثنى إذعانًا على كتف سترتها الرسمية السوداء تحاكي نفس درجة لون بنطال أنيق يبرز رشاقة قوام واضحة بدت في خطواتها الواثقة، وبابتسامة مجاملة يشوبها الإرهاق، شكرت الحارس ثم حثت الخطى إلى داخل المبنى، وعبرت رواقًا طويلًا ينتهي بمصعد، تسلق بها ثلاثة طوابق ثم دلفت غرفة مكتب رئيس الهيئة، كان يتصدرها مكتب يجلس خلفه رجل أشيب الشعر متغضن الوجه حاد النظرات، استقبلها بحلة رسمية زرقاء وربطة عنق باللون الأحمر القاتم، تبسم فور رؤيتها ثم نهض يصافحها قائلًا:

- حمد الله على سلامتك يا دكتورة، لم أصدق أنكِ ستتمكنين من الوصول من أمريكا خلال يوم واحد.

تبسمت نائب المدير في إرهاق ممتزج بحرج:

- حقيقةً كان يمكنني تسجيل البيان من هناك مع خلفية من شعار هيئة (نارس) غير أنني عمدت المجيء لزيارة قبر والدي رحمه الله.

- لا بأس دكتورة، رحم الله والدك، كان ليفتخر بك كثيرًا لاختيارك في إذاعة ذلك البيان.

كورت جانب وجنتها معقبة:

- الدعوة كانت مفاجأة كبيرة، والأكثر تقديم العون من المدير في (ناسا) خلال وقت قياسي، ولكن...

صمتت لحظات تستمع لصوت قلبها، كونها لم تتمكن من التفكير جيدًا في ذلك العرض يصيبها بالاضطراب والتشويش، عودتها للبلاد في حد ذاته أثار لديها خوف مبهم، شوارع القاهرة أصابتها بـ (فوبيا) بعد أن أعادت إليها ذكرى مريرة منذ ثلاث سنوات خلت، طفت نظرة حزنٍ عميقٍ يعتصرها بلا توقف، يلتهمها يُنهك قلبها. لطالما كانت تحلم بإنهاء دراستها لعلوم الفيزياء الفلكية في أميريكا ومن ثم تعود في كنف والدها دكتور كلية العلوم قسم الفلك، لكن اغتياله واضطرارها للعودة إلى البلاد وخوضها أهوالا لتثبت براءته من تهمة الانتحار؛ قلب حياتها جحيمًا وتبدلت معه أفكارها، هربت من كل شيء حتى ذكرياتها، بالكاد وقتها استوعبت عودتها لجامعة (هارفورد) واستكملت دراستها كما كان يحلم والدها الراحل، أنهت الدراسة وكانت على وشك الرجوع للبلاد لولا أن وصل إليها خطاب الجامعة بترشيحها لتلقي تدريب في وكالة (ناسا) لعلوم للفضاء الأمريكية، شعرت بارتباك شديد مزيج من الرهبة والفرح والقلق، فكرت كثيرًا، تخيلت وجود والدها على قيد الحياة، كان ليحثها على البقاء دون نقاش، هكذا حسمت أمرها وظلت هناك طوال ثلاث سنوات.

- دكتورة فاتن، أوَدُّ أن أشير إليك بأمر هام، أعتقد أنك تقدّرين حجم المسؤولية في نارس، وكوني وافقت على إذاعة ذلك البيان من قلب

الهيئة سيكون بمثابة إقرار ضمني منا بذلك الكشف، فأرجوكِ لا تتخطي حدود ما أكده العلم حتى لا نقع في مهاترات.

تبسمت (فاتن)، هزت رأسها موافقة:

- أعلم ذلك دكتور عبد القادر، ما سأعلنه سيحتسب على الهيئة باعتباري نائب المدير، حتى لو كان مجرد منصب شرفي لتدربي في ناسا.

- لا تسيئي فهمي يا بنيتي، إن منصبك هنا عن جدارة واستحقاق، ولا يمسه أحدٌ، ويمكنك استعمال إمكانيات الهيئة لتسجيل ذلك البيان وتأقيت نزوله في الموعد المقرر له.

بدت نظرة مشفقه قلقه في عيني رئيس الوكالة ترجمها لعبارة قصيرة:

- كنت أعرف والدك، وأنا اخشي عليكِ كابنتي، لذا سأعينك شخصيًا علي تلك الخطوة من حياتك.

أطبقت شفتيها بتردد ثم انفرجت:

- شكرًا لك، سوف أقوم بتسجيله هنا، بيانهم الرئيسى سيكون غدًا، والبيان الخاص بي سيتم بثه بعد غد.

نهض (عبد القادر) قائلًا:

- يمكنك أن تستريحي الآن، وعندما تكونين مستعدة أخبريني.

تبسمت (فاتن) ممتنة، وحين غادر (عبد القادر) استرخت وشردت ترتب أفكار بيان لم تكن تدرك ما يتوارى خلفه من خطورة.

***

قرب بوابات الخروج من القاهرة وبداية طريق الإسكندرية الصحراوي، وقف (فريد) جوار سيارته يتابع عامِل محطة الوقود يقوم بملء خزان

السيارة، تركه وعرج على متجر المحطة وابتاع أطعمة مغلفة تسد رمقهما أثناء الطريق للإسكندرية، الوجوم والكآبه كانا يخيمان عليهما ويأس مرير حفر أماراته فوق قسمات وجوههما، ينبت وسطها بازغة أمل يتحركان وفقًا لها نحو مجهول غير متضح المعالم.

دفع ثمن الوقود وألقى بأكياس الطعام المهدرج في المقعد الخلفي، ناولها (بسكويت) غير أنها هزت رأسها نافية تعلن عزوفها عن جميع مقومات الحياة، وقالت:

- هل حقًا تنوي الذهاب للقصر؟!

- مجرد محاولة.

- ماذا تتوقع أن تجد بعد أكثر من مائة عام، صندوقًا خشبيًا في مكتب الخديوي يحتوي عينة من الجين!؟

داهمت منطقية العبارة خيال عقله فسحقته وجردته من الحُجة، فأدار محرك السيارة ردًا فأشاحت هي بوجهها كمدًا، حين عاد السكون وتسارع إيقاع السيارة على الطريق تسابق ركض الساعة الرقمية في لوحتها نحو التاسعة مساءً، وعلى مدار نصف ساعة من السرعة القصوى والصمت الثقيل شعر (فريد) بحماقة ما أقدم عليه، سوف يذهب لقصر في الإسكندرية سعيًا وراء أحداث مضى عليها أكثر من من مائة عام وِفقَ وريقة مذكرات، اختلس النظر إلى (ليلى) متراخيه على مخدع المقعد عاطفة رأسها صوب نافذتها الجانبية، كان يعتقد أنها شاردة في ملكوت الصحراء المظلمة، حين انتفضت لاهثة، أسبلت جفنيها لحظات، همس لها (فريد):

- ذلك الكابوس مجددًا!؟

استعادت رتابة أنفاسها:

- ليس كابوسًا، أعتقد أنها رؤيا من (ريم)، تصرخ وتستغيث داخل مكان مغلق، كما لو أن وعي (ريم) حبيس داخل عقلها، سجين خلف

نظراتها الخاوية، تحاول الاستنجاد بي طوال الوقت.

زفرت تفرغ ما تبقى من انفعال الكابوس وأحاطت جبينها بكف يدها للإبقاء على آخر برج في عقلها حين تصاعد رنين هاتف (فريد) يتصدره اسم (فوزي):

- فريد، اسمعني جيدًا، ضابط قسم شرطة الجيزة أبلغ عن أرقام سيارتك، وكذلك فيما يخص حادث السير الذي تسببت به، الأحراز التي لديك مطلوبة مني الآن لتعلقها بأمورٍ باتت تخص الأمن القومي، والمسؤولين في حالة توتر لتوقعهم قيام البعض بأعمال تخريب، وأنت تتصرف بتهور، أرجوك قل لي أين أنت الآن؟!

صمت (فريد) لحظات ثم أجابه:

- فوزي أنا في الطريق إلى الإسكندرية.. نعم كما سمعتني.. أعتقد أنني أعلم مكان الجين، مخفي في مكان ما هناك.. أعلم موقفك يا فوزي لكن لا تنسَ موقفي أنا أيضًا، لقد دفعتني لبدء كل هذا، تحمل معي جانب من المسؤولية، ماطل، قم بتضليلهم، أعطِني بعض الوقت فأنا أسابق موتًا يزحف نحو ابنتي.

استمع (فريد) في صمت ثم أجاب بحسم:

- صدقني لن أعود أدراجي، سأتحمل مسؤولية مطاردة الشرطة لي.. لا بأس لقد جعلتك تتحمل الكثير.. افعل ما يمليه عليك ضميرك يا صديقي.

ألقى (فريد) الهاتف فوق لوحة السيارة، زفر في ضيق بينما (ليلى) انكمشت في مقعدها وأغلقت منطقتها الآمنة بعقد ذراعيها، تحدق في الطريق النصف مظلم أمامها تهمس في شرودٍ:

- هل تعتقد أننا نقوم بفعل الصواب هذه المرة!

وقع التساؤل في نفس (فريد) ثقيلًا، انغرست الكلمة في كبد إخفاقه

المستمر، (هذه المرة) تعني وجود مراتٍ عديدة، سلسلة اخفاقات، فشل في الاحتواء، امرأة مثل (ليلى) من هؤلاء اللاتي يتجنبن الصدام وينشدن الاحتواء والشعور بالطمأنينة والدفء، لكنها لو وجدت الخذلان لتحولت لشخصية جادة لا تتهاون تتخذ قرارات مصيريه تتحمل نتيجتها بقناع صلب.

عادت حواس (فريد) للواقع على وقع صوتها:

- أمي هل ما زلتِ في المستشفى؟.. وكيف حالها الآن وماذا قال الأطباء!؟.

وجوم (ليلى) كان يشي بالتدهور، أغمضت عينيها تكبح انهيارًا وشيكًا وهمست:

- فاليعيننا الله، ادعو لها يا أمي، سأبذل روحي من أجلها.

أغلقت الهاتف وسقطت إرادتها في قرارة اليأس، ولم يجد (فريد) وجهًا للسؤال، فكل شيء بدا واضحًا، إنهما يفقدونا. بمرارة العجز اعتصرت قدمه دواسة الوقود فقفزت سرعة السيارة حاجز المسموح، بينما بصره ظل يمتد مع الطريق.. نحو الظلام والمجهول.

***

داخل مقر (التحالف الدولي للإلحاد) بغرفة حواسيب ضخمة تعج بعشرات (الخوادم) من الأقراص الصلبة، انتهي التِقني من الرد على سيل الاستفسارات المرسلة للموقع، رصد رقم طويل متسارع يشي بآلاف المترددين على الموقع، حفظه في وريقة، تيبس الموقع للحظات ثم عاد للعمل، فشل في النظام للمرة الرابعة في نفس اليوم، خرج من الغرفة وعبر ممرًا طويلًا دلف في نهايته حجرة مكتب رئيس التحالف، واسعة يتصدر خلفية المكتب واجهة زجاجية ضخمة تطل على مدينة واشنطن الأمريكية حيث المقر الرئيسي .

خطا التقني نحو رجل ترك مكتبة الفاخر وجلس على مقعد جانبي وثير

ممدد الساقين في أريحية تثاءب وبفم مفتوح ومد يده يلتقط الوريقة حين لاحت ابتسامة هادئة في عينيه خفض الوريقة معقبًا:

- بعد ساعات سنكون محل أنظار العالم وسيقفز معدل الانضمام إلينا للذروة.. سأكون أعظم رئيس أنجبه ذلك التحالف.

تبسم التِقني في ثقة قائلًا:

- سيتم إذاعة البيان في موعده، المؤشرات رائعة والملايين في انتظار الإعلان مستر (شرودر).

- وكيف الأمر مع حكومات الدول التي أرسلنا إليها دعوة!؟

- أكثر من خمسة وثلاثين دولة أعلنت إقرار موافقتهاعلى الانضمام لميثاق التحالف بعد إرسال مندوبي عن وزراء خارجيتهم، وبعض الدول ما زالت صامتة لم تفصح عن موقفها، لكنها سترضخ قريبًا بعد أن يقوم عملاؤنا بإشعال جزوة الثورة في شبابهم المتحمسين، ومن ثم الضغط على حكوماتهم.

أومأ رئيس المنظمة، أعاد الوريقة إلى التِقني قائلًا:

- سيتم إذاعة البيان في موعده، المؤشرات رائعة والملايين في انتظار الإعلان مستر (شرودر).

- وكيف الأمر مع حكومات الدول التي أرسلنا إليها دعوة!؟

- أكثر من خمسة وثلاثين دولة أعلنت إقرار موافقتهاعلى الانضمام لميثاق التحالف بعد إرسال مندوبي عن وزراء خارجيتهم، وبعض الدول ما زالت صامتة لم تفصح عن موقفها، لكنها سترضخ قريبًا بعد أن يقوم عملاؤنا بإشعال جزوة الثورة في شبابهم المتحمسين، ومن ثم الضغط على حكوماتهم.

أومأ رئيس المنظمة، أعاد الوريقة إلى التِقني قائلًا:

- الجميع ينضم.

أوماَ التقني برأسه بينما تنازعه ملاحظة يتردَّد في الإفصاح عنها قبل أن يلقيها:

- ألا ترى سيدي أن نتنازل عن بعض الدول التي تعقد فيها الموقف.

- دول من الشرق الأوسط وبالأخص مصر، هناك بعض المشكلات والعوائق.

تفكير متردد ضيق المساحة بين حاجبي الرئيس للحظات ثم أجاب:

- لقد ارسلت (فيكتور) إلى هناك، ألم يسوي الأمور بعد!؟

زم التقنى على شفتيه في أسف وأضاف:

- لقد أرسل رسالة عبر البريد الإلكتروني المؤمن، يواجه صعوبة هناك ولم يتمكن بعد من استعادة العينة.

اعتدل الرئيس في جلسته وقد بدا أن استمرار الأزمة هناك قد عكر عليه صفو الانتصار، أجرى اتصال بـ (فيكتور) وما إن جاءه صوته حتى قال:

- (فيكتور)، لا أعذار، هذه الدولة ذات نزعة دينية قيادية، انضمامها يعني انضمام الكثير من بعدها، ادفع عملاءنا للتصعيد ودفع المحتجين للتناحر مع الأمن، إراقة الدماء هي أكثر ما يحرج الحكومات.

تردد صوت (فيكتور) عبر سماعه الهاتف:

- لا تقلق سيد شرورد، لقد شاهد الموالون لنا ذلك الطبيب وزوجته يتوجهون عبر البوابات إلى الإسكندرية.. اعلم إلى أين سيتجهون، بعض عملائنا في إثرهم لتصفيتهم في دقائق.

قنع (شرودر) بالرد وأغلق الاتصال ثم التفت إلى التِقني حيث يقف مترددًا وسأله عن الأمر فأجابه التِقني:

- إنه أمرٌ بسيطٌ، النظام توقف عدة مرات منذ صباح اليوم.. أعتقد أنه بسبب الزيارات الكثيفة لموقعنا ولقد أرسلت في طلب مهندس الصيانة لتفقد الانظمة .

صمت (شرودر) لحظة ثم قال:

- وهل وصل للمقر؟

- أخبرتني الشركة أنه مريضٌ وأرسلوا مهندسًا بديلا وهو في انتظار موافقة سيادتك للبدء في إصلاح العطل.

أومأ (شرودر) برأسه موافقًا وأشار إليه بالانصراف، تراجع التقني وهو يحمل تعليمات جديدة؛ ستدفع المرحلة الراهنة لمستوى حرج من الخطورة.

***

عقب وفاة الخديوي توفيق عام 1892م تم في الحال استدعاء ابنه (عباس حلمي الثاني) من النمسا حتى يقسم ولاء تولي منصب خديوي مصر، رغم كونه ما زال في سن صغير إلا أنه أبدى فراسة مبكرة ووطنية عميقة، عمل لمصلحة الشعب المصري، وناضل ضد الإنجليز وتحداهم.

فى أحد الأيام صافية السماء من نفس عام تقلدهالمنصب جمع حاشيته وراح يجوب أرجاء مدينة الإسكندرية الساحرة، حتى دنا من قمة ربوتين ترتفعان عن الأرض بحوالي (16 مترًا) ومسطح (370 فدان) يطلان على شاطئ منعزل، خفق قلبه لذلك المشهد الساحر وسرت في جسدة كهربية السحر والخيال والحب، وتصدرت أفق مخيلته وجه حبيبته، النمساوية.

لم يهنأ ليلتها بنومٍ ولم يغمض له جفن، وبمجرد بزوغ نور صباح اليوم التالي أرسل في طلب الفنان الإيطالي الشهير (أنطونيو لاشيك) وكلفه بتصميم قصر أسطوري فوق تلك الربوة من أجلها، (جون تورك) أو كما

أطلقت على نفسها في مصر (جويدان هانم) معشوقته وزوجته الثانية، وبالفعل بدأ الفنان الإيطالي تحفته المعمارية، وفى زمن قياسي من نفس العام 1892م أتمه على أكمل وجه، وقفَ وقتها الخديوي يتأمل قصرًا أسطوريًا مهيبًا على الطراز النمساوي يطل على خليج هادئ شبه مغلق، السحر كما ينبغي له أن يكون، قصر (السلاملیك) أو مكان للاستجمام والراحة باللغة التركية، أحاطه بحدائق شاسعة من أندر النباتات في العالم مقسمة على نحو هندسي، تتمازج ألوانها فتنثر أريجها في الهواء، أشجار كثيفة، حشائش خضراء تسرُ الناظرين، احتشدوا فوقَ ربوة مرتفعة يحيطهم سور فيكتوري، قوي مزخرف كقلعة حصينة وأبواب أثرية ضخمة عالية بدت في الأفق لأعين (فريد) المحتقنتين وهو ينهب الأرض بسيارته وسط شارع كورنيش البحر المتوسط، تنبهت حواس (ليلى) عند انحرف (فريد) بالسيارة يمينًا إلى طريق شارع الجيش ودنا من أولى بوابات (قصر المنتزة)، خفف من سرعة السيارة وهمس إلى (ليلى) محذرًا:

- نحن من رواد الفندق.

فأومأت برأسه استعدادًا، دنا (فريد) من البوابة يسأل حارس توتر لمحاولة دخولهما في تلك الساعة المتأخرة:

- نزلاء بفندق (السلاملیك).

أومأ الحارس في تفهم ثم أشار قائلًا:

- البوابة التالية.

وبعد بضعة أمتار نحو البوابة التالية، سمح لهما بالدخول، سار (فريد) في بطء من لا يعرف وجهته تحديدًا، حتى عثر على لافتة تشير للفندق، توغلا أكثر وسط الحدائق وعلى هدى اللافتات حتى لاح لهما في الأفق قصر (السلاملك) شامخ في سماء يناير المزدانة بالنجوم، ثلاثة طوابق وأسقف هرمية من الأحجار الحمراء المضلعة، برجان في المقدمة يتخللهما شرفات من جميع الأضلاع وقبتان يتوسطا سقف

القصر على نحو شهير في قصور الإمبراطورية النمساوية المجرية يليق بميول أميرة نمساوية سكنت فيه يومًا. واجهة القصر عكست أضواءً مُسلّطة عليه من أسفل بدا معها لونه الأبيض الناصع، نتاج عملية ترميم حديثة على يد مستثمر قام بشراء حق الانتفاع بالقصر من هيئة الآثار وحوَّله إلى غرف فندقية ذات مستوى راقٍ وباهظ للغاية.

اصطف فريد قرب البوابة وترجلا سيراً تتلقفهما نسمات يناير الباردة تُثلج الوجوه والأكف، همس لها (فريد):

- نبحث عن غرفة بالفندق.

عبرا بوابة القصر فاستقبلهما امن الفندق بحفاوة وترحاب وأشار إليهما لمكتب الاستقبال، خطوا مغًا فوق أرضيات ناصعة أنيقة مرصّعة بالأحجار ملونة، بين أعمدة رخامية تتخلل البهو، وقفا أمام موظف استقبال نحتت فوق وجهه ابتسامة مصطنعة، تنحنح (فريد) ثم قال:

- إنها المرة الأولى لنا في الفندق أرجو أن تخبرني عن الغرف ومميزاتها.

بنفس الابتسامة مع إيماءة إذعان، أحضر لهم (كتالوج) انيق فتحه أمام (فريد) وراح يشرح:

- القصر يضم ست غرف جميعها تطل على البحر.. لو شئت التمييز فهنا أربعة عشر جناحًا ملكيًا، أهمهم الجناح الملكي الخاص يطل على حدائق المنتزة ويمتد منه شرفة ضخمة تستوعب حوالي مائة فرد.

سحب (فريد) الكتالوج من يد الموظف متظاهرًا بعدم الرضا وراح يقرأ العناوين بصوت خفيض:

- غرف، أجنحة، قاعة الطعام، البهو، المكتب الملكي...

دقق في صورة المكتب، قلب صفحات الكتالوج سريعًاحتى الصفحة الأخيرة حيث رسم لمسقط رأسي لتصميم القصر، كانت غايته بافضل

ما يكون، تجول ببصره في اروقة التخطيط حتى توقف عند موقع المكتب الملكي في الطابق الارضي على الجانب الآخر من البهو، اختلس نظره سريعة خلفه حدد بها الاتجاه، عاد للموظف الذي بدأ التشكك يزحف على قسمات وجهه، بينما (فريد) بدا أنه يفقد أعصابه وعقارب الساعة تسحق قلبه وتشعل عقله، فسأله مباشرة:

- هل يمكن أن نأخذ جوله في البهو والمكتب الملكي!؟.

لغرابة السؤال جاهد الموظف للاحتفاظ بدبلوماسيته، هز رأسه نافيًا:

- آسف، ممنوع دخول المكتب الملكي كأحد شروط هيئة الآثار على الشركة المنتفعة.

تبسم (فريد) مجاملا:

- كنت أعلم هذا.

حيًا الموظف في عجالة ثم جذب (ليلى) من يدِها إلى الخارج تابعهما الموظف ببصره حتى غابا خارج بوابة الفندق، فجلس يتنهد في تململ لم يستغرق سوى خمس ثوانٍ ثم نسي كل شيء وراح يعبث في هاتفه.

تحرك (فريد) بالسيارة، وفي أفق ذاكرته التخيلية بزغ تصميم القصر ونبض موقع المكتب الملكي، شرع في الدوران حول القصر، وأثناء ذلك لم يستطع منع نفسه من التطلع عبر نافذة السيارة لمياه الشاطئ يشقها طريق صخري متعرج قوطي الطراز كثعبان ضخم يقبع في سكون وسط مياه البحر التي يتوسطها رأسان إحداهما تنتهي بجزيرة ساحرة خصصها الخديوي لتناول الشاي مع ضيوفه ومن ثَم سميت باسم (جزيرة الشاي)، والأخرى تنتهي بمنارة صغيرة ترشد سفن وقطع البحرية الملكية لميناء المنتزة.

صرف انتباهه عنها وراح يدور حول القصر مازًا بمدافع (هاون) متراصة كما وضعها (محمد علي) باشا يومًا لتسحق أي سفينة للعدو تدنو من هذه الجبهة، عندما بات خلف القصر كانت الزرقة تلون الآفاق، وخيوط

فجر شحيح راحت تخترق استار الظلام، نما إلى عقل (ليلى) فكرة ضبابية عن خطة (فريد) الطائشة، عنيد مكلوم سيصنع المستحيل ليتدارك أخطاءه، بأكبر قدر من الخسائر الإضافية، غير أنها كانت تعشق عفويته وتهوره، كان هو الوحيد الذي لاحظ يومًا موهبة أخفتها عمدًا عن الجميع .

- نوافذ المكتب الملكي ستكون هنا.

طرقت العبارة وعي (ليلى) فانسحب من الماضى إلى واقع أورثها ثقلًا وكمدًا، تابعت ببصرها (فريد) يخفي مجلد ابن الهيثم حول خصره ويدني عليه قميصه، وقفز فوق مقدمة السيارة ممسكًا في يده مفتاحًا معدنيًا، ثم تسلق سقفها أمام أحد النوافذ وهمس:

- ستعلو ضوضاء تلاطم الموج على صوت تهشم الزجاج.

راوده تردد لم يستغرق سوى برهة، ثم ضربة متوسطة تساقطت معها قطع الزجاج والشعور بالذنب، سكن قليلًا يستمع إلى اعتراضات الموج المتلاحقة، ثم مدَّ يده عبر الفرجة يفتش عن مقبض ما إن عثر عليه حتى أداره برفق ثم دفع دفتي النافذة، تسلقت (ليلى) السيارة حتى وقفت جواره، قفز هو للداخل ثم مدَّ يده إليها يجذبها لأعلى حتى بات الاثنان بالداخل، أغلق نافذة مهشمة والتفت لقاعة ضخمة معتمة، واقفًا خلف مقعد مكتب الخديوي وعلى ضوء مصباح هاتفه لاحت له أرضية رخامية ناصعة، وأعمدة على الطراز الروماني تتخللها مشغولاتٌ ذهبية، جلس خلف مكتب الخديوي، مرَّر يده على سطح المكتب يستشعر خشب السندان، للحظة ظنت (ليلى) أنه يختبر الجلوس خلف مكتب ملكي غير أن فكرتها ذابت حين وجدته يسحب المقبض الذهبي لأحد الأدراج، ثم أعاده فارغًا، فتح ثاني وثالث، جميعهم فارغين، همست (ليلى):

- بالله عليك يا فريد عما نبحث تحديدًا؟

لم يكن يملك حتى تخيلًا لما يبحث عنه، لكن يقينه ظل يلح عليه..

متعلقات كل خديوي أو ملك يدخل هنا تظل محتفظة بأصالتها، فلسوف يجد شيئًا ما يشير لذلك الذي دخل به الرجال في صندوق خشبى شاهدته (جويدان)، وحين دخلت إلى هنا كان الخديوى اخفاه في مكانٍ ما، دارت عينية على سجاد تركي فاخر، فوقه منضدة كبيرة يعلوها لوح من الرخام الابيض تحمله ثمانية ملائكة، تحف وتماثيل نحاسية متفاوته الأحجام، صور زيتية عديدة بريشة مشاهير تزين الجدران، تعلقت أعين (فريد) بصورة زيتية تحتل عامود ضخم بأبعاد متر في مترين لعباس حلمي الثاني يرفرف خلفة سارية تحمل راية العلم المصري الحمراء بأهلتها الثلاثة وأمام كل هلال نجمة خماسية.

أسفلها كومود يتباهى بمشغولاته الذهبية وفونغراف ذهبي فوقه، ما زال ينعكس الضوء على معدنه العتيق، تعلق بصر (ليلى) بالصورة، كانت تشعر أن الخديوي الأخير ينظر إليهم مباشرًا، يحدجهم بنظرة غامضة متوعدة، راحت تتجمع ملاحظة في أفق عقلها قبل أن تتبخر حين سحب (فريد) أحد مقابض أدراج الكومود فوقع بصرهما بالداخل على أسطوانات عتيقة، كُتب فوق وريقة التعريف بها (سيمفونيات أماديوس موتسارت) وأحيط الاسم بمنحنى شبه حلزوني بدا كتمجيد للاسم.

- الخديوي صار يعشقه أيضًا.

همس بها (فريد) قبل أن يفتح الدرج التالي، ألبومان ضخمان يستقران داخله، وضعهما فوق السطح الرخامي وفتح الأعلى، دنت (ليلى) تطالع أول الصور، الخديوي في شبابه وكهولته مغلفة بحافظة بلاستيكية، أسفلها بيانات مضافة حديثًا، راح (فريد) يقرؤها:

- الخديوي الأخير لمصر، حكم من 1892م، عُزل وتم نفيه عام 1914م، توفي في منفاه بالنمسا 1944م، زوجته الأولى (إقبال) هانم وله منها ستة أولاد، والثانية (ماي توروك هون زندو) أو كما اطلقت على نفسها (جويدان هانم)، تزوجها لثلاث سنوات ولم ينجب منها، قبل

أن ينفصلا وتعود للنمسا.

صورة الختم الملكي، صور للخديوي في القصر وأخرى في منفاه جوار أخته (نعمة الله)، صورة له وسط حاشيته يضع حجر الأساس للجامعة الأهلية يرفرف خلفهم العلم المصري، هلال أبيض ضخم وأمامه نجمة واحدة خماسية، من جديد نبض عقل (ليلى) بملحوظة ضبابية، بغريزة مرشدة سياحية رفعت عينيها للصورة الزيتية لعباس حلمي وراحت في تأمل عميق. بينما غرقَ (فريد) في تأمل قرار لندن بعزله عن خداوية مصر، صورة من جريدة الأهرام تنعي وفاته في منفاه بالنمسا. لقطات نادرة لجنازة مهيبة بوسط القاهرة تستقبل جثمان من ناضل من أجل آلامه.

ترك (فريد) الألبوم وأمسك بالثاني يستعرض فيما يبدوأنها مخطوطات بخط اليد مزيّلة بختم الخديوي، خطابه عند توليه المنصب، خطابه للأمة وحثهم للنضال ضد الإنجليز، خطاب لرجال السياسة وتشكيل نظارات، فقرات استرشادية تسرد ملابسات كل خطاب، همس (فريد) قارئًا:

- (كان هناك عداء قديم بين عباس حلمى الثاني وكتشينر، عام 1883م حين كان (كتشينر) قائد الجيش المصري، انضم للماسونية ونظم محافل ماسونية بالقاهرة ثم انفصل عنها وأسس أخوية خاصة، وقتها تعرض الجيش المصري تحت قادته لحادث أودى بحياة العديد من الضباط، فقام (عباس حلمى الثاني) بتوجيه نقد لاذع إليه فاستعر العداء بينهما، وحين عاد (كتشينر) لمصر كمعتمد بريطانى وقت تولى (عباس حلمى) الخديوية، طفى العداء القديم، دشن الخديوى هجوم شرس ضده وتقرب من الدولة العثمانية حتى أثار خشية اللورد، فقام بتكثيف المؤامرات ضده حتى قوض محاولاته وأنهكه في صراعات داخليه، سافر (عباس حلمى) لقضاء الإجازة الصيفية ولم يعد بعد قرار عزله في النمسا، وسافر (كتشينر) إلى روسيا بعد نشوب الحرب

العالمية الأولي وانفجرت سفينته بلغم بحري وغرق).

صمت (فريد) لحظة يحاول استيعاب أبعاد الأمر، حين استرعت انتباهه رساله أخرى بتاريخ 27 يونية، يوم تولى اللورد كتشينر مندوبًا ساميًا على مصر.. وقبل يوم من مذكرات جويدان!

راح يحاول قراءة مضمون الرسالة المهترئة:

(جاء خصيصًا يحمل نوايا الشر للأمة، لولا أن قام رجالنا المخلصون بالوقوف على تلك النوايا الغاشمة، إنكم أحرار والحرية لكم، لن يقوضها أو يثنيها غاصب، إنها أرضكم تجولون فيها بما شئتم وحيث شئتم، لكن خذوا حذركم عند كل موطئ، فالغاصب يكيد لكم، ووقتما تمكنتم من مقصدكم، فالسلام لك، أبطال الأمة تنفتح أبوابه في وجوهكم ببركة ما تحملونه على عاتقكم من فخر وآمال الأمة للوصول به إلى منحنى الكمال الذهبي حيث المستقر لأحلام أمتنا.)

انتهت الرسالة بخاتم عباس حلمى

بدا أن عقل كل من (فريد) و(ليلى) يعمل في ودإ مختلف، وسط بحر متلاطم من الأفكار، كانت (ليلى) تنقل بصرها بين اللوحة الزيتية وصورة الخديوى في الألبوم، حين كان (فريد) يدقق النظر في الرسالة الأخيرة، عند موضع (السلام لك أيها البطل)، هامسًا:

- ألا ترى معي أن الخديوي هنا أخطأ على غير العادة في الضمائر!، في البداية تحدث إليهم بصيغة الجمع ثم هنا صيغة مفرد ثم عاد لصيغة الجمع وكان من الصحيح أن يقول (السلام لكم).

عاد عقل (ليلى) من رحلة عبر التاريخ، التفتت إلى (فريد) بشيء من الشرود:

- يبدو أن أخطاء الخديوي باتت عديده.. (السلام لك) أو(السلاملك) بضم المقطعين، ولو أنه كتب الضمير الصحيح (السلام لكم) لتغيّر ما

كان مخبأ في نواياه، هل يقصد القصر نفسه!؟

عودتهما للتعاون أورثتهما شيئًا من الحنين؛ فتلاقت أعينهما للحظة واحدة خاطفة، لحظة واحدة ومض بينهما شريط خاطف من ذكريات خلت ارتبكت لها (ليلى)، وابتهجت روح (فريد) اشتياقًا مازجه أسف لم يدُم سوى لحظة تجاوزا خلالها مشاعرهما، ثم عاد (فريد) لنص الخطاب يعيد صياغة ما توصلا إليه:

- أوامر مستترة لضباطه مثلًا؟، إذا سلمنا بقصده حول قصر السلاملك، فإنه يقوم بالتلميح لنيل ضباطه من مقصد معين، ثم العودة به للسلامليك.

قالت (ليلى) بعد تفكير:

- كصندوق خشبي مثلًا!

أكمل (فريد):

- وبالطبع لم ينتبه أحد لمغزى أوامر الخديوي لرجاله لغموض الخطاب الذي لا يجليه سوى صفحة مذكرات الأميرة (جويدان).

انتابها التخبط، وسكنت لحظات تكبح تشتتها، الأميرة جويدان قالت انهم دخلوا بذلك الصندوق هنا ثم خرجوا من دونه وعندما دخلت لم تجده!. أشارت (ليلى) لعلم مصر خلف الخديوي وسط اللوحة الزيتية:

- وقعت على خطأ تاريخى هنا ايضًا، هذا العلم هو علم مصر في فترات سابقة على فترة حكم (عباس حلمي الثاني)، لا أحد يخطيء في عَلم البلد التي يحكمها

شرد (فريد) لحظات، وعبارة الأخطاء التاريخية تسبح في مخيلته، فتح رسالة الترجمة المرسلة من صديقه حتى توقف عند عبارة الخديوي الأخير لها (البصر أحيانًا يخطئ في كشف مغالطات تاريخية واضحة من أجل إخفاء طريق النجاة والأمل).

- إذا كان من هواة الألغاز فبلا شك قد أخبرها بالسر على نحوٍ مستتر وساخر.. كان يخشى ثرثرتها كباقي النساء.

شرعت (ليلى) في اعتراض كبحته عنوة.

وراحت تعاونه فى انزال الصورة الضخمة، حيث بدا خلفها طلاء حديث، راح (فريد) يمسح براحة يده فوق الجدار خلف الصورة بحثًا عن أي دلالات تشير لشيء ما، دقق النظر فلم يجد سوى دهانات حديثة مستوية، تراجع يعيد تقييم موضع الصورة بشيء من الفتور تصاعدت لروحه، داهم (ليلى) هشاشة ووهن، ودت لو أنها تقبض على يد (فريد)، تهون عليه وعليها لكنها تراجعت وأبت نفسها أن تحيد عن مسارها فوقفت غير بعيد، حين تصاعد طَرقات قبضة (فريد) على الجدار معقبًا:

- إن لم يكن أحد أعمدة القصر مصمتًا بالخرسان، فلا معنى لوجوده.

جاوب طرقاته صوت أجوف يشي بفراغ داخلي، حمل تمثالًا نحاسيًا لامرأة رومانية، ودفع برأسها إلى الجدار فاخترقه، اعتذر للسيدة الرومانية ووضعها جانبًا، وتكفلت أصابعه بالباقي حتى صنع فرجة أبصر عبرها غرفة صغيرة خالية تمامًا.

- كوننا على حق حتى الآن لهو أمر يثير رعبي.

قالها (فريد) دون أن ينظر إلى (ليلى) التي أثارتها العبارةفدنت من الفجوة:

- هل تم إخفاء الصندوق خلف الجدار!

- لا يوجد سوى طريقة واحدة للتأكد.

بينما (فريد) يجذب قطع الجدار الجبسية بيده نحو الخارج، فإذ بجزء ضخم من الجدار يهتز وينتج عنه تشقق أجزاء من الطلاء على هيئة مستطيل، رصد (فريد) حدوده فثبت لديه يقين ترجمه لكلمات مترددة:

- إنه باب الغرفة.. يبدو أنهم اعتبروه شقوقًا جدارية وقاموا بطلائه، سواء بقصد أو بغير قصد.

خطوة واحدة وكان داخل الغرفة الصغيره جدًا، دنا من الحفرة الأرضية التي لم تكن سوى مقبض يتوسط غطاء مربع، حين رفعه (فريد) أنّت أواصره من صدأ السنين، انفرج يكشف عن فوهة مظلمة لم يتبين منها (فريد) سوى بداية سلم معدني هابط بزاوية قائمة، دنت (ليلى) من الفوهة وقربت مصباح الهاتف، فتبدد ظلام سنوات خلت، وتجلت غرفة متوسطة تتثاءب في تململ ونعاس من نام دهرًا، تلاقت نظراتهما في قلق من بات سير التطورات أكبر مما تحتمله عقولهما.

سقطت منهما دقيقة صمت، قبل أن يغمس (فريد) قدمه في ظلام الفجوة هامسًا:

- لم نأتِ كل هذه المسافة حتى نتردد.. ادعوا الله أنيكون الخديوي دقيقًا في عباراته حين وصفه بطريق النجاة.

لحقت به (ليلى) قبل أن تغلق غطاء الفوهة فوقها.

هبط (فريد) مسافة كبيرة لم يحصها حتى وطأت قدمه أرض صخرية، بدا الهواء أكثر برودة وثقلًا تفوح منه رطوبة خانقة، تسمرت (ليلى) جواره ترتجف أوصالهما برهبة يمازجها دهشة وحيرة، فعلى الضوء الخافت بدا حولهما أغرب ما قد يجداه أسفل قصر ملكي.

تذكر أنك حملت رواية الرمز السابع حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

***

الفصل التاسع

تحلى الجميع بالتفاؤل حين انتشر عبر وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة أنباء عن ظهور شخصية مصرية لها شعبية كبيرة تعمل ضمن فريق مركز علوم الفضاء الأمريكي (ناسا)، وجه مألوف نال ثقة المصريين والوطن العربي بأكلمة قبل ثلاث سنوات خلت عندما تابعها الجميع وسط أحداث شهيرة بميدان (مصطفى محمود) بعد أن ساهمت في كشف سرٍّ ضخمٍ مخبأً في لغز تسلسلي صنعه الفاطميون، تركوه لنا السلف ليصد عنا شرٌّ قد اقترب، لتكشف النقاب عن أبنية أثرية داخل القطر المصري مشيدة بنمط يحاكي مجموعة نجمية شهيرة في الفضاء بدقة مخيفة .

قبل أن تختفي عن الأعين تمامًا لمدة ثلاث سنوات، مكثتها في الولايات المتحدة الأمريكية كمتدربة في ناسا، حين عاد اسمها يتردد علي الألسنة وصفحات التواصل عندما فوجئ الجميع بعودتها لمصر بعد أن أوكل إليها ضمن أربعة علماء آخرين مهمة إذاعة بيان توضيحي عقب بيان رئيسي استحوذ على انتباه العالم، بدا الجميع في ريبة وترقب حول ما ستقوله (فاتن نجيب عبد الحافظ) تعقيبًا على بيان عالمي احتقنت له الدماء في العروق ودفع فئات الشعوب إلى التناحر، لم يكن وقت إذاعة بيانها قد حان لكن التعليمات هي تسجيل البيان وحفظه حتى يتم رفعه على قناة حددها التنظيم لتغطية ذلك الحدث العالمي وإعلانه من خلالها.

وقف مدير (نارس) السيد (عبد القادر) يتابع سكرتيرهالخاص (شاهين) يعكف على تجهيز كاميرات التصوير داخل غرفة الحواسيب الخاصة بالهيئة تتراص على أطرافها أجهزة حواسيب متطورة جدًا للرصد والتحليل البيولوجى والجيني وما إن انتهى في تثبيت (الكاميرا) حتى تراجع وأشار إلى (فاتن) بالبدء. ارتسمت على وجه (فاتن) ابتسامة هادئة، ابتسامة العودة من بعد الغياب، بينما عيناها مركزتان على (كاميرا) رقمية مثبتة فوق حامل ثلاثي، تركت لحظة

للجميع لاستيعابها، كانت تعلم أن ذلك البيان سيذاع صباحا لذا انفرجت شفتيها بصوت ودود بعيدًا عن التكلف:

(صباح الخير عليكم أيها الشعب المصري والعربي الحبيب، بالطبع وصلتكم الأنباء عن إدلائي بذلك البيان وأتشرف بالإدلاء به من مقر هيئة نارس في القطر المصري، ممتنة للغاية باهتمامكم الكاسح بالبيان وانتظاركم له، حديثي سيكون علميًا بحتًا، لاحق على بيان عالمي الجميع ينتظره أيضًا، غير أنني لست مسؤولة عما يستتبع ذلك من نتائج لا تعبر عن يقيني ولا توجُهي الشخصي.. فقط سأتلو عليكم حقائق فلكية).

استنشقت هواء ملأت به صدرها ثم فتحت ملفًا خاصًا بالشركة الراعية يحتوي نص البيان الخاص بها، ألقت نظرة ثم بدأت:

(كلماتى ستكون لأقصى حد تبسيطًا وتلخيصًا.. الكون من حولنا شاسع مترامي الأطراف إلى حد لا يمكن لعقل بشري أن يستوعبه، لم تكد تخرج نظرية تفسر كيفية عمل الكون وحقيقته إلا واتضح بعد قليل خطؤها بالكامل، فشلت كل محاولات احتواء الكون وعظمته، ومن ضمن تلك النظريات هي نظرية أن الكون عبارة عن فراغ، ظلت تلك الفكرة عن الكون سنوات طويلة إلى أن جاء العلم الحديث وأثبت أن هناك طاقة ومادة معتمة تُقدَّر بحوالي 95.1% من المحتوى الكلي للكون، تنتشر بين الأجرام السماوية والمجرات، لا يمكننا رؤيتها ولا تتفاعل مع الضوء، أو المؤثرات الخارجية لكننا نعلم أنها موجوده لذا أطلقوا عليها (الطاقة المظلمة) ، استدلوا على وجودها بقانون فلكي يحتم وجود توازن بين الطاقة الكونية والمادة الصلبة، وبحساب تقريبي للطاقة الملموسة في الكون وجدوا أنها أقل بكثير من أن تتمكن من إحكام السيطرة على الكتلة الصلبة، ولو أن تلك الطاقة الملموسة فقط هي الموجودة لانفرط عقد الكواكب والمجرات، من هنا استدلوا على وجود طاقة هائمة في الكون تساعد في إحكام السيطرة على كتلة الكون، لم نتمكن من إدراكها لكننا متأكدون من وجودها، قام العلماء

بعمل محاكاة لتلك الطاقة المعتمة في الكون بأجهزة حاسوب ضخمة فخرجت لنا بشكل تصورى لتلك الطاقة أدت لمزيد من الحيرة حيث أن توزيع تلك الطاقة المعتمة في فراغ الكون كان يشبه توزيع المسارات العصبية داخل مخ الإنسان).

ارتشفت قطرات من كوب ماء أمامها كفاصل يعينها على ترتيب أفكار كلمة النهاية، بدا من ترددها أنها تعاني أمرين، تنحنحت ثم عادت:

(ذلك الكشف أعاد توجيه البحث في خلق الإنسان ودفعه للربط بين سرّ تلك الطاقة الغامضة بالطاقة التي تدفع الخلايا الحية للعمل، حتى إن البعض صرّح بكون تلك الطاقة هي الروح البشرية نفسها).

تبسمت (فاتن) بشيء من الحرج عند ذلك الحد لذِكرِها نتيجة طرقت فطرتها، غير أنها ملتزمة بنص البيان المكتوب لها. أضافت في النهاية:

- وهنا ينتهي الجزء الخاص بي.

أنهت كلماتها، نهضت من أمام (الكاميرا) وقام (شاهين) بغلقها، تقدَّم نحوها (عبد القادر) وفي عينيه نظرة فخر واعتداد، صافحها في حرارة:

- كلماتك رائعة دكتور فاتن، البيان مثير بالفعل، متى سيذاع للعالم؟!

تبسمت (فاتن) في ارهاق:

- شكرًا لك دكتور عبد القادر، بيانهم الرئيسي سينطلق غدًا، وسيذاع بياني بعد الغد.

- ألم يتكهن أحد بمحتوى بيانهم بعد!؟

زمت (فاتن) على شفتيها أسفًا:

- حقيقةً لا أشغل بالي سوى بما قلته طالما هو علم مثبت لا شائبة به.

أقرنت عبارتها وهي تلم أغراضها وأضافت:

- الآن سوف أنصرف بحثًا عن بعض الراحة.

- حسنًا سأكلف (شاهين) بتأقيت البيان بحيث يتم رفعه للقناة وإذاعته في موعده.

انتبهت (فاتن) وذهبت إلى الحاسوب الواقف أمامه(شاهين) وأضافت:

- سوف تحتاج لرمز الدخول الخاص بي إلى موقع رفع البيان.

أقرنت قولها بإدخال الرمز السري الخاص بها، تبسم (شاهين) أوماً برأسه متفهمًا ثم بدأ في إجراءات رفع التسجيل للموقع، حين التفتت (فاتن) إلى (عبد القادر) قائلة:

- أنا ممتنة لك للغاية .

- أنت دائمًا على الرحب والسعة يا بنيتي.. هل حجزت في فندق أم أكلف أحدًا يقوم بذلك لكِ.

تبسمت في حنين:

- شكرًا لك، راحتي في شقة والدي رحمه الله بالزمالك.

***

بدأ رنين الصمت يدوي من حولهما، وسطو الظلام يخفي عنهما أكثر مما يبدي، لا إراديًا اتسعت أعينهما تستجدي مزيدًا من ضياء أبت أن تزورهما، خطا بحذر وسط قبو صخري، كئيب عطن رطب، هواؤه بارد ثقيل يجثم على الصدر والروح، تتهدل خيوط عناكب سميكة من أسقف وجدران لم تهتكها يد عابث منذ عهود، بوابة زمنية نقلتهما لماضٍ سحيق عبر العصور الفيكتورية بسراديب قصورها المخيفة، ذابت الكلمات وسط أسرار مخبأة مازالت لم تفصح بعد عن مكنونها.

على هدى مصباح هاتفه توجّه (فريد) لمخرج حجبالجانب الآخر منه خيوط عناكب سميكة، أزالها بيد اقشعرت تقززًا وعبر بحذر للجانب

الآخر حيث ممر ضيق منحدر بدرجات صخرية متآكلة منحوته في الأرض، تمتد هبوطًا إلى ما لا نهاية، ظلام مهيب وانحدار ضيق كئيب ينذر بمزيد من التورط في المصائب ، بترنح سكيرين هبطا في تعثر واختناق يشل الأواصر نسيا معه أن يتنفسا، تشبثت (ليلى) بكتفيه يخوضان درجات سلم يتفتت أسفل أقدامهما، أبصر فريد نقشًا جداريًا لبوصله ذات سهمين يشير أحدهما للشمال والآخر إلى الجنوب الغربي على نحو غير منطقي (اللعنة على السراديب الملكية).

تدريجيًا قل الأنحدار حتى اعتدل الممر تزامنًا مع بوابة معدنية لممر آخر دفعها (فريد) بحذر يجز على أسنانه اعتراضًا على صوت الصرير المزعج، سلط الضوء عبر الباب حين اندفعت موجة سوداء من الخفافيش بأصواتها الحادة، لا إراديًا استدار (فريد) يحتوي (ليلى) وصرختها وانحنى أرضًا، لحظات حتى مرت الموجة من فوقهما إلى الممر الضيق، بأرجل مرتعشة وأنفاس لاهثة حارة تشي ببرودة الأجواء، نهضا إلى حيث بداية نفق غير متضح النهاية قدر (فريد) عرضه بحوالي أربعة أمتار وعلى جانبيه غرف مغلقة بأبواب معدنية يتوسط كل بوابة أقطاب بدت كسجون متجاورة، أشفق (فريد) على (ليلى) التي ترتجف خلفه من صدمة الخفافيش، ربت على كتفها وطمأنها بعبارات لم تمس يقينها فأطبقت شفتيها وجاوبته بإيماءة صامتة، سارا عبر السرداب وسط الغرف، زال عن (ليلى) آثر الصدمة، همست لأول مرة بصوت مرتجف:

- فريد، أين نحن؟!

لم يجد إجابة، مطّ شفتيه نافيًا رغم علمه بأنها لن تراه، خطا صوب أول السجون عن يساره، مرّر الضوء عبر الأقطاب، لم يرَ الكثير فضغط مقبض البوابة فانفتح بصرير صدئ تفتت وراح يتساقط، خطا للداخل تطالعه غرفة صغيرة تليق بسجن انفرادي يقبع في أحد أركانها مقعد صخري رفع الضواء لأعلى فإذ بالسقف مرتفع على نحو مبالغ فيه.

- فريد، انظر!

عاد (فريد) لخارج الغرفة يتطلع إلى حيث تشير (ليلى)كمرشدة سياحية أول ما يلفت انتباهها هي النقوش الجدارية، أبصر نقشًا لشكل يشبه البرج يخرج من قمته ثمانية خيوط تشبه المروحة وجوارها رقم لاتيني (VIII)

التفت للغرفة المواجه لها على الجانب الآخر من الممر فوجد حفرًا لنفس رقم ثمانية اللاتيني وجواره ما يشبه البرج أيضًا لكنه يخرج من قمته أربعة خيوط.

وقف مفكرًا، عن يمينه حفر لشكل طاحونة وعن يساره حفر لشكل طاحونة مختلفة من أعلى. تشكلت لديه صورة لمدخل البوابة الرئيسية للحدائق عندما مرًا هناك بجوار (طاحونة هواء المنتزه) .

تقدم نحو الغرفة التالية فوجد محفورًا جوار بوابتها رقم سبعة (VII) فقط، خطا للثالثة فوجد ستة، خطا سريعًا يتفقد كافة الغرف عن اليمين واليسار يرصدان تسلسل لغرف يمين الممر من ثمانية حتى واحد ومثيلها على الجانب الآخر باستثناء غرفتين إضافيتين متقابلتين في نهاية الممر يحملان تكرارًا للرقم واحد وفي نهاية الممر حائط صخري يتوسطه باب معدني قوي بلا منافذ محفور فوقه منحنى حلزوني وخط أفقي.

مقبض الباب عبارة عن ستة حلقات متداخلة كل قرص يحوي أرقامًا من الواحد للتاسعة، حاول (فريد) اقتحام الغرفة بالقوة بلا جدوى، وقف حائرًا تدوي أنفاسه وسط السكون المهيب:

- إنه المدخل الأكثر تحصينًا علنا نجد ضالتنا خلفه، لكن ليس قبل الحصول على رمز من ستة أرقام.

أشارت (ليلى) للحفر وقد عاد عقلها للعمل:

- الخط الأفقي يعني الرقم صفر باللاتينية، هذه هي الغرفة صفر، وهذا

المنحنى رأيناه على أسطوانات موتزارت بالأعلى، وجاء ذكره في مذكرات (جويدان) على لسان الخديوي عندما أخبرها عن إعجابه بمتوالية المنحنى الذهبي التي استعملها (موتسارت) في سيمفونياته.

أنعشت تلك الكلمات تلافيف خلايا عقل (فريد) فأكسبتها نشاطًا تمخّض عن موضع آخر تم ذِكر فيه المنحنى، فأضاف:

- وأوامر الخديوي لضباطه بالعودة لقصر السلاملك بعد الحصول على ضالتهم وإخفائها هنا.

استرجع (فريد) عبارة الخديوي:

(للوصول بها إلى منحنى الكمال الذهبي حيث المستقر لأحلام أمتنا).

بتر (فريد) عبارته بغتة وهمس:

- هل صمم هذا المكان وفق النسبة الذهبية!!

أجفلت (ليلى) لحظة وشحذت حواسها، قائلة:

- لقد جاء ذِكر كون القدماء صنعوا العديد من معابدهم وتماثيلهم على هدى تلك النسبة، لكن ما أصلها تحديدًا لا أعرف!

استحضر (فريد) جزءًا أكاديميًا في علم التشريح، بدامشتًا لا يدري من أين يبدأ ثم استقر على البداية:

- إنها متوالية حسابية.. مجموع كل رقمين فيها يساوي الرقم التالي، فمثلًا لو بدأنا برقم واحد ستكون المتوالية - 13- 8 - 5 - 3 - 2 - 1 34 - 21 .....)، وعندما قاموا بقسمة كل رقم في المتولية على الرقم الذي يسبقه فكانت النتيجة دائمًا في الأعداد الكبرى من المتوالية هي 1.618، ويسمى الرقم (فاي)

صمت (فريد) لحظة وعينه تدور على مقبض الباب بينمافمه ينفث أبخرة حارة تتردد مع أنفاسه، ثم أخذ يدير أقراص المقبض المتداخلة

بينما (ليلى) تتساءل:

- لماذا كل ما صنعَ وفق هذا الرقم بدا غاية في الكمال والروعة؟

بينما عيناه مركزتان على المقبض، قال شارحا:

- إنها النسبة التي خُلق بها الكون، ابتداء من نسب وأبعاد خَلْق الإنسان نحن نعلم تلك الأمور أثناء تشريح الجسد البشري، فالمسافة بين أعلى رأس الإنسان إلى أخمص قدميه مقسومة على المسافة من السُرة إلى الأرض تعطي النسبة الذهبية أو الرقم فاي، ومن أعلى الفخذ للأرض مقسومًا على المسافة من الركبة للأرض تحقق النسبة الذهبية والرقم فاى، والمسافة من الكتف حتى أطراف الأصابع مقسومة على المسافة من الكوع لأطراف الأصابع تعطي النسبة الذهبية. ناتج قسمة قياس طول الوجه من أعلى الجبهة حتى أسفل الذقن على قياسه من أعلى الجبهة حتى الأنف.. فاي، المسافة بين مفاصل الإصبع الواحد وبعضها هي تجسيد حي لأرقام المتوالية، وهذا بالنسبة لأعضاء الجسم الخارجية فقط، لأنه يوجد العديد من الأعضاء التشريحية الداخلية خلقت على نفس النهج، ثم تأتي فكرة تكوين ذلك المنحنى وفقًا للمتوالية فعندما نرسم مستطيلًا ثم نقسمه من الداخل لمربعات أطوال أضلاعها تماثل أعداد المتوالية بالتسلسل، نجد تجسيدًا للمنحنى الذهبي.

انتهى (فريد) من رسم منحنى وهمي على صفحة يده ثم أكمل:

- توزيع بتلات زهرة عباد الشمس، قشور ثمرة الأناناس، الصنوبر، قواقع البحر، قشور أنواع من الأسماك، انقلاب الموج الحلزوني، الشكل الحلزوني للسديم الكوني للمجرات، كلها بنفس نسب المنحنى الذهبي للمتوالية.. متوالية (فيبوناتشي).

ضمت (ليلى) شفتيها، أومأت متفهمة:

- وكذلك تم تصميم أبعاد العديد من الأبنية الأثرية القديمة على نفس

النهج مما يعني معرفة القدماء لتلك النسبة.

اقترنت كلمتها بصوت مكتوم صدر عن البوابة، شهقة حياة بعد موت دام لعهود، اختلج قلب (ليلى) فراحت تحدق في ترتيب دوائر المقبض واصطفاف الأرقام وفق اعداد المتوالية.

همس (فريد) في عدم تصديق:

- لقد افتتن الخديوي بالنسبة الذهبية للغاية.

دفع البوابة الثقيلة، أنّت مفاضلها وزمجرت في اعتراض لم يعبأ به (فريد)، وعلى ضوء مصباح الهاتف أبصرا في الداخل قبوًا مكعب نَحت داخل صخرة صلبة بمقاييس مستوية بلا منافذ، وعلى جانبي الغرفة عشرات من تماثيل فرعونية ذهبية متباينة الأحجام تشكل ثروة طائلة بدا أنها مخفاة من قِبَل الخديوي للهروب بها من القصر عبر الأنفاق في حال ما غدر به الإنجليز.

مبعثر حولها العديد من الأجولة الصغيرة في حجم قبضة اليد، ووسط الغرفة قبعت منضدة خشبية عتيقة، تتكئ على أربعة أرجل خشبية مذهبة، اعتلَتها طبقة سميكة من الأتربة وصندوق خشبي كصناديق المجوهرات بطول ذراع، أعاد إليهما وصف جويدان للصندوق؛ فتعلقت به الأعين والآمال، خطا (فريد) إليه مشحون الجوارح متحفز الحواس، تخطو خلفه (ليلى) بقلب متقافز تتابعه يرفع الغطاَ بترقب وحرص، دنت بضوء مصباح الهاتف ترنو ببصرها إلى الداخل، ثم تسمرت وهربت الدماء من وجهها، حين احتقنت عينا (فريد) وتكوَّن أمامها غشاء دامع، لمع ببريق اليأس والمرارة.

***

ثَقُل الهواء من حول (ليلى) فشق عليها التنفس، ضاقَ صدرها فأشاحت بوجهها، أغلق (فريد) الصندوق الفارغ بعد أن هوت فوقه شجرة عمرها مائة عام غرسته في الأرض متزا بينما أخطبوط له ثماني أزرع راح

يعتصر قلبه، رغم غرابة ما كان يبحث عنه، إلا أنه كان موجودًا هنا، لقد اتبع حدسه لكن حظه العاثر عبث معه من جديد، ابنته على موعد مع ملك الموت خلال بضع ساعات، كان يتوق لشرب سيجارة غير أن الموقف لم يكن يحتمل، حل عقدة أحد الأجولة، داخلها قطع ذهبية ملكية وحجارة كريمة نادرة، تبسم ابتسامة هازئة مريرة:

- يبدو أن عزل الخديوي جاء على حين غرة وهو خارج البلاد.

طرح الجوال جانبًا وأخذ يدور ببصره في الأرجاء حتىتوقف عند فتحة في الجدار، تقدم إليها، مزق الخيوط الواهنة وسحب من الداخل أوراقًا ملكية مكدسة بالداخل، نفس خط الخديوي (عباس حلمي الثانى)، خُطب وأوامر كتابية موجهة لأماكن مختلفة، لكن بدا أن هذه أكثر سرية، تململ ولم يجد عزمًا في تبين فحواها، غير أنه تجاوز ضيق صدره وتحامل على نفسه وتفحصها سريعًا. بينما (ليلى) على بُعد خطوة تأسف على شبكة هاتفها المتوفاة، تضرم نار اللهفة على ابنتها حريق مستعر في قلبها، لاحظت تركيز (فريد) في إحدى الصفحات جذبت انتباهه بالكامل يقرأ اسطرها بتمعن، دنت منه فرفع الورقة إليها قائلًا:

- إنها سرد لوقائع تخص ما أطلقوا عليه (كنز سبينوزا)!، يقول الخديوي هنا إنه عند تعيين اللورد (كتشينر) معتمدًا بريطانيًا في مصر، ونظرًا للعداء القديم بينهما، توقع أن يستعمل اللورد سلطاته في الكيد له باتخاذ قرارات ونهج سياسية تطيح بكل قرار اتخذه الخديوي يومًا لإذلاله، وكإجراء استباقي قام الخديوي بتنشيط جاسوس وسط حاشية اللورد منذ يوم وصوله، لكن ما نقله له الجاسوس كان أخطر من مجرد عبث بالسياسة الوطنية، مهمة مريبة قرر اللورد الإشراف عليها بنفسه بعد بضع ساعات من وصوله الإسكندرية للحصول على ما أطلق عليه اللورد (كنز سبينوزا)، وبعد أن نقل الجاسوس تفاصيل المهمة قرر الخديوي القيام بمهمة استباقية ناجحة بقيادة (فيضي) باشا ورجاله، وبعد إحضارهم الصندوق بساعات داهم الموت (فيضي) باشا.. كما

جاء في مذكرات جويدان أيضا!

قاطعته (ليلى) في تشكك:

- هل ما كان يوجد داخل هذا الصندوق هو ما تسبب في موت فيضي!؟

فكر لحظات ثم بدا مترددًا:

- حقيقة لا أدري لكن (فيضي) كان مريضًا كما قالت(جويدان)، والرجال معه لم يصابوا بأذى.

خفض الورقة ونظر إليها وأضاف:

- تم نقل محتوى هذا الصندوق بأمرٍ من الخديوي إلى مكان آخر، وذلك المكان ذو علاقة بموت (فيضي) وفقًا للجزء الثاني من الخطاب.

أكمل (فريد) قارئًا:

(أما كنز (سبينوزا)، فيُرافق فيضي، إلى كعك الزنجبيل حيث ينتمي الثاني، يتم عمل اللازم وفق الأوامر، ثم ينتقل نحو 710 ياردة شرقًا، حيث ينتمي الأول مستتر بمسمى جديد).

جاوبته (ليلى):

- لم أسمع بمصطلح كنز (سبينوزا) هذا من قبل!، لكن كعك الزنجبيل هو مصطلح يتم إطلاقه على نوع عتيق من المباني ذات الأسقف الهرمية، طراز أوروبي شهير اشتق اسمه من عادة عند الغرب بصناعة مجسَّم منزل بنفس الطراز من كعك الجنزبيل للأطفال.

- حيث ينتمي الثاني، أي (فيضي باشا)؟!

قالها (فريد) في فتور، مطت (ليلى) شفتيها وراحت في تفكير لحظات ثم دعته لإعادة تلاوة العبارة. وبينما يعيدها صمت (فريد) بغتة ثم غمغم:

- فيضي باشا توفي بعد أن جاءوا بالصندوق إل السلامليك، كيف سيذهب به لمنزل الزنجبيل هذا!

- العبارة تقول إنه رافق (فيضي).

- رافقه بعد موته!؟.. الجثمان!، الخديوي لن يجد فرصة أفضل من وضعه في التابوت مع جثمان فيضي، وتهريبة تحت مرأى ومسمع من الإنجليز.

رفعت (ليلى) إليه عينين احتقنت أوردتها وهمست:

- (فيلا) فيضي باشا في القاهرة.

قالتها في شبه انهيار مزق قلب (فريد)، وقفا صمتًا مصلوبين فوق مذبح الفشل تنهش غربان الضياع أكبادهما، يضنيهما الإرهاق، ونقص الأكسجين، والبرودة بين جنبات غرف صدئة كئيبة يضمها ممرٌ مظلم كالقبور، داهم (فريد) ضعف وهشاشة لم يجد معها نفسه إلا وهو يلتقط أناملها يضغط عليها برفق، طاقة كهربائية تناقلت بين أناملهما حملت تلاطم لعشرات المشاعر المتناقضة بين حزن وأسف وعتاب وخوف و.. حب.

اعتصرت عينيها بقوة هزت رأسها بيقين متأرجح، تراجعت وأزاحت يده في انهيار:

- كان خطأ من البداية أن أطاوعك.

جاءت كلمتها كطعنة نافذة إلي كبده، أطرق برأسه، طوىالورقة وغمدها في جيبه ومعها خيبة رجاء تعتصره، ينعي نهاية رحلة أمل باءت بالفشل، هل عليه أن يفشل طوال الوقت، لماذا دائمًا تسير الأمور معه هكذا!، وهو الذي لا يدخر جهدًا، لماذا تعانده الحياة دائمًا، ألم يأن لها مرة أن تنفرج فتفيض عليها من محاسن الأقدار، استنشق هواءً شحيح الأكسجين أثقل تفكيره، خرجا معًا من الغرفة إلي الممر تحسبًا للعودة، حين تسمرت (ليلى) في مكانها بغتة، ضيقت عينيها إنصاتًا، ثم

التفتت إلى (فريد) وهمست:

- فريد، ...!

ظلت تنظر لعيني (فريد) بنظرة خوف ورهبة، امتقع لها وجهه للحظات من الصمت مرت كساعة، إلى أن تناهى إلى مسامعه أصوات شخصين أو ثلاثة صادرة من مسافة قدَّرها (فريد) بكونها صادرة من غرفة المكتب الملكي، لم يكتشفوا مدخل السرداب بعد، لكن ذلك لا يغير من حقيقة كونهما لن يستطيعا العودة من حيث أتيا، تسمر (فريد) وقبض على رسغ (ليلى) وهمس:

- هل العملاء تتبعونا إلى هنا، أم أنهم إدارة الفندق!؟

- لن يصنع الأمر فارقًا.

وقف (فريد) وسط أولى الغرفتين ينزف الصمت، خسروا ساعات غالية في البحث عن سراب، انتهى بحصارهم داخل سرداب مغلق!

لم يرَ أي مخارج منذ دخولهما ذلك التيه، ضربه التوتر، أي حاكم يصنع شبكة أنفاق أسفل قصرة يضحى غرضه الأول، الهروب في الانقلابات والأزمات الطاحنة، لكن أين هو المخرج!؟

خطا داخل الغرفة رقم واحد، فحص الأرضية، فحص المقعد الحجري، شرع ببصره صوب جدار يرتفع سقفه لأكثر من خمسة عشر مترًا على نحو غير منطقي، مسح براحته فوق الجدار وعيناه تدوران كماسح (إكس راي) يبحث عن شروخ النجاة حتى داعبت راحة يده شق رفيع يتسلق الجدران صعودا إلى السقف، شعاع أمل راح يومض وسط ذلك الظلام الساكن في قلبه. لا يوجد مقابض، دفع الجدار بقوة فانزاح ملليمترات تحرر عبرهم خيط هواء بارد داعب وجهه، دفع الجدار بمزيد من القوة وهو يردد:

- كنت على يقين بوجود مخرج من هذا النفق.

كانت (ليلى) واقفة خلفه يعصف بها التوتر والظلام، سيتم تصفيتهما داخل هذا القبو ولن يعثر عليهما أحد، أنصتت لأصوات ما زالت بعيدة، حين ابصرت (فريد) يدفع جدار بضعة سنتيمترات ثم توقف عند هذا الحد، عادت تعينه في دفع الجدار بلا جدوى، عبر الفرجة الصغير وجَّه (فريد) ضوء مصباح الهاتف ورنا ببصره إلى ركام متهدم يمتد على مساحة واسعة، نكص على عقبيه، من جديد الحظ العاثر يداعبه:

- المَخرج متهدم ومكدس بركام الصخور، لن ينزاح الجدار أبدًا.

زفرت (ليلى) وخرجت من الغرفة وأشارت للغرفة المقابلة:

- فلنجرب الطريق الثاني.

كان بالفعل (فريد) يحث الخُطى إلى هناك، دفعة متوسطة لنفس موضع الجدار في الغرفة المقابلة، راح ينزاح معه للداخل في سلاسة، مستطيل ضخم بارتفاع الغرفة، تحرَّك مسافة كافية لعبور (فريد) ومن خلفه (ليلى)، اقتحما الظلام وعلى هدى ضوء الهاتف دار (فريد) بعينه، قاعة صخرية ملساء تمامًا، واسعة وخاوية ذات سقف مرتفع للغاية بدون مخارج، أثارت استنكار (فريد):

- اللعنة، أين المَخرج!

جاوبته (ليلى) بإشارة لأعلى:

- يوجد مَخرج بالأعلى، لكن كيف كان يصعد إليه!؟

شرع (فريد) ببصره لأعلى حيث فرجة باب في الجدار قرب السقف، تلفت حوله في قاعة خاوية تمامًا يبحث طريقة لتسلق جدار صخري أملس يرتفع لأكثر من خمسة عشر مترًا، حين وقعَ بصره أرضًا على قضبان معدنية متفرعة من الغرف تنتهي جميعها عند الجدار المقابل أسفل المخرج، تصاعدت الفكرة في رأسه، عادَ يستكمل دفع جدار الغرفة الأولى فانزلق بسلاسة نسبية فوق القطبان حتى ألصقه بالجدار

الصخري، بأنفاس مترددة:

- يبدو أن كل غرفة تخفي درجة من سُلَم هرمي ضخم يقودنا للنفق العلوي!

على هدى ضوء مصباح الهاتف حثت (ليلى) الخُطَى خلف (فريد) وهو يعود للممر الرئيسي، ثم يدخل الغرفة رقم واحد التالية، تفحص نفس الموضع لحظة ثم راح يدفع الجدار فبدأ جدار أقل ارتفاعًا من السابق تتساقط من حوله أتربة ناعمة، تعاونت (ليلى) حتى دخلا به القاعة الصخرية، وبعد بضعة أمتار كانت الدرجة التالية من السلم الهرمي في مكانها.

ركضا خلف بقعة ضوء الهاتف في يد (فريد) حتى دخلاالغرفة رقم اثنان، بارتفاع أقل انزاح الجدار حتى التصق بالسلم الهرمي داخل القاعة، لن يفهم أبدًا لماذا كان الخديوي الأخير معقدًا لهذا الحد، زفر ما يعتل به صدره، دفعا جدار الغرفة الثالثة حتى التصق بسابقه، لم يتوقف (فريد) رغم أنفاسه المتلاحقة والبرودة الشديدة التي راحت تعبث بأطرافه حتى بدأ ينفث الأبخرة من فمه، راح يدفع جدار الغرفة الرابعة، غير أنه لم يستجِب له، راح يدفع ويدفع بلا جدوى:

- هذا ما كان ينقصنا!

توقف لاهثًا ثم تجمد لحظة، ألقى نظرة على رقم الغرفة من الخارج.

- إنها الغرفة الرابعة، لو أن الخديوي الأخير جند متوالية الكمال في كل شيء هنا لكان عليه أن ينفذها في ترتيب الغرف أيضًا.

تجاهل الغرفة الرابعة ودنا من الغرفة رقم خمسة وأضاف:

- إنها المتوالية من جديد، كل رقم فيها يساوي مجموع الرقمين السابقين له (8 -5 -3 -2 -1 -1 -0- .....) هذا يفسر تكرار الغرفتين رقم واحد.

دخلها ودفع الجدار فانزاح جزءٌ بارتفاع أقل، حتى التصق بالصرح الهرمي، خرج من الغرفة تجاهل الغرفة السادسة والسابعة ثم اقتحم الثامنة، دفعا جدراها حتى التصق بالصرح كدرجة هرمية أولى. أمسك (فريد) الهاتف المضاء بأسنانه، قفز فوق الدرجة الأولى استدار إلى (ليلى) عندما لم تتبعه.

- فريد لقد علقت..

عاد (فريد) أرضًا، حين أبصر طرف سترة ليلى وقد انغلق فوقه الدرجة الأخيرة.

- اللعنة كيف حدث ذلك؟

راح (فريد) ساخطًا يحاول زحزحة الدرجة الأخيرة قليلًادون جدوى، حين تناهى إلى مسامعهما أصوات متداخلة لعدة أشخاص بدا واضحًا من لكنتهم الغربية أنهم من العملاء وقد عثروا على الممر بل وينوون تصفيتهما فور رؤيتهما.

- سأعود على الفور.

صاح بها (فريد) وهو يعود إلى الممر ثم ركض إلى الغرفة صفر، الأصوات أصبحت قريبة للغاية، بحث ببصره في التماثيل الذهبية حتى اختار واحدًا مناسبًا يؤدي دور العتلة، عاد به راكضًا ودس ذراع التمثال بين الصخرتين، كانت النتيجة فقد التمثال ذراعه .

- محاولة أخيرة يا ليلى وستضطرين لخلع ثوبك.

حشر رأس التمثال قدر المستطاع وراح يميل به، بينما (ليلى) تجذب ثوبها بكل قوتها، وقتها قرر الثوب التحرر وسقط أرضًا مع من ترتديه. ألقى (فريد) التمثال، عاون (ليلى) على النهوض ثم دفع بها فوق أول درجة، وتبعها حين تيبست (ليلى) تنصت لشيء ما:

- فريد هل تسمع تلك الدقات!؟

أنصت (فريد) لصوت دقات رتيبة تنبع من أسفل أقدامهما داخل الصرح الهرمي.

بشدة وتصاعدت منه أصوات معدنية، قفز (فريد) للدرجة الثانية قبل أن تنفصل الأولى وترتد عائدة لمكانها في الجدار، تصاعد لعقل (فريد) سر الدقات المعدنية، لو صدق ظنه فهو مؤقت زنبركي يتم حصره أثناء دفع الجدار ودوران عجلاتها، ثم يتوقف لفترة تعداد زمني، ينبسط بعدها عائدًا بالجدار لموضعها.

بأكبر قدر من سرعة استيعاب الصدمة وامتصاصها قفزا صعودًا فوق صرح هرمي يرتج بشدة، حين راحت الدرجة الرابعة تتخلى عن تلاصقها، تعثرت (ليلى) لاهتزاز موطئ قدميها كادت تسقط من أعلى قبل أن يقبض (فريد) على ذراعها، دفع بها فوق الدرجة الخامسة وتسلقها، ثم دفع بها للسادسة المستوية مع ممر المدخل العلوي قبل أن يسطع في أعينهما ضوء مصابيح قوية ولهجة أجنبية تشير إليهما، تفادوا الثلاثة عملاء الدرجة الخامسة العائدة ثم شهروا أسلحتهم وراحوا يمطرون (فريد) و(ليلى) بوابل من الرصاصات الصامتة، في اللحظة التي قفزا فيها إلى داخل الممر العلوي وتوارا داخله لحظة التحام الصخرة الأخيرة بالجدار بصوت مدوٍ رددته أرجاء القاعة وأثارت عاصفة من الأتربة، حين سكنت الأجواء ولم يُسمع سوى أنفاسهما منبطحين أرضًا داخل الممر، رفع (فريد) بصره لبوابة معدنية تتصدر الممر بمقبض حلقات متداخلة، لم يكد ينهض حتى اخترقت الجدار جواره رصاصتان أقنعاه بالانبطاح من جديد والتوجه زحفًا لمقبض الباب وراح يداعب حلقاته وفق المتوالية حتى انفتح باب يقبع خلفه نفقًا صخريًا، دخلاه خافضي الرؤوس، وعلى هدي ضوء الهاتف راحا يحثان الخطى عبره رغم وجود مصابيح داخل شبكات معدنية على جانبى الطريق إلا أنهما لم يمتلكا رفاهية إضاءتها، إذا ما كانت تعمل من الأساس.

لمسافة خمسمائة متر هرولا في صعود تدريجي وانحناءة للسرداب

يتخذ شكل منحنى على نطاق واسع، حين انتبه (فريد) للزيادة في دوران منحنى الممر حتى شعرا وكانهما يدوران في شكل حلزوني كلما تقدما ازدادت حِدة الانحناء.

- المنحنى الذهبي.

نطقها (فريد) بأنفاس متقطعة وسط لهاثه دون أنيصادف عزمًا في الرد من (ليلى)، بضعة أمتار دائرية وتوقفا في نقطة النهاية حيث حجرة صغيرة يتوسطها سلم معدني حلزوني، توقف (فريد) لحظات ينصت لرنين الصمت فثبت لديه يقين بعدم مقدرة العملاء على اجتياز الباب.

- عندما نصل للقمة، أين سنجد أنفسنا؟!

قالتها (ليلى) على نحو متقطع مع أنفاسها، حين تسلَق (فريد) لأول درجات السلم مجيبًا:

- أيًا ما يكون، فلا مجال للتراجع.

لدقيقتين تسلقا سلمًا معدنيًا حلزونيًا مرهقًا يرتفع لحوالي عشرة أمتار، تميد الأرض من تحت أرجلهما، أخذ (فريد) نفسًا عميقًا شعر معه بالهواء أقل ثقلًا، حين وصل لفتحة سقف مغلقة، تأكد من أن (ليلى) تتبعه، بسط كفيه وراح يدفع الغطاء ببطء وحذر، شعر به ثقيلًا، صعد مزيدًا من الدرجات حتى دعم يده بكتفه وعاتقه، وصعد درجة جديدة دفع معها الفتحة حتى ارتفعت بضع سنتيمترات انهمر على إثرها وابل من الأتربة أغمض له عينه وأطرقت (ليلى) برأسها وحبست أنفاسها تستقبل الأتربة فوق رأسها، ظل (فريد) يدفع الغطاء مطرق الرأس، انفرجت تدريجيًا مع صعود (فريد) درجات سلم إضافية حتى انفتحت الكوة تمامًا وانزلق عنها طبقة أتربة سميكة ألقى (فريد) الغطاء على الجانب الآخر وأطل برأسه في حذر، ومن وسط الغبار الثائر أبصر حجرة دائرية صغيرة خالية يتوسطها سلم حجري حلزوني، اطمأن على خلو الغرفة قبل معاونة (ليلى) على الصعود، أعاد غطاء فوهة سرداب

قصر المنتزة الملكي بكل ما يحمله من كنوز وأسرار بلا حدود.

وقف يتطلع حوله لبناء أسطواني يحيط بهما ويرتفع لعدة أمتار وكأنهما داخل أنبوب خرسانى ضخم، تركزت عيناه صوب مخرج وحيد، باب معدنى خطا صوبه، دفعه بحذر وترقب من خطر مجهول يكمن خلفه، عبر فرجة الباب انساب تيار هواء بارد، ونثرات ليل شاحب تتخلله خيوط بزوغ فجر بث الطمأنينة في قلبه، لكن ما وقعت عليه عيناه خلف الباب امتقع له وجهه وفغر فمه في غير فهم، تخلى عن حرصه، فتح الباب على مصراعيه، تسمر على عتبته، ومن خلفه (ليلى) تحدق للمشهد في ذهول.

***

وقفت (ليلى) جوار (فريد) خارج المبنى على مساحة ضيقة تحيط به، يتطلعان في صمت وذهول لمسطح البحر المتوسط المترامي أمام أعينهما وأفق متلون بزرقة فجر داكن ونسمات هواء مثلجة حملت رذاذ أمواج متكسرة على صخور منصة مستطيلة تحمل بناء خرجا منه للتو، رفع (فريد) بصره إليه، بناء أسطواني مرتفع ينتهي بغرفة زجاجية مستديرة يشع عبرها ضوء مبهر، سقف الغرفة هو قبة نحاسية يخرج منها بقضيب معدني مدبب يعمل كمانع للصواعق، همس وهو يدرو ببصره:

- منارة المنتزه!؟.. نحن وسط البحر المتوسط!

وقع بصره على حلقات معدنية مثبتة قرب قاعدة البناء، المرفأ البحري للمراكب الملكية، وأشهرها محروسة الملك فاروق.

همس فريد:

- الخديوي صمم وسيلتين هروب، أحدهما برية والأخرى بحرية.. الطريق للنجاة كما أطلق عليه.

كان ما يشغل (ليلى) هو طريق العودة لليابسة، تتبعت ببصرها جسر

يمتد من قاعدة المنارة حتى أرض المنتزه، صخري منحنٍ على هيئة قوس ضخم يشق الماء، مارا بكوبري مرتفع يسمح بمرور القطع البحرية من أسفله، ويزداد الدوران اتساعًا حتى يمر بجزيرة الشاي الملكية ونادي اليخوت ثم يزداد الاتساع حتى شاطئ فينيسيا.

تعلقت عينا (فريد) بقصر السلاماليك يقبع بعيدًا وسط الأشجار بأضوائه الأخّاذة وطرازه المهيب، خطا (فريد) عبر الجسر قوطي الطراز وعقب:

- سنتسلل وسط الأشجار ونحاول الوصول للسيـ...

بتر عبارته وهو يرنو ببصره صوب بداية الجسر حيث ثلاثة أشباح تركض صوب شاطئ فينيسيا، بداية منحنى الجسر المتجة نحوهما، خواء المكان فجرًا وضوء المنارة المبهر فوقهما جعل اكتشافهما كجرذين داخل صندوق زجاجي طوله نصف متر.

فكر (فريد) في الركض والوصول إلى نهاية الجسر على الشاطئ قبلهم، لكن طول انحناءة الجسر لم تكن لصالحهم

- سحقًا للمنحنيات، لقد سئمت هذا الخديوي ومتواليته السخيفة.

هتف بها (فريد) في سخط، فغمغمت (ليلى) بلهجة ذات مغزى:

- لقد كان يحب زوجته فأحب كل شيء كانت تهواه.

بصعوبة بالغة تجاوز (فريد) العبارة قبل أن تنفجر شراييـنه، أو تتجلط الدماء في مخه، سحبها من يدها وراحا يركضان فوق الجسر يتناثر من حولهما رذاذ الموج المتكسر فوق صخور الجسر، صعدا عدة درجات ومرا من فوق الجسر العلوي ثم عادا للنزول في رحلة ركض بدا أنها لا تنتهي، مرًا قَرب كشك الشاي روماني الطراز، تماثيله الرومانية النابضة بالحياة تلوح لهما مشجعين كبرابرة الكولسيوم، جسر فينيسيا بدا كبوابة عبور الموت إليهما، دخول العملاء عبره قطع طريقهما لليابسة، بات الانعطاف حتميًا، مساحة يابسة صغيرة مكدسة بأشجار النخيل تحيطها الماء كانت الملاذ الأخير، اعتصرت (ليلى) ذراع (فريد) تفرغ

هلفًا ضرب جأشها، (فريد) راح يدور بأعين متسعة وعقل التهب بأفكار تركزت مع بصره على لافتة فوق بناء صغير (نادي اليخوت) وأمامه في الماء تراصت قطع بحرية للإيجار، سيستعملان وسيلة فرار الخديوي الأخير كما خطط هو لها تمامًا.

مرت ثوانٍ غالية تناقصت معها المسافة، كانت كافية ليبدأ عرض الألعاب النارية حين اصطكت رصاصات طائشة بالنخيل من حولهما، انخفضا لا إراديًا، أشار من مكمنهما إلى (لَنش) قريب وهمس:

- سأعد إلى ثلاثة ونركض إلى داخل هذا (اللَنش).

لم تجد (ليلى) فرصة للاعتراض أو ابدأ الدهشة فقد أنهى (فريد) العدة الثالثة وركضا تلك المسافة القصيرة ثم قفزا داخل لَنش صغير طراز (SEA RAY2003)، انزلقت قدم (ليلى) فوق الأرضية الخلفية (للَنش) وسط أجساد بشرية من المطاط تُستعمل في التدريب على الإنقاذ، نهضت ودفعتها في سخط ثم قفزت على المقعد الأمامي بينما (فريد) مستلقٍ وسط الدمى المطاطية يحل حبل المرساة، ثم عاد يقفز على مقعد السائق جوار (ليلى)، بحث ببصره عن مفتاح إشعال المحرك لكن بدا أن حظهما قد نفدَ، مكان ثقب المحرك بلا مفتاح، لا إراديًا انزلقا فوق مقعديهما اتقاء رصاصات راحت تصطدم ببدن اللانش المعدنى، كانت حالتهما مزرية حين تلاقت أعينهما لحظة، خشعت معها الأصوات، دار بينهما حديث طويل صامت، تسلل لقسمات وجهه المغبر شبح ابتسامة باهتة مرهقة، لمعت لها عينا (ليلى) بغشاء رقيق من الدموع، أطبقت شفتيها في أسى وأسف، التقط أناملها، ضغطها برفق، أورثته دفقه من دفء كان قد نضب عن آخره، موجات حب كهربائية، كلمة سر فتحت عينيه لكنز غالٍ ثمين يكمن داخل تجويف أسفل لوحة قيادة (اللَنش)، مفتاح وحيد معلّق بميدالية جلدية، التقطه في عدم تصديق حين عاد صخب اصطدام الرصاصات الصامتة ببدن (اللَنش)، انتزع عينه من عينها، دس المفتاح في الثقب وأداره بينما عيناه ترصدان

ذراع الحركة والسرعات والمقود.

هدر المحرك فأمسك بذراع السرعة وراح يدفعها للأمامتدريجيًا، تحرك الزورق في تكاسل مبتعدًا عن المرفأ، تشبث بالمقود وأداره صوب الجسر المعلق، التفت خلفه فوجد أحد حراس النادي يخرج مهرولا في جزع على صوت المحرك يصيح لهم بالتوقف لحظة وصول عملاء وضعوا في رأسه رصاصة صامتة أقنعته بالصمت، واندفع بعدها العملاء صوب (لَنش) آخر.

مر (فريد) أسفل الجسر المعلق إلى البحر المفتوح فرفع مقبض السرعة تدريجيًا حتى انطلق القارب على نحو متسارع راح يتقافز فوق الأمواج والزبد يندفع من خلفه.

استعاد هاتف (ليلى) شبكة الاتصال خارج الأنفاق، أجرت اتصالًا بوالدتها، ثوانٍ التهمتها حتى أجابت:

- ليلى، أين كنتِ هاتفك مغـ...

- أنا بخير يا أمي، أخبريني كيف حال ريم؟

- ما زالت في غيبوبة والأطباء حولها باستمرار.. حالتها تتأخر.

شحب وجه (ليلى) المغبر ولم تجد ما تقول، تراخى الهاتف في يدها ولم تعبأ بنداءات والدتها المتكررة، أغلقت الاتصال، عطفت رأسها لأفق البحر وشردت بأعين كستها طبقة دامعة.

غصة في حلق (فريد) منعته من السؤال، ونظرة لساعته الرقمية تشير لتبقي أقل من ست ساعات على فوات أوان محاولات إنقاذ ابنته، والأكاد أنه وصل للمنتهى، اختفى مصدر ذلك الجين اللعين، وكل ما يحاولانه الآن هو الفرار من أشخاص يحملون إصرارًا مريبًا في الحصول على تلك العين بعد تصفيتهما. استل المخبار من جيب سترته، دقق النظر للعين السابحة داخله، شعر أنها شيء ملعون، لماذا يريدونها

إلى هذا الحد!؟

- يجب أن نعطيها لهم وننهي تلك السخافات التي نقوم بها.

فوجئ (فريد) بصوت (ليلى) المتهدج تصيح في انهيار بتلك العبارة، انخلع قلبه لرؤيتها هكذا، (ليلى) القوية العنيدة وصلت أعصابها للمنتهى، اصطدم قطار تحملها بمصدات نهاية رحلته. تحدَّث إليها فخانه صوته وخرج مبحوحًا تنحنح:

- سوف يقتلوننا على أي حال، لن يتركونا أحياء.

حين صك مسامعهما صوت هدير في الأفق، هدير محرك زورق يلاحقهما، التفت خلفه فبدا على ضياء صباح شحيح (لَنش) يحمل ثلاثة عملاء يتقافز فوق الأمواج في سرعة وشراسة، تصاعد إيقاع نبضات قلبه، التفت يسارًا فبدا له على بُعد مائة متر شارع كورنيش البحر.

- سوف نحاول الاقتراب من الصخور والصعود لليابسة.

- سيدركوننا إذا خففنا السرعة قرب الشاطئ.

اعتصرت العبارة قلبه فنبضت في عقله فكرة، صاح بصوت يطغى على صوت هدير المحركات والهواء العنيف المصطك بوجوههم.

- ابحثي عن رحلات طيران إلى القاهرة من مطار برج العرب خلال الوقت الجاري.

بالكاد هضمت الفكرة، فتحت هاتفها واتصلت بالشبكة العنكبوتية، بحثت حتى وجدت عدة رحلات أقربها بعد ساعة ونصف والتالية بعد أربع ساعات، أخبرت (فريد)، ألقى نظرة سريعة على الهاتف، ثم عاد للقيادة:

- احجزي مكانين على متنها.

أخرج من جيبه حافظة النقود وأعطاها لها:

- بطاقة مشتريات داخلها، أكدي الحجز على الفور.

انهمكت في إجراءات الحجز لدقائق في غير اطمئنان حتى انتهت، بينما الهدير يتصاعد من خلفها يشي بانخفاض المسافة.

- تشبثي جيدًا.

نطقها (فريد) وأقرنها برفع ذراع السرعة قفز (السي راي) واندفع رذاذ غزير لداخله، في اللحظة التي برز فيها في الأفق على بُعد حوالي ثلاثة كيلو مترات قلعة (قايتباي) داخل البحر تسد الطريق مما دفعه للتعمق داخل البحر المفتوح أكثر.

- ليلى، افتحي موقع الخرائط وحددي موقعنا وموقع مطار برج العرب بحرًا.

نفذت (ليلى) مباشرة بقلب خافق، أخذت تقرب الخرائط فوق هاتفها أكثر، وتركت التطبيق يرسم لهم طريقًا من موقعهما للمطار.

- نظل نتقدم بحرًا حتى الماكس ثم ندخل اليابسة ونستقل سيارة لمسافة قصيرة، لكن...

- لكن ماذا؟!

- بعد قلعة قيتباي هناك منحنى حاد، خلفه بأقل من كيلو متر تقع منطقة عسكرية محظورة.. قاعدة رأس التين البحرية.

أحنيا رأسيهما لا إراديًا إثر رصاصة اصطدمت بجسم القارب، التفت (فريد) فوجد العملاء يندفعون بسرعة جنونية، شرع يدفع ذراع السرعة فاصطدم بنهايته راح المحرك يزأر باعتراض لم يعبأ به أحداً، أحكمت (ليلى) حزام الأمان بعد أن ازدادت قفزات القارب فوق الأمواج على نحو خطير جدًا، تمسك (فريد) بالمقود بكلتا يديه يحسب الاحتمالات العديدة للحظ العاثر، مطاردون مسلحون خلفهما ومنطقة عسكرية محظورة أمامهما لن يقتربا كثيرًا قبل أن تقفز لنشات القوات البحرية

فوق رؤوسهما وتعتقلهما في ثوانٍ.

- أرِني المنحنى بعد قلعة (قيتباي).

رفعت (ليلى) الهاتف أمام وجهه فأخذ يدقق في موقع القلعة المشيدة فوق حافة رأس مثلث يخترق البحر.

فكرة ضبابية تشكلت في مخيلته، التفت ورصد مسافة العملاء خلفه.. تعمق داخل البحر المفتوح، ثم عاد للدوران خلف القلعة، لحظات غاب فيها القارب عن أعين العملاء ضربهم فيها القلق داخل قاربهم السريع، كان أحدهم يقود بينما اثنان يعيدان تلقيم أسلحتهما ويستعدان للفتك بهما بمجرد دورانهما حول شبه جزيرة القلعة، تحدث أحدهم عبر سماعات لاسلكية في أذنه يؤكد دنو إحكام سيطرتهم على الأهداف، دار زورقهم حول القلعة والتف من حولها ثم عاد بعدها في موازاة الساحل حيث قارب (ليلى) و(فريد) يحاول الفرار بسرعة كبيرة، أغلق الاتصال وأشار لزميله ثم إلى (ليلى) و(فريد) داخل القارب وقال له:

- صوب عليهما مباشرة، مطلوب تصفيتهما.

رغم ارتفاع سرعة قارب (فريد) إلا أن المسافة بينهما راحت تقل، استغلها العملاء بإطلاق وابل من الرصاص، أصابت بعضها جسد القارب وطاشت بعضها حول (فريد) و(ليلى)، انتظر العملاء حتى قصرت المسافة أكثر وأحكموا التصويب، لكن دوي إنذار عنيف تردد صداه بغتة، وشخص يتحدث عبر مكبر للصوت:

- أنت تطلق الرصاص نحو قاعدة عسكرية بحرية، ألقوا بأسلحتكم وأوقفوا محركات القارب وإلا سيتم قصفكم في الحال.

شحبت وجوه العملاء وارتبكت أخيلتهما، تلاقت أعينهمفي تردد، وأمام أعينهم خرج (زورقين) حربيان فوق قمة كل منهما مدفع قوي وفي مقدمته تراص جنود مسلحين، انقض أحدهم عليهم والآخر راح يتخذ وضعية قتاليه نحو (لَنش) (فريد) الذي بدا أنه يحاول الفرار من

زاوية ضيقة بين الزورق الحربي والسياج الصخري حول القاعدة البحرية، هز أحد العملاء رأسه نافيًا يغمغم بينما يداه مرفوعتان فوق رأسه:

- الاغبياء، لن ينجوا.

بدا لحظة أن (لَنش) (فريد) سيمر بسرعته الكبيرة من تلك المساحة الضيقة، لكن صخرة ناتئة مست جانبه الأيسر شجت الجانب بأكمله، مال بحدة واصطدم بعنف بالسياج الصخري، خمد محرك (السي راي)، حين اعتقل (الزورق) الحربي الأول الثلاثة عملاء ووضعهم على متنه وعاد بهم للقاعدة، رنا قائد العملاء ببصره صوب (لَنش) (فريد) المحطم تتسرب داخله المياه بينما بعض جنود البحرية فوقه يقفون حائرين أمام جسدين بشريين من المطاط مثبتين بحزام الأمان فوق المقعدين يرتدي أحدهما سترة (ليلى) والآخر سترة (فريد) بعد تثبيت المقود على الجانبين بحبل المرساة.

امتقع وجه العملاء وأطلق زعيمهم سبة ثم شرد ببصره صوب اليابسة يبحث عمن وضعهم في مأزق دولي.

***

الفصل العاشر

العاشرة مساءً بتوقيت واشنطن

17 يناير / اليوم العالمي للأديان

رغم أن الظلام قد خيم على العاصمة الأمريكية واشنطن إلا أن مصابيح عملاقة موزعة داخل حديقة (المشتل الوطني)كانت تشع بضوء مبهر هتك ستر الظلام وقلبه ظهيرة مشمسة، تجلت معه نباتات وأشجار نادرة موزعة على مساحة 440 فدان نتاج تهجين وإعادة تخليق مختلف أنواع النباتات، وبالأخص أمام معرض (بونساي)حيث أشجار بونساي المُصغرة التي تنمو بتدخلات تحفيزية للنمو بأشكال

جمالية، خطفت أنظار العشرات من المتواجدين حول المعرض من العلماء والباحثين والصحفيين، غير أن ذلك الحشد كان لسبب آخر تجلى وسط اعمدة جيرية ناصعة ضخمة على الطراز الروماني، انتصبت وسطها منصة وقف فوقها رجل يرتدي معطفًا طبيًا وعلي جانبي المنصة وقف العديد من المساعدين، حين سطعت (فلاشات الكاميرات) بمجرد اقتراب مذيع البيان من مكبر الصوت ثم ساد الصمت تدريجيًا، حين استهل الحديث:

- مساء الخير عليكم جميعًا، معكم دكتور (هاورد)، أتشرف بترأس فريق من أنبغ أطباء الجينات في العالم،نسعى جميعنا لعصور التنوير، الوقت الذي يصبح فيه الإنسان عظيماً ومبجلاً يعرف كيف نشأ ووضعه الحقيقي في الكون.. قبل أن أبدأ دعوني أوضح لكم أن ذلك ليس هو البث الوحيد لاكتشافنا، لقد عهدنا لخمسة علماء بارزين ببث بيان تكميلي، كل في حدود تخصصه بما يتفق مع ثقافة الشعب الموجه له البيان، لكننا سننفرد بالبداية الآن.

تنهد المتحدث، أسبل جفنيه برحيق الثقة، انفرجت شفتاه:

- دعونا نعود للبداية حين كان الحلم مجرد أفكار فلسفية أرساها الفيلسوف الهولندي (سبينوزا) في القرن السابع عشر عندما توصل أن العلم والعقل الراجح المفكر يكفي الإنسان في الحياة، ومنها توصل لدور الطبيعة الرئيسي في تطوير أشكال الحياة المختلفة، ومن يومها وتضافرت جهود العلماء لإثبات سيادة الطبيعة بالحجة والبرهان وكثرت المحاولات، حتى جاء في القرن التاسع عشر العالم (تشارلز داروين) فكان أول من انتهج طريقة علمية في التفكير حول سيادة الطبيعة عندما نشر نظريته في كتاب (أصل الأنواع) عام 1859م، كانت محاولة جيدة، واجه خلالها صدامًا كاسحًا، في البداية فسر نشأة وتطور المملكة الحيوانية والنباتية، لكن الجدال كان حول تطور الإنسان، فجاءت الشروحات شمولية وعامة، تفيد أن الجسد البشري وصل لتلك المرحلة من التطور خلال ملايين السنين، عن طريق

الاصطفاء الطبيعي والتطور ابتداء من بذور أولية بكتيرية وانتهاء لظهور الخلية الأولي وتطورها لكائنات حية.. وهذا ما سيوفيه شرحًا أحد باحثينا الخمسة في البيان التكميلي، بعد الانفجار الكبير تراكم غلاف من الغازات والأبخرة المتصاعدة حول كوكب الأرض، عمل على حمايته من الإشعاعات الكونية المهلكة، وأنفذت إليه (طاقة كونية) نطلق عليها حديثًا اسم (الطاقة المعتمة)، الروح التي دفعت مكونات الخلية للعمل .

تدارك الرجل قائلًا:

- لن أطيل في شأن مصطلح تلك (الطاقة المعتمة) التي دفعت الخلية الأولى للعمل، فلدينا أيضًا سيدة فذة شهيرة من المجتمع الشرقي ومتدربة في (ناسا)، سوف توضح أكثر تلك الأمور في بيان لاحق، وما يعنينا هنا الآن هو تطور تلك الخلية إلى بكتيريا بسيطة بدائية، وجدنا منها عينات مندثرة لم تتمكن من التطور تعود إلى العصر الكامبري الأوسط، وما نجا منها تكيف مع البيئة الجديدة يناضل ضد الظواهر الطبيعية ويتكيف ويتطور عبر أجيال وأجيال من حشرات وطيور وحيوانات بفصائلها وحتى الإنسان نفسه كان أكثر الكائنات التي تطورت كثيرًا ضد عوامل البيئة وارتقى تدريجيًا حتى وصل لإنسان بلتدون الشبيه بالقردة.. الوصلة المفقودة في التطور.

حتى جاءت كارثة طبيعية جديدة لم يحتملها جسده القوي فماتوا وبقي أكثرهم ذكاء، حين أصبح الاعتماد على العقل أكثر من العضلات.. وعبر تطور آلاف السنين ظهر الإنسان بصورته الحالية.

العالم (داروين) كان محكمًا في نظريته وكانت مقنعة للجميع لولا وجود ثغرة بسيطة استطاع المتدينون الولوج منها لهدم النظرية وبقيت هذه الثغرة تنغص منطقنا حتى لحظتنا هذه. لقد كان تركيب (العين البشرية) يا سادة هي العائق أمام اكتمال النظرية، العين البشرية بتركيبها المعقد كما وصفها ذلك العالم العربي (الحسن بن

الهيثم) أول من قام بتشريحها في التاريخ، ووصف مكوناتها المعقدة للغاية حيث ثلاثين مكون متجانس يعملون معًا للحصول على رؤية مثالية، فشل الجميع في بيان كيفية تطورها من خلية عادية أولية حتى وصولها لهذا الحد من الكمال والروعة، مما أنعش أمل المعارضين للنظرية ودفعهم لنفي سيادة الطبيعة والتطور الطبيعي للتأكد من وجود خالق أعلى للكون، حتى إن العالم (داروين) قال بيأس شديد في كتابة أصل الأنواع في الفصل السادس تحديدًا: «إن العين البشرية بغاية التعقيد والكمال، وإن تطور العين بواسطة الاصطفاء الطبيعي هي فكرة سخيفة لأعلى درجة»، كان تصريحًا رهيبًا سيهدم نظريته غير أنه حاول التخفيف منه بمحاولة يائسة لتدارك الخطأ ورأب الصدع دون أي سند علمي، فقال: «إنه بالرغم من صعوبة تخيل فكرة تطور العين إلا أنها معقولة»

أكمل المعلق متداركًا:

- هذه كانت كلمات (داروين) التي كانت صحيحة، لكن العلم وقتها لم يكن يجيب على سؤال هام، وهو.. كيف تكونت خلية عصبية أولي حساسة للضوء؟! وما هي القوة الفيزيائية التي دفعتها للعمل!؟ بقي السؤال بلا إجابة كشوكه في ظهورنا حتى لحظتنا هذه.. نحن هنا الآن لنعلن أنه تم العثور على تخطيط جيني يمكنه حث الخلايا العادية لتصبع عصبية حساسة للضوء، بتحفيز من عامل فيزيائي طبيعي يعد اكتشافًا في حد ذاته.

غمز بعينه وأضاف:

- ليتأكد لنا سيادة الطبيعة في نشأة وتطور الكائنات جميعًا.

ساد الهرج لحظات بينما أعين الجميع تتابع صندوقًا صغيرًا صعدت به إحدى المُساعدات حملها عنها المعلق، ثم وضع الصندوق أمامه وسط تركيز إعلامي لكل المحطات الفضائية في العالم وتعرضها شاشة ضخمة خلفه للحاضرين، كشف غطاء الصندوق وأخرج مخبارًا زجاجيًا

داخله محلول شفاف تسبح داخله عين بشرية كاملة.

سرت همهمة مترقبة بين الحاضرين فعاجلهم:

- هذه هي أول عين بشرية يا سادة تطورت تلقائيًا من الصفر، باستعمال تقنية (داروينية مُسرَّعة).

عرضت الشاشات صور مجهرية تم تسريعها تختصر فترات زمنية متباعدة، علّق عليها قائلًا:

- تم تخليق خلية عادية معمليًا وتعريضها للمحفز الجيني والفيزيائي، وبتقنية (الدارونية المُسرّعة) نشأت خلية عصبية تستشعر الضوء.

بدأت الصورة تعرض مشهد للعلماء من بداية تعريض خلية عادية لظواهر طبيعية مفتعلة من حرارة مرتفعة وصواعق كهربية برقية وتفاعلات بيولوجية وسط حشد من المتفرجين في كل أنحاء العالم مشدوهين فاغري الأفواه يشاهدون بثًا حيًا لسد آخر ثغرة في النظرية والتأكيد على هيمنة الطبيعة في النشأة والتطور.

***

عبر شاشات القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي ثار جدال واسع، حين تصاعدت أصوات اتباع التطور بهجوم ضارٍ، كتب أحدهم مقال: «اليوم انتصار ساحق، لقد تم إزالة شوكة ظهورهم، الشوكة التي طالما نغصت عليهم مبادئ ثبت لديهم يقينًا في صحتها، تنفسوا الصعداء وعلت الوجوه ونزل الجميع للاحتفال، لقد فازت الطبيعة وأثبتت هيمنتها وسيادتها، لقد تحررت النظرية من ثغراتها وانتفضت، تم رأب الصدع بتجربة عملية وبث مباشر واضح يعلن تمكنهم من معرفة معايير التحفيز الطبيعية التي بدأت بها عجلة تطور العين حتى باتت على هيئتها المعقدة...»

حين صاح أحدهم عبر تسجيل (فيديو): «لقد قدمناما يؤكد معتقدنا وأكدنا عن طريق العلم الدور الرئيسي للطبيعة في الخلق، والآن فليرونا

المؤمنين عن طريق العلم أيضًا ما ينفي ذلك».

تصاعدت الردود من المؤمنين أصحاب الديانات، وراحيدافعوا بضراوة، تمثل في سؤال أطلقه أحدهم: «إذا كنت وجدتم العوامل التي دفعت الطبيعة لبدأ تطور الخلية العادية إلى خلية عصبية، فمن الذي خلق تلك الخلية العادية!؟

وجم الكثير وخنس، قبل أن يبدأ بث بيان أول العلماءالخمسة على لسان أستاذ الكيمياء الحيوية آسيوي الأصلي (ناكومورا)، ظهر الرجل عبر قناة (إنترنت) خاصة بالتحالف الدولي في ميعاده المقرَّر مسبقًا.. متأنقًا بجسده النحيل وعينين ضيقتين تشعان ذكاء يحيط بهما شعر طويل ناعم لطخ الشيب القليل منه.

بعد تعريف نفسه في دبلوماسية قام بسرد مبسَّط للنظرية شارحًا:

- بعد الانفجار الكبير للكتلة الأم، تطايرت الكتل الصخرية ساخنة لدرجات حرارة رهيبة تنهال عليها سيول عاتية تراكمت كبحيرات ضخمة تضربها البراكين والصواعق والأشعة الكونية بلا توقّف حتى تكونت داخلها الأحماض الأمينية ومنها البروتينيات، حيث نشأت الخلية الأولى، ثم راحت تنقسم في بيئة مناسبة بفضل طاقة كونية نطلق عليها (الطاقة المعتمة) تكونت بكتيريا وطفيليات حية تأقلمت وتطورت ثم تحورت لكائنات أرقى، وفقًا لإنتقاء طبيعي، معيار التطور.

تبسَّم (ناكومورا) وفي خاتمة البيان القصير أضاف:

- إن ما كنا نعتقده قديمًا معجزة فوق استيعابنا عرفنا اليوم أنها معايير كيميائية وفيزيائية إذا ما تم ضبطها ستخرج لنا ما نشاء من الخلايا العادية منها والعصبية، يدفعها للعمل (طاقة معتمة) هائمة في الكون ستقوم باحثة متخصصة في الفيزياء الفلكية بشرحها لكم في بيان لاحق.. أيها السادة، لقد كان حلّ معضلة تطور العين البشرية مسألة وقت.. وقد حان.

ألقاها الرجل ثم تبسّم وأومأ برأسه يحيي متابعينه ثم انطفأ البث تاركًا خلفه آلافًا من الحائرين متلاطمي الأفكار.

توالت الطعنات النجلاء من يدٍ طالما امتدت - خداعًا- بالفضيلة والإحسان، راحت تخترق الصدور والأفئدة حتى أثخنتها بجراح الخيانة والغدر، تم تفعيل ذوي الأوجه المألوفة والحائزين على ثقة البعض، حتى إذا ما حان الوقت ودبت الفوضى، لجأ الناس للاستماع إليهم، فأضلوهم.

على نحوٍ مستفز تم السماح لأحدهم بالظهور على التلفزيون الرسمي حتى إذا ما توقفت (الكاميرا) أمام وجهه حتى تراخت عينه في فضيلة ناعمة يتحدث بلسان يقطر ثقة زائفة: (إن العلم قال كلمته، كنتم وأنا أولكم نتعلل بتركيب جسم الإنسان المعقد وأهمها العين، ونسخر من مدعي التطور، كيف أيها الحمقى عين بذلك التعقيد تكون نتاج صدف طبيعية، كانوا لا يجدون جوابًا حتى في مراجع كبيرهم (داروين)، لكن العلم الآن يضرب من جديد والطبيعة تؤكد هيمنتها على نشأة وتطور الخلق).

تصريح آخر جاء من بعض مدّعي الوسطية على لسان أحد ممن لهم بعض المشاهدين قائلًا: (ليس لدينا الآن ردود وسنكتفي بالصمت في مواجهة هذا الاكتشاف حتى نتأكد من مصداقيته علميًا وعمليًا، سننتظر حتى تهدأ الموجة وننظر بعين العقل هل حقًا تمكنوا من صنع خلية عصبية وتشغيلها بتلك الطاقة المجهولة.. هل اكتشفوا ما هي الروح ويمكنهم التحكم بها.. نحن واثقون أننا سنجد الرد المناسب على تلك التطورات الجديدة في مجريات الأمور تمامًا كما التزموا هم الصمت أمام تعقيد تركيب العين وانتظروا حتى وجدوا البرهان).

توافق رد البعض من أصحاب الديانات الإسلامية والمسيحية واليهودية على مهاجمة الكشف جملة وتفصيلًا وأكدوا على هيمنة الخالق الواحد الأحد، الذي خلقَ الطبيعة نفسها التي يتشدقون بقدرتها

وهيمنتها كما جاء في تصريح أحد المتخصصين علميًا: (نرى أنها مجرد ادعاءات لم يتم إثباتها بدليل علمي قاطع حتى الآن، نتحداهم في طرح تلك التجربة على الملأ وليس مجرد تصوير (فيديو) متسارع لها، أرونا كيف أوجدتم خلايا عصبية من الصفر ودفعتم المحفزات الطبيعية لتحويلها إلى عين بشرية يمكنها الرؤية).

إلى أن جاء أرجح الآراء ممن يؤمن بنظرية التطور فيأضيق الحدود، ففسر نظريته التي سماها (نظرية التطور الإلهي) قائلًا:

(التطور أيها السادة أمر مؤكد فيما يخص المملكة النباتية والحيوانية.. استنباط سلالات من سلالات عبر التاريخ، التزاوج بين الحمار والحصان.. التهجين بين النباتات، التعديلات الجينية.. ليس معنى ذلك أن الخلق ناقص ولكن الله قال إن الإنسان خلق ضعيفًا.. وما جمال الدنيا إلا شوق الناقصين إلى الكمال.. ولن يحدث، النقص حقيقة لأن الكمال لله.. التطور لا يطعن في خلق الله بل يؤكده، أما الخلاف فهو حول النشاة الإنسانية، هل هو مستنبط من سلالة سابقة أم خلق أولي مستقل وبدء مطلق؟، نفس العظام ونفس الأعضاء وطريقة عملها، تشابه تشريحي كبير بين الإنسان والحيوانات، قوانين فسيولوجية واحدة، لكن التشابه يا سادة يدل على وحدة الخالق وليس استنباط الكائنات من بعضها البعض.. وسائل المواصلات متشابهة في أدائها لوحدة الصانع وهو الإنسان وليست مستنبطة من بعضها).

كان المجتمع يغلي، سقط الكثير من المتدينين وغاصوا في مستنقع الفتن، شعر البعض بدنوّ عصر الفتنة الكبرى.. فتنة الدجال، وقبض البعض الآخر على الجمر بيده وحافظ على فطرته، كانت المعنويات منخفضة والروح تفور، والعقل يغلى ، والقلوب .. لدى الحناجر .

***

الفصل الحادي عشر

وسط العاصمة المزدحمة وبين جنبات صباح يوم بدا هادئًا، احتشد نواب مجلس الشعب المصري أسفل قبة بيضاء ترتفع لأكثر من 30 مترًا فوق قاعة دائرية يبلغ قطرها 22 مترًا يتصدرها نسرٌ ذهبيٌ ضخمٌ يجلس أسفله رئيس مجلس النواب فوق منصة الرئاسة في مواجهة ما يزيد على مائة عضو برلماني، احتشدوا فوق مقاعد مصطفة كنصف دائرة حول المنصة.

هنا انهمك النواب في مناقشة مولد مشاريع قوانين والتصويت على تفعيلها من عدمه، كانت إحدى الدورات البرلمانية غير المذاعة لما لها من حساسية خاصة، لما ستقرره من قانون طالما أثار جدالًا واسعًا حول مغبة صدوره على الشارع المصري، لذا تم تأجيل البت في إقراره عدة مرات، غير أنه بدا من مسار تلك الجلسة وتأييد الغالبية العظمى من نواب المجلس أنها مسألة وقت وسينضم قانون (معاقبة المجاهرة بالإلحاد) لقائمة القوانين الداخلية للبلاد.

كسر رئيس البرلمان ضجيج القاعة بقرع مطرقته الخشبية فراحت القاعة تهدأ تدريجيًا فيما بدا أنه قد حان موعد اللحظة الحاسمة بعد انتهاء المناقشات، فنادى الرئيس بكلمته الشهيرة، بالتصويت على إقرار القانون من عدمه وراح يرصد الأكف المرفوعة وقد بدا جليًا أن الغالبية العظمى قررت الموافقة، طرق رئيس المجلس بمطرقته وشرع يقر الموافقة حين ارتفعت من خارج البناء أصوات متداخلة ومتصاعدة لم يتبين أحد فحواها أو حتى مصدرها غير أنها راحت تقترب بسرعة وتتضح تدرجيًا، ارتفعت المحادثات الجانبية فطرق رئيس المجلس بالمطرقة الخشبية عدة مرات من جديد يستجدي صمتًا لم يجد طريقه لأحد، بل سرت الأقاويل فيما بينهم فتعالى صوت الرئيس:

- أرجوكم أيها السادة الزموا أماكنكم والأمن بالخارج سيقوم بالتعامل مع أية مشكلات.

لم يكد يشرع الأعضاء في الجلوس إذعانًا لطلب الرئيس حتى انتفضوا على وقع صوت ارتطام أحجار بالمبنى، في الوقت الذي تلقى فيه رئيس المجلس اتصالًا خارجيًا امتقع له وجهه وظلّ يستمع ويومئ برأسه في تفهم أمور يمليها له الطرف الثاني من المحادثة، خفض الهاتف وقالت في تردُد:

- أيها السادة، إنه لواء خدمة ميدان التحرير، يوجد تجمع يتدفق من الشوارع الخلفية تحاول الإحاطة بمقر المجلس، يطالبون بوقف مناقشة مشروع قانون بعينه.

شحبت وجوههم وسرت همهمة، لحظات ثم تحدث من جديد:

- حرصًا على سلامتنا أغلق الأمن البوابات من الخارجوطالبونا بالبقاء هنا حتى يتم التعامل مع التجمع.

امتلأت القاعة بصخب بين اعتراضات وخوف يمازجهم تساؤل لا إجابة لها سوى لدى مئات المعتصمين بالخارج، نبعوا من شوارع خلفية وجانبية باغتوا الأمن بتكنيك بدا وكأنه مدروس، أحاطوا بمقر المجلس من جميع الجهات وحاصروه بمن فيه، تكتلات بشرية تهتف بشعارات رنانة تحث على التحرر وكسر النمطية ومنع القمع.

كمن يعيش كابوسًا توقفت الأكمنة القريبة في ارتباك أمام حشود غزيرة، انتظرت القوات أوامر القيادة فجاء رد الفعل متمثلًا في سيارات الأمن المركزي الضخمة هرعت من كل حدبٍ ونسلٍ يتدفق منها الجنود، حاولوا اقتحام المتظاهرين لكن بتوافق وترابُط قويّ جدًا لم ينجح جندي واحد في اختراق الدرع البشري.

الحشود كانت مشتعلة غضبًا تجاه إقرار قانون ملاحقة المجاهرين بالإلحاد بتهمة ازدراء الأديان، بالأخص بعد صدور البيان العالمي المرتقب حول التغلب على ثغرات نظرية داروين، كطعنه جديدة وأخيرة للعلم في قلب الفطرة.

تراجع الجنود وتقدمت ثلاث عربات مجهزة بمضخات مياه قوية فتحت عليهم فيضًا غليظًا من المياه المتدفقة اصطدمت بغتة بصدر أحدهم وانتزعته فارتد للخلف فصاح العديد منهم احموا رؤوسكم وانخفضوا، سجدت الصفوف الأمامية أرضًا وأحاطوا رؤوسهم بأيديهم وبقوا في أماكنهم تضربهم المياه بعنف وبلا توقف لكن دون أن يتحرك أحدهم موطئ قدم.

ومن بينهم انخفض (جمال) يحيط (ريناد) بذراعه،وأغمضا اعينهما تضرب ظهورهم المياه المتدفقة، مضت لحظات بدت كالدهر حتى توقف تدفق المياه فنهض الجميع تدريجيًا في صمت، غرقى تقطر عن أجسادهم المياه، ثم انفجروا بغتة في الهتاف من جديد.

علموا أنهم لن يكتفوا بالماء عندما برز من قمة السيارات جنود بقاذفات قنابل مسيلة للدموع، فتح (جمال) حقيبة ظهره ومعه الجميع ارتدوا نظارات تستخدم في الغطس تحت الماء كممت اعينهم وانوفهم، بدا أنها نتاج استعدادات سابقة، حين سحب (جمال) عبوة خل وبلّل بها منديلا كبيرًا، أحاطه بفم (ريناد) ووضع لنفسه واحدًا.

وقفوا بعدها غير مبالين بالأبخرة، تسمر (جمال) مذهولاً حين رصد ببصره صندوقاً يحمله شابين، ممتلئ بزجاجات قذائف المولتوف الحارقة، وحين رفع بصره وجدا الصناديق تسري بينهم بالعشرات في استعداد لخطوة تصعيدية مضادة لم تكن في الاتفاق.

***

مع انتشار خيوط ضياء الصباح راحت نسمات الهواءتداعب مسطح البحر المتوسط وتدفع بموجات صغيرة تعتلي بانسيابية صخور شاطئ منطقة رأس التين ثم تنحسر عنها بخرير محبب للنفس هدأت معه جوارح (ليلى) واستكانت روحها وهي تجلس ببنطال ابتلت ساقاه جوار (فريد) المبتل حتى الجزع فوق إحدى الصخور الجافة، يلتقطان أنفاسهما بعد تسلق صخور شاطئ منطقة رأس التين، بينما أعينهما

تراقب عن بُعد حصار (لانش) البحرية لقارب العملاء وتحطم قاربهما، أعادت (ليلى) على مخيلتها ما قاما به للتو غير مصدقة ذلك.. فبعد أن اختفيا عن أنظار العملاء خلف قلعة قايتباي، خفف (فريد) سرعة (اللَنش) حتى توقف جوار صخور الشاطئ، ربط المقود بحبل المرساة ووضع الأجساد المطاطية على مقعدي (اللَنش) بدلًا منهما، خلع سترته وألبسها للمجسم المطاطي فوق مقعد القيادة وفعلت ليلى المثل مع المجسم المجاور له وشدا عليهما أحزمة الأمان تثبيتًا، خداع بسيط وغير مُحكم وليس مطلوبًا منه سوى الصمود لبضع ثوانٍ، قفزت ليلى من (اللَنش) فوق إحدى الصخور الغاطسة في الماء، وضع فريد هاتفه في جيب سترته العلوي، سحب المجلد من حزام بنطاله وقذف به إلى (ليلى)، رفع مقبض السرعة وقفز بدوره في الماء فوق إحدى الصخور الغاطسة بعمق أكبر، اندفع (اللَنش) الخاوي في خط مستقيم بتسارع مرتفع صوب القاعدة البحرية في اللحظة التي ظهر فيها (للَنش) العملاء من خلف منحنى قلعة قايتباي يمطره بالرصاص، حين بلغ صوت الرصاص مسامع ضباط قاعدة رأس التين البحرية.

تبسم (فريد) رغمًا عنه ثم عاون (ليلى) على النهوض.

- ساعة على إقلاع الطائر، سوف نبحث عن سيارة أجرة.

أقرن (فريد) قوله بتفعيل خدمة طلب سيارة أجرة في موقعه الحالي حتى برج العرب. ثم عبر طريق جانبي اخترقا منطقة رأس التين يحثان الخطى بينما عن يمينهما بلون ابيضٍّ زاهي ينتصب قصر رأس التين بثلاثة طوابق على مساحة كبيرة كانت يومًا تعج بأشجار التين قبل أن يأمر (محمد علي) باشا باقتلاعها عام 1843م لبناء القصر، رنا (فريد) ببصره للبوابة الشرقية المدوَّن عليها اسم (محمد علي) وبعض آيات قرآنية، كانت البوابة الوحيدة المتبقية من القصر القديم قبل أن يعيد بناءه الملك فؤاد على نفس نمط قصر عابدين، ليظل شاهدًا على فخامة عصور قد خلت، سار (فريد) ومعه (ليلى) وعبرا إلى حيث الطريق الرئيسي، ثم انتظرا ثلاث دقائق حتى وصلت السيارة، قفزا

على المقعد الخلفي فانطلقت بهما عبر محور التعمير السريع ومنه إلى طريق مطار برج العرب.

ران عليهما صمت ثقيل ولم يجدا ما يقولانه، غرق (فريد) في بحر أزرق يتماوج به حين انتفض من غفوة لدقائق و(ليلى) توقظه محتقنة العينين تشير لمذياع السيارة:

- فريد استمع لتلك الأخبار.

استشعر السائق انتباههم للأخبار فراح يمارس هوايته:

- عبدة الشيطان هؤلاء أيها السيد يريدوننا بلا دين ولا قيم وأخلاق، تخيَّل يطالبون مصر المحروسة بلد الأزهر بالانضمام للملاحدة، أولئك آباؤهم (سبينوزا) هذا (وداروين) جميعهم أحفاد القردة والخنازير، تصور أنهم يـ....

- كفى أرجوك.. ارفع صوت المذياع.

نطقتها (ليلى) بعد أن أصابها الفالج فبتر السائق عبارته وراح يغمغم بعبارت ساخطة بينما الصوت يدوي عبر المذياع:

«ومن المرجَّح خلال الساعات القادمة أن تخرج وزارة الخارجية ببيان رسمي للرد على تلك الدعوة الموجهة لجميع دول العالم لتوقيع ميثاق الانضمام للتنظيم الدولي للملحدين، ومن ناحية أخرى أعرب المسؤولون عن قلقهم من تزايد التجمعات المحتشدة حول مبنى البرلمان والنواب داخله، يطالبون بوقف مناقشة قانون معاقبة المجاهرة بالإلحاد بتهمة ازدراء الأديان، مما دفع قوات الشرطة لغلق المداخل المؤدية إلى هناك، وذلك في أعقاب نشر جهة بحثية تابعة للتنظيم الدولي للملحدين لتجربة حية تؤكد نشوء العين وتطورها من الصفر بعوامل الطبيعة مما استتبع –على حد قولهم– إثبات نشوء الإنسان من خلايا أولية وتطوره بفعل الطبيعة».

انتهى البيان عند هذا الحد واستدبره إيقاع موسيقي منتظم، تسمر

(فريد) والذهول يعقد لسانه، بينما أنامله تتحسس لا إراديًا مخبار العين داخل جيب سترته، أخرج حافظة سجائرة المعدنية وأشعل سيجارة، عقبت (ليلى):

- لو سلمنا أن عزيز كان يعمل مع هؤلاء القوم لتخليق تلك العين وفق معادلة ريم، كيف تم لهم ذلك وريم لم تكمل تلك المعادلة بعد!؟

أطلق (فريد) موجة أدخنة في سماء السيارة شاردًا للحظات قبل أن يجيب:

- بالضبط، الجانب الفيزيائي من المعادلة غير مكتمل، ناهيك عن أنهم استعملوا جينًا مخلوقًا سلفًا، ثم ادعوا أنهم خلقوا العين من الصفر.. هل يخدعون العالم؟!

أومأت (ليلى) برأسها وأضافت:

- طريقة قذرة لنشر الفكر الإلحادي وتقنينه دوليًا.

- لهذا يطاردوننا بمنتهى الشراسة، نموذج العين بحوزتنا يكشف خداعهم.

رفع (فريد) هاتفه يجري بحثًا في صمت للحظات ثم رفع رأسه مفكرًا:

(كنز سبينوزا، السائق ذكرَ الاسم قبل قليل) ترجم تفكيره لقراءة محتوى البحث:

- (باروخ سبينوزا) إنه اسم أول من نادى بتآليه الطبيعة ومنحها قدرة خلق إلهية.

من جديد اقتحم السائق الحديث:

- هؤلاء الملاعين يمجدونه، سمعت اسمه في بيانهم من أمريكا، الشيطان الأعظم.

امتقع وجه (فريد) وكظم غيظًا على وشك الانفجار:

- أيها السائق، أبقِ ذهنك وأذنك مع الطريق.

انفلتت من (ليلى) ابتسامة مرهقة ثم زفرت في ضيق معقبة:

- الخديوي ذكر الاسم نقلًا عن جاسوسه لدى اللورد، لكن ما زال محتوى الصندوق أو كنز اسبينوزا هذا مجهولًا.

وضع (فريد) يده في جيبه وأخرج الورقة المبللة؛ ليطمئن على سلامة حروفها ثم أعادها في جيبه، ضاق صدر (ليلى) فانفلت لسانها:

- هل سنعود للركض خلف السراب؟

- حسنًا سوف نجلس أمام غرفة ابنتنا ونملأ الدنيا بكاءً،هل هذا ما ترينه صوابًا أم التعلق بأمل حتى لو شحيحًا!

- ومن أوقعنا في كل هذا من البداية أليس إهمالك؟

أعرضت ونأت ببصرها صوب النافذة، آثر (فريد) الصمت وكظم غيظ يتردد في صدره، في اللحظة التي انحرف فيها السائق أمام صالة السفر، نقد (فريد) السائق أمواله وهرولا عبر بوابة الدخول وهما يحثان الخطى صوب ضابط الجوازات، أبرز كلاً منهما بطاقته الشخصية و (فريد) يقول:

- طيران داخلي، إلى القاهرة.

نظر الضابط لهيئتهما المغبرة ونصف ملابسهما المبتلة، أدخل اسميهما على جهاز الحاسوب، لحظات ونحى بطاقة (ليلى) ثم أطال البحث حول بطاقة (فريد) حتى برقت عيناه:

- محكوم ضدك بالحبس ستة أشهر لتأخرك عن دفع مبلغ نفقة زوجية.. أنا مضطر لاحتجازك لحين وصول ضابط تنفيذ الأحكام.

شحب وجه (فريد) ثم التفت إلى (ليلى) في غضب وصاح بها:

- ألم نتفق على إرسال نفقة شهرية على نحو ودي.

تراجعت (ليلى) في ذهول تنفي بشدة الأمر:

- اللعنة، أقسم لك إنها محامية صديقة قامت برفعها دون تأكيد مني، ولما علمت طلبت منها التنازل فورًا، وأخبرتني أنها ستتركها للإلغاء.

استشاط (فريد) غضبًا، ثم طلب رقم (فوزي) وما إن أجابه حتى هتف له:

- فوزي أنا في مأزق.. مطار برج العرب.. حكم حبس نفقه، أرجوك جد حلا.. نعم عميد.. حسنًا سوف أعطيه الهاتف .

وبعد مكالمة قصيرة أعاد عميد الجوازات الهاتف حين قامت (ليلى) برد فعل سريع، تناولت بطاقتها وعرضتها على العميد قائلة بحماس:

- انظر أنا الخصم في تلك القضية وقد تنازلت عنها، لكن أرجوك دعنا نلحق بالطائرة، أليس هذه هي روح القانون.

أجابها في عدم اكتراث:

- تنازُلك عن الدعوى يكون في المحكمة وليس هنا، سوف أدعكما تذهبان، هذا إذا ما وصلتما للطائرة قبل غلق ممر الدخول.

ركضا داخل صالة المطار وسط عشرات المارة حتى وصلا لمدخل المدرج بعد إجراءات التأكد، التفت الضابط عبر واجهة زجاجية خلفه تطل على أرضية المطار حيث تربض الطائرة، رفع جهاز اللاسلكي محدثًا سائق حافلة التوصيل:

- لدي راكبان هنا، هل يمكنك العودة؟!.. حسنًا أمامك دقيقتان فقط.

ثوانٍ وكانا يقفزان داخل حافلة خاوية انطلقت بهما صوب سلم الطائرة خلال دقائق حيث المضيفة تقف على بابها، ترجلا من الحافلة وراحا يقفزان على السلم حين تراجعت المضيفة خطوة تفسح لهما مجالًا للدخول، أشارت للتذاكر في يد (فريد)، منحها إياها شاهدتهما ثم أشارت للتذاكر في يد (فريد)، منحها إياها شاهدتهما ثم أشارت صوب

مقعدين في وسط الطائرة، أغلقت الباب ثم التفت تتابع هيئتهما المغبرة بأعين الريبة.

***

الفصل الثاني عشر

بدا نشاط غير تقليدي داخل مقر التحالف الدولي للملحدين في واشنطن بعد إعلان بيان وكشف عالمي هز الأوساط الدينية والعلمية، وراحت على إثره تنهال الانضمامات للمنظمة في حالة من الانتشاء غمرت جميع القائمين على المنظمة، وراحت التجهيزات على قدم وساق لاستقبال رؤساء وزراء الدول لتوقيع ميثاق الانضمام، بعد أن أعلنت عشرات الدول الانضمام طوعياً للمنظمة غير أن البعض منها قد انضم تحت ضغط شعبي طالب بالانضمام القائمين على المنظمة، وراحت التجهيزات على قدم وساق لاستقبال رؤساء وزراء الدول لتوقيع ميثاق الانضمام، بعد أن أعلنت عشرات الدول الانضمام طوعياً للمنظمة غير أن البعض منها قد انضم تحت ضغط شعبي طالب بالانضمام للميثاق بشكل رسمي والخضوع لأحكام المنظمة حماية لهم وتفعيل لقانون حقوق الإنسان.

(شرودر) رئيس التحالف راح يتلقى عشرات المكالمات المهنئة على نجاحه الساحق في رفعه المنظمة ودفع الدول والأفراد والهيئات الخاصة للانضمام كما لم يسبق أن حدث من قبل منذ نشأتها، مما كان له بالغ الأثر في تقلد الرئيس (شرودر) مكانه عالية وسط أقرانه غيرت من نظرتهم السلبية له واتهامه بالتقاعس والإهمال بل والشروع في الإطاحة به نهائيا من الرئاسة بعد حالة الكساد التي أصابت المنظمة في عهده، لكنه فاجأ الجميع بنجاح وتألق ساحق أسكت الجميع وأرغمهم على الخضوع.

زينت وجه (شرودر) ابتسامة مشرقة وهو يتلقى التهانئ طوال سيره عبر رواق طويل داخل التحالف إلى أن دلف غرفته واستقر خلف مكتبه،

طلب رقم دولي من هاتفه وما إن أتاه صوت المتحدث حتى خاطبه (شرودر) باحترام:

- وفيت بوعدك لي، لك كل تقدير، ستنال ما اتفقنا عليه

لكن لا داعي للتصعيد أكثر من ذلك في دولة مصر زمام الأمور هناك ينفلت، ولقد اكتفيت بهذا الإنجاز.

صمت لحظات انطفأت خلالها إشراقة وجهه، أطبق شفتيه ثم قال:

- أشكرك.

أغلق الهاتف وتنفس بعمق ثم طلب رقم (فيكتور) وما إن أتاه صوته حتى سأله عن التطورات فأجابه (فيكتور):

- لقد فرا بالأداة من جديد في الإسكندرية بعد وضع ثلاثة من أكفأ رجالي في مأزق دولي، أعدك أن أجدهم بنفسي.

بدا القلق قد تمكن من الرئيس فقد اضطربت فرائسه وبدا وجهه متغضنًا أكثر مما كان:

- (فيكتور)، هذه العينة تهدّد ما قمنا به بالكامل، دمرها ودمر كل ما يتعلق بها، وفيما يخص ملف التصعيد فسوف تتلقي في الوقت المناسب أوامرَ من السيد (القدير) بسحب عملائك والتخلي عن الشباب المحتجين عند مجلس نوابهم.

لم ينتظر الرئيس رد (فيكتور) بل أغلق الاتصال، عاديسترخي فوق مقعده، وقد بدا أن الوضع الخطير في القطر المصري أجبره على التخلي لضمها لميثاق التنظيم والاكتفاء بنجاح ساحق في العديد من دول العالم.

***

داخل الطائرة الصغيرة المتجهة إلى القاهرة لم تهنأ عينا(فريد) و (ليلى) بالراحة وأبت أن تلتقى هدابهما، راح عقل (ليلى) يعمل كمرشدة

سياحية اكتسبت روحًا قيادية وميولًا للخوض في أسرار التاريخ والطبيعة والتنقل بين أرجائها، عنيدة واثقة تأبى أن تبدو مزعزعة حتى لو ثبت عكس ما تدعي فتصر على ثقتها على نحو يثير الضحك.
تبسم (فريد) لتلك الخاطرة فاختلس نظره إليها، كما هي دائمًا مثابرة تتصفح مجلد المناظر السابع وقد بدا السهاد يزحف على عينيها المركزتين على الصفحة (رقم ثلاثون) تمسك بقلادة عين حورس وقد ابتلعتها الصفحات والأرقام العشوائية ونالت من انتباهها على نحو متزايد، بأعين خاملة تابعها إلى أن ضاقت عيناه تركيزًا واعتدل في جلسته عندما وضعت (ليلى) قلادة عين حورس فوق الأرقام العشوائية لحظة، ثم التفتت بشحوب:

- (اوجات المكاييل)

- عمَّ تتحدثين؟!

وضعت القلادة فوق الصفحة فوطآت فراغات القلادة الخمسة أرقام بالمجلد:

رفعت إليه عين محتقنة:

- الفراعنة استعملوا أجزاء عين حورس في تحديدمكاييل القمح حتى تحل البركة، كل جزء من أجزاء عين حورس يمثل نسبة مكيال.

أقرنت قولها بسحب قلم من حقيبتها وفي ركن فارغ رسمت عين حورس ثم كتبت كسور رياضية جوار كل جزء من أجزاء العين، وأكملت:

- هذا توزيع المكاييل الفرعونية، مثلًا رسم قرنية العين جوار رمز جوال القمح يعني أن هذه الكمية هي ربع أوقية، وهكذا...

راح (فريد) يدفع عقله المرهق لفهم المغزى:

- لو طبقنا نفس المنطق هنا فإن القرنية تعني الربع، أي ربع الرقم

الذي تحتويه في المجلد، فينقلب الرقم (12) إلى (3)!؟

- بالضبط، وكذلك الكسر فوق حاجب العين سيكون الرقم الثالث.

تراصت الأرقام بقلم (ليلى) حتى انتهت، ثم قرأت أرقام حاصل الضرب:

59239).-

كتبتها جلية لكنها توقف في حيرة عند النسبة الأخير1/64 عندما وجدت أن موضع الرقم في المجلد مهترئ، قلبت الصفحة ترنو ببصرها للثقب المهترئ:

- هناك رقم مفقود!

- أتعجب حداثة خامة ورق المجلد واهتراء تلك البقعة الصغيرة فقط؟!

قالها (فريد) مدققًا ببصره، بينما ضميره يهمس لله بأنها ليست صدفة، لا شيء صدفة.

***

بالرغم من أن وقت الصباح هو ذروة الزحام إلا أن منطقة التحرير والمناطق المحيطة قد خوت من السيارات والمارة بعد أن أخلت الشرطة المنطقة وأغلقت المداخل المخارج وبقي محيط مجلس الشعب معتل بسوار بشري ضخم متماسك بعد أن أبدو نشاطًا تصعيديًا مخيفًا أجبرت سيارات الأمن المركزي على التراجع مشتعلة في مواضع متفرقة أمام قذائف المولتوف المتفجرة، بعد أن تلقت أوامر صارمة بعدم التعرض لأي من المتظاهرين والتراجع.

ووسط المحتجين وقفت (ريناد) تتشبث بذراع (جمال) في ذهول، احتواها (جمال) وراح يتراجع في وجل وعينه تتابع صناديق قذائف المولتوف تظهر من العدم ويتم توزيعها بين الصفوف على نحو متناسق.

- جمال، الأمر أصبح خطيرًا، فاق حدود الوقفة الاحتجاجية.

خوف وذهول عصف بقلب (جمال)، واجمًا يرصد التجهيزات بينهم:

- ذلك التصعيد.. يبدو كما لو أنه معد مسبقًا!

ضاعت العبارة وسط الهتافات الجارفة فلم يسمعها سوى ضميره في اللحظة التي اهتز فيها الهاتف في جيبه يعلن ورود اتصال متوقع من والد عاد للتو من عمله فعلم أن ابنه لم يبيت بالمنزل، فبات صوته أجش يحتدم غضب في صدره مازجه القلق:

- أين أنت!؟

- الم تخبرك أمي أني مع أصدقائي و...

قاطعه صوت والده في ثورة:

- تعالَ على الفور.. أقل من ساعة وأجدك أمامي، واحذر المرور من وسط البلد الوضع مشتعل هناك!

صمت (جمال) لحظة يبحث عن كذبة مناسبة قبل أن يبلغ صوت الهتافات مسامع الوالد فسأله وجل:

- أين أنت أيها الأحمق!؟

- أبي.. لم أعتَد الكذب عليك، لكن... آسف، أنا جزء من ذلك الوضع المشتعل.

***

ساد السكون بين (فريد) و(ليلى) إلا من صوت محرك الطائرة المتوجّه للقاهرة، (فريد) وضعَ الكتاب على ساقيه وراح يعبث بسبابته في ثقب الصفحة المهترئ، ازيلت بسهولة الأجزاء المهترئة وتجلت عبرها حروف من هامش في الصفحة التي أسفلها على لسان من قام بتنقيح نسخة المجلد، حدد موضعها ثم عاد يقرأها بصوت مسموع:

- اتبع هنا (الهيثم - Alhazen) طريقة البحث التجريبي وليس الحسي....

عاد يستعرض صفحة الأرقام بعد أن بدا عبر الثقب المهترئ كلمة)Alhazen) شرد لحظة مفكرًا، الهازين هو الاسم الغربي للحسن بن الهيثم، تناول القلم وأضافت الكلمة الظاهرة عبر الثقب النافذ ثم همست بها:

- 59239 Alhazen

تطلع للأرقام وجوارها الاسم، حين واتته فكرة فتح على إثرها المجلد على الصفحات التي تحمل تلك الأرقام الأوَّلية ويستخرج أول كلمة من كل صفحة، لكن دون جدوى، أعاد الكرة باستخراج أول كلمة من فصول المجلد المرقمة بتلك الأرقام، بات لديه خمس كلمات غير متناسقة تشي بفشل تلك المحاولة أيضًا.

مط شفتيه حين أغلق الكتاب واسترخى في مقعده،وجواره استرخت (ليلى) في مقعدها عاطفة رأسها عبر النافذة شاردة بذهن تشوش وتخللته الأوهام والأطياف فراح يطالب بحقه الشرعي في الراحة، تنهدت تعبئ رئتيها بالهواء البارد وراح وعيها يتأرجح بين اليقظة والسهاد، أرخت جفنيها فأخذها عقلها في رحلة عبر الزمان والمكان منذ بضع سنوات خلت، انسابت المشاهد على مخيلتها ناعمة، كانت تمشي جوار (فريد) وسط ممشى حديقة في حالة بين الارتباك والتردد والسعادة، بعد أن طلبَ منها خطبتها، وقتها صمتت طويلا قبل أن تجيبه:

- فريد، لا أنكر أنني أميل إليك كثيرًا، حتى إنني أمنتكعلى سر خطير يخص عائلتي هو ما ساعَدَني على كشف ذلك الإرهابي في الأقصر، ومن يومها ونحن نتقابل كلما سنحت لنا الفرصة.. لكن صدقني أنا أخشى الزواج كثيرًا مع وجود تلك الطفرة لدى النساء من عائلتنا، بعضهن توفى والبعض أصيب بأمراض عصبية والبعض نجا، لا أريد

تعريض مصير ذريتنا للخطر...

أجابها (فريد) بيقين:

- حبيبتي، لقد عكفت على دراسة ذلك الجين، وجدته ينشط مع جينات (إكس إكس) المتوافرة لدى النساء لذا يتوارثه نساء عائلتك فقط دون الرجال، لا سبيل لانتزاعه، لكنني تمكنت من احتواء التأثير السلبي للجين على ذريتنا، فقط تأثير إيجابي، أعدك بذلك...

نغم إنذار الطائرة بصدور تعليمات ربط الأحزمة للهبوط،أفاقت على إثره (ليلى) من تلك الذكرى، تنهدت تدفع عن صدرها عبئًا أثقل كاهلها، ربطت حزامها في شرود، دقائق وهبطت الطائرة وعادت خدمة شبكة الهواتف للعمل حين فتح (فريد) مباشرًة هاتفه وراح يضع الرقم والكلمة متجاورين في محرك البحث. قرأ لحظات ثم خفض الهاتف عن عينه الحائرة وقسمات وجهه المرتبكة تمتم بخفوت:

- غريب، أنه.....!

بدا تساؤل في عيني (ليلى) الساهدتين، فعاد (فريد) يقرأ محتوى الموقع برتابة:

- (Alhazen - 59239) كويكب ضخم تم اكتشافه بالصدفة وسط منطقة حزام الكويكبات بين المريخ والمشترى أطلقت عليه وكالة الفضاء الأمريكية اسم الهيثم ومنحته ذلك الرقم الكودي (*(59239

بدا الاستنكار على وجه (ليلى) همست دون وعي:

- أي شخص هذا الذي صنع شفرة تحمل كل تلك الأوجه ثم أرسلها لعزيز!؟

مط (فريد) شفتيه عاجزًا عن استيعاب شفرة حملتها مجلدات ابن الهيثم، احتوت أرقامًا تعبر عن مقطوعة موسيقية ومنها لمعادلة غاية في التعقيد والآن تشير لكويكب يحمل اسم الهيثم من جديد.

- هذا يفسر سر تغير قناعة عزيز حين وصلته المجلدات، شرع في بحث الأمر ولم يصل لهذا الحد قبل أن توافيه المنية.

أومأت (ليلى) برأسها موافقة في حيرة من يمر بحالة عصف ذهني:

- لو ما توصلنا إليه صحيحًا، فهل نحن نبحث عن جين نادر داخل كويكب يبعد عنا مئات السنين الضوئية.. أي عبث وصلنا إليه؟

(حمد الله على سلامة وصولكم)

التفتا معًا للمضيفة المبتسمة مجاملةً، تلفتا حولهما فإذ بالطائرة فارغة، لملما أغراضهما في حرج، نزلا من الطائرة تصحبهما التساؤلات.

تذكر أنك حملت رواية الرمز السابع حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

***

الفصل الثالث عشر

على أطراف منطقة التحرير انتصبت (كاميرا) تلفزيونية إخبارية أمامها مراسلة عدلت من هندامهما ثم قربت (الميكروفون) من فمها وبدأت البث قائلة:

(استمرار الحصار المنَظم جدًا لمقر مجلس النواب وداخله أكثر من مائة عضو، بحشود من تكتلات إلحادية ينادون بالحرية، وكضمانة لهم طالبوا بقبول الدعوة الموجهة للدولة بالانضمام للميثاق المقرر انعقاده برعاية منظمة الإلحاد الدولي بمقرها في واشنطن في دورتها المنعقدة حاليًا والخضوع لشروطها المتمثلة في عدم ملاحقتهم بتهمة ازدراء الأديان وحذف خانة الديانة من البطاقات وإقرار الزواج المدني، كما أعرب بعض الخبراء الاستراتيجيين عن قلقهم من الأسلوب المتبع في

ذلك الحصار والذي وصفوه بتكنيك مدروس للغاية لا قِبل لهؤلاء المتظاهرين به، غير أنه لم يتمكن أحد من التواصل مع النواب في الداخل على نحو يبدو أنه تم السيطرة عليهم وسحب الهواتف منهم جميعًا).

أنهت المراسلة بيانها الإخباري، والتفتت ترنو ببصرها بعيدًا، ترصد تكتلات بشرية تحاصر مجلس النواب، على نحو متماسك وبتكنيك بدا أنه غير عشوائي، تجلى في التعامل بنمط تبادل النوبات بين الصفوف حتى لا يتمإنهاك الجميع، كان (جمال) في الصفوف الأخيرة مغمض العينين جالسًا أسفل سور المجلس جواره (ريناد) تريح رأسها على كتفه في إرهاق بالغ، راح يملس على شعرها، همس لها بعبارات حب ملطفًا للأجواء، تبسمت لها دون أن تفتح عينيها، تمسكت بكف يده ضغطته برفق تستجدي أمانًا بدأ يتسرب من قلبها، الاتفاق كان الاعتصام بضع ساعات للضغط على الحكومة بالانضمام للتحالف ثم نعود أدراجنا، أما الآن...

تصاعدت العديد من الهتافات انتبه على إثرها (جمال) و(ريناد) وشرعا برأسيهما صوب مصدر الصوت حيث عدة شباب وفتيات يقومون برفع عَلَم ضخم يحمل ألوان قوس قزح السبعة وينادون بحقوقهم في إقرار المثلية الجنسية، امتقع وجه (ريناد) حرجًا، بينما تسلل تجهم مازجه استنكار لقسمات وجه (جمال)، إقرار التطور بفعل الطبيعة أمرٌ، ومخالفة تلك الطبيعة والفطرة أمرٌ آخر، غمغم بضيق:

- المكان أشبه بسيرك.

لحظات وظهرت حقائب قماشية من العدم، توقف أحدهم وفتح إحدى الحقائب وأخرج منها العديد من الأطعمة المحفوظة وقاموا بمناولتها للمحيطين به، و بالمثل العديد من الحقائب دارت على المحيط يتم توزيعها مع زجاجات المياه في أكثر من موضع، ثم عبر بعض الرجال البوابة الخارجية لباحة المجلس ببعض الحقائب وأحدهم

يصيح:

إنها أطعمة للنواب، نحن لا نريد أن يتأذى أحدٌ.

تلفت حوله ثم أكمل: هل يريد أحد التطوع بنقل الأطعمة وزجاجات المياه لساحة المجلس بالداخل؟!

تقدم بضعة شباب وراحوا يحملون الحقائب إلى ساحة المجلس الداخلية، تراجع (جمال) في تردُّد فكان معه (ريناد) ولا يريد تركها بمفردها، فقط تابع ببصره الحقائب ثم تبسم عندما أبصر رسمة على جانب الحقيبة لقرود متتابعة علقت في ذهنه قبل أن يقطع تفكيره رنين الهاتف في حقيبته متصل بشاحن إضافي، كان يعرف المتصل، سيمفونية جديدة من أرقى وأجود الشتائم تخرج عن والده ومطالبته بالخروج من الحشد، لكن صوته هذه المرة بدا ملهوفًا أكثر منه غاضبًا:

- بلغتني معلومة تم تسريبها عن تلقي الحكومة تهديد مباشر بعمل تخريبي إذا لم تنضم للميثاق، والمسؤولون يرفضوا التعليق!

تنهد (جمال) في تململ:

- أبي أنتم أكفأ الأشخاص في تشويه صورة من تريدون وفقًا لمشيئتكم، صدقني لن أفعل، لقد عودتني على حرية الرأي، ولتعلم أن الشرطة ساكنة والأمور هادئة.

نظر العميد (فوزي) لهاتفه الذي أصدر رنين انتهاء المكالمة بعد أن أنهاها ابنه (جمال) الطالب بكلية العلوم قسم الكيمياء الحيوية، لطالما لم يشأ دخوله ذلك القسم، كان يشعر دون يقين أنه وبال عليه، وها هو تحقق شعوره، انحرف ابنه عن السبيل وتطرف والآن يشارك في احتجاز نواب المجلس والتعدي على الشرطة التي أبوه أحد رجالها، أورثته الفكرة مرارةً وحسرةً، وخوفًا بعد تسرب معلومة سرية بعملية تصعيد تخريبية غير معلومة الكيفية، غرضها سقوط ضحايا وإخضاع الحكومة.

انتفض قلبه لتلك الخاطرة فراح يعتصر دواسة وقود سيارته المنطلق بها إلى وسط المدينة حيث الأحداث المستعرة.

***

(الشرطة تمنع الاقتراب من المنطقة)

لم يعلق (فريد) على كلمات سائق سيارة الأجرة، فقط نقده أمواله، لفظته السيارة بوعي يترنح وقميص متسخ خارج بنطال جينز فقد سترته، أعارها لرجل مطاطي القوام ولم يعِدها له، اللعنة على الدمى المطاطية. تحاملت (ليلى) على كتفه، بشعر ووجه نظيف بعد غسله في الطائرة وقميص كان أبيض قبل ساعات بينما أعارت سترتها أيضًا لأحد أصدقائهما المطاطيين معدومي الضمير.

توقفا لحظات قرب منطقة قصر النيل، يعيدان ترتيب احتمالات الحظ العاثر التى جاءت بهما في منطقة على صفيح ساخن، وفق ساعته ووفق تقدير الأطباء متبقٍ لابنته أقل من ثلاث ساعات، (فيلا فيضي باشا) بعد البحث عنها في مواقع الخرائط وجدوها متوارية على ناصية شارع الشيخ ريحان مع تقاطع شارع المنصوري قرب ميدان التحرير، وخلف مقر مجلس الشعب.

دار ببصره يرصد تمركزات للشرطة في أرجاء متفرقة،بقلب منتهي الصلاحية راحا يحثان الخطى عبر الميدان ينزفان الحياة أسفل أرجلهما يسيران بوعي متأرجح على كف رجيم، حين طعنت قلبه نبضة الهاتف في جيبه، أخرجه وأجاب اتصال الطبيب المعالج لابنته واستمع للكلمات الحارقة:

- دكتور فريد، الخلايا الجذعية جاهزة للحقن، لا أدري أين ولا كيف تبحث عن مصدر الجين ولكن إن كنت قد حصلت عليه فأحضره في الحال الآن لأن المعدلات الحيوية لابنتك على المحك.

- أرجوك أتوسل إليك حافظ على حياتها، امنحني ساعة واحدة

وسيكون بين يديك.. أرجوك.

- صدقني سأبذل قصاري جهدي لكن.. أدعو الله أن يمنحك هذه الساعة وليس أنا.

بأعين محتقنة وقلب صار هواءً راح (فريد) و(ليلى) يركضان حتى بلغا مدخل شارع الشيخ ريحان، توقفت (ليلى) لحظة تلتقط أنفاسها ثم لحقت (بفريد)، بينما أعين الشرطة تتابعهما في ريبة متزايدة بدا واضحًا في تحدث الضابط عبر جهاز الإرسال وعينه مثبتة عليهما، لم يعبأ (فريد) بل ظل يخوض في الشارع حتى تخطى تقاطع الفلكي ووصل لتقاطع شارع المنصوري، وهناك وقفا معًا يتطلعان في صمت إلى (فيلا) عتيقة بديعة على طراز أوروبي شهير يدعي كعك الزنجبيل يحيط بها سور خشبي ويعتليها سقف منحدر يخترقه برج قصير ينتهي بقبعة مدببة يعتليها طائر معدني على هيئة ديك من المفترض أنه يشير لاتجاه الريح غير أن الصدأ عبث بمفاصله فتوقف عند الإشارة للشرق، تذكار بدا لـ (فريد) كقشة وسط محيط ثائر. دنا وقرأ اللوحة الداخلية المكتوب بها:

- فيلا فيضي باش(1911 – 1841

أخرج خطاب الخديوي المبتل، ثم قرأ من جديد:

- أما كنز سبينوزا، فيُرافق فيضي، إلى كعك الزنجبيل حيث ينتمي الثاني، يتم عمل اللازم وفق الأوامر، ثم ينتقل نحو 710 ياردة شرقًا، حيث ينتمى الأول مستتر بمسمى جديد.

عاد (فريد) يكرر المقطع الأخير:

- 710 ياردة شرقًا، حيث ينتمي الأول..

أشارت (ليلى) للديك المعدني فوق قمة برج (الفيلا)يشير شرقًا:

- إلى هناك 710 ياردة

كانت تشير إلى تكملة شارع الشيخ ريحان لكن المسافة كانت تحتاج لمقياس، بأنامل مرتجفة أنارت شاشة هاتفها وباستعمال أداة القياس في وقع الخرائط حددت المسافة، دققت النظر ثم رفعت رأسها إلى (فريد) بأعين خاوية، جذبها يحثان الخطى دقائق مرت كالصريم، أمله ما زال معلقًا بخيط متهالك لم ينقطع، توقفا عند منطقة تقاطع شارع الشيخ ريحان مع شارع الجمهورية، جال (فريد) و (ليلى) ببصرهما في مكان خوت أرجاؤه من معالم تصلح لإخفاء الخديوي لكنز (سبينوزا)، حديقة ممتدة تصل لمديرية الإسكان والمرافق.. وزارة الأشغال سابقًا.

أغمض (فريد) عينيه في مرارة، أدرج في الأكفان آماله وأقبر طموحه، وانحدرت دمعة من عين (ليلى) ورنت ببصرها صوبه تستجدي حلًا لا يملكه، لم يكونا على يقين من البداية من أن يجدا شيئًا بعد كل هذه السنوات، أمل واهٍ كان يبقيهما أحياء يحاولان، لكنها نهاية المطاف، لا يوجد شيء على الإطلاق، كل محاولاتهما ضاعت سدى.

نبض الهاتف في جيب (فريد) من جديد ثم تصاعد الرنين، امتقع وجهه عندما وجده الطبيب المعالج لابنته، كان يخشى أن يجيب على الهاتف لكنه أجاب، بأنامل مرتجفة وضع الهاتف على أذنه بينما قلب (ليلى) يكاد يتوقف.

- دكتور فريد..

قالها الطبيب بلهجة مترددة قبل أن يكمل:

- ابنتك سنها صغير، لم تصمد الثلاثين ساعة كما قدرنا.. نطلب إذنك في رفع أجهزة التنفس عنها.

صكت العبارة أذن (فريد)، ارتجفت شفتاه، سقط الهاتف من يده، غاب عنه ما حوله وشخص ببصره يتأمل الفراغ، ولم يطل وقوفه، مادت به الأرض فخارت ركبتاه، جلس فوق الرصيف ينزف الصمت، حين داهمه بكاء مفاجئ.

الفصل الرابع عشر

بالإيمان والخشوع تحلت الطبيعة، خوت أرجاؤها من الحركة وتجمدت، كمن تخشى تفويت متابعة كلمة القدر في فتاة صغيرة مسجاة وسط أجهزة طبية تبقيها تتنفَّس بلا روح، جسد بض تسرب منه دفء الحياة، انسحبت روحها وأخذت معها روحين لجسدين أنهكهما الكدر والعجز واجتاح قلبهما حزن جارف تخطى استيعاب العقل، فلا القلب بات قادرًا على الخفقان ولا العقل قادر على إدراك الفاجعة التي حاقت بهما.

مشعث الفكر فاقدًا للنطق، هرول (فريد) داخل باحة مستشفى السرطان محمر العينين تترنح خلفه (ليلى) تقطر عيناها أنهارًا، لم يدركا متى وصلا للمستشفى ولا كيف وصلا أمام غرفة ابنتهما، والدة (ليلى) كانت متكومة فوق أحد المقاعد، بينما الطبيب يقف أمام باب الغرفة استقبلهما بأسفٍ مصطنع اعتاد عليه، راح يلوك فمه بتبريرات عن ضعف مناعتها لصغرها وكلمات لم تسمع (ليلى) منها حرفًا، تجاوزته عنوة واقتحمت الغرفة، لم تكد تتقدم خطوة حتى تجمدت مع الزمن اختفت جدران الغرفة فلم ترَ سوى فقيدتها، شاحبة هامدة تغوص في الفراش، انتظرت أن تنهض وتركض إليها، لكنها لم تفعل.

وقفت غير بعيد تكبح صرخة بقضبان أصابعها، حين تجدَّدت دموعها، وجد (فريد) نفسه يقف جوارها، شاحبًا كبطل فيلم أبيض وأسود، طمس الحزن على عينه فأورثها دموعًا راحت تنساب على وجنتيه، لم يفِ بوعده، لقد خذلها كما خذل كل من حوله.. وما زال.

بأنامل مرتعشة مس ذراعها البارد، دنا بوجهه على أنفاسها الصناعية، أراح جبينه على صدرها لحظات، قبل أن يدهمه البكاء، وراح يبتهل إلى الله.. حتى غاب عنه ما حوله.

دقائق لم يحصها ثم استفاق من غمرات الحزن على هزات لكتفه، رفع

جبينه عن صدر ابنته وترك أناملها، ذاهل النظرات ينظر للطبيب:

- دكتور فريد أنت تعلم أن الأمل كان ضعيفًا، كانت مجرد محاولة يائسة، ورغم ذلك حاول الجميع ولم يُقصر أحد، لكن قدر الله نفذ.

ربت الطبيب المعالج مشفقًا على كتف (فريد) ثم التفت إلى (ليلى):

- سيدة ليلى، الآن يجب أن نزيل الأجهزة عنها.

تلقتها كلكمة في معدتها اعتصرت أحشاءها حتى مزقتها، بُهتت رغم معرفتها، تقلصت قسمات وجهها ثم تحاملت على المقعد، عادت لسرير ابنتها في ترنح ثم التفتت للطبيب:

- أرجوك اتركني معها بضع دقائق بينما هي تتنفس.

أطبق الطبيب فمه في أسف، أومأ برأسه، لملم أعذاره وانسحب من الغرفة وتركها تقرب المقعد وجلست فوقه تداعب شعر ابنتها الذهبي، تزيحه عن جبينها البارد، ابتلعت مرارة حلقها، ثم أخذت نفسًا وراحت تهمس لها:

- الآن يا صغيرتي سوف تخلدين للنوم، سألبي لكِ طلبك اليومي، قصتك المفضلة، سوف أقصها عليكِ مرة أخرى.. وأخيرة.

استحضرت من ذاكرتها كلمات القصة المصورة (سندريلا) قصة الفتاة المفضلة التي طالما قصتها عليها، ثم راحت تردد بصوت متهدج:

- بينما الجميع نيام جلست (سندريلا) وحيدة فوقفراشها الخشن وصقيع غرفتها المظلمة القبيحة، إلا أن ابتسامتها الحالمة كانت تشرق من ثغرها بعد أن طمأنتها الساحرة بأنها سوف تكون أجمل فتاة في حفل الغد.

انفطر قلب (فريد) وانهار جأشه، فالتفت يستند براحتهوجبينه على زجاج نافذة الغرفة وراح في بكاء طويل، بينما (ليلى) تكمل:

- نامت (سندريلا)، ولأول مرة لم تشعر بخشونة فراشها ولا صقيع

غرفتها، أسبلت جفنيها بسلامٍ، وفي عقلها أضاء نور غد تأمل أن تنعم به، وكون ينغم من حولها بلحن جميل غمرها بطمأنينة تراخى لها جسدها حتى غالبها النعاس وعلى شفتيها ابتسامة هادئة، ابتسامة سعادة من بعد حزن، وراحة من بعد شقاء.

***

بلغ التكدس المروري حدوده القصوى بعد غلق منطقة مجلس النواب مما أصاب المناطق المحيطة بعبء إضافي راح معه رجال المرور يجاهدون في تنظيم ما فاق استيعاب الشوارع فباتت أزمة جديدة أصابت وسط المدينة بشلل شبه تام، أزمة وتم إحكامها للضغط على الحكومة للانضمام إلى ميثاق التحالف على نحو سافر مستفذ ضاربين عرض الحائط بكل الأعراف الدولية، الأمر الذي دفع بحملة دينية مضادة، مزيج ديني متفاوت تجمعوا تحت لواء (الله الخالق الأحد).

تكتلات عشوائية تجمعت في كل المحافظات في اعتراض جماعي على عدم تحرك الدولة لتشتيت ذلك الاعتصام المستفد لمشاعر الدين والأخلاق، صنعت موجة كاسحة تدفقت صوب وسط العاصمة حيث التكتلات المضادة، كسكب آلاف الجالونات من مادة شديدة الاشتعال فوق آتون من النيران، نتائج كارثية ستطفو فوق بحيرة دماء، مما دفع أجهزة الدولة لغلق مداخل ومخارج منطقة الأحداث بأكمنة وحواجز بدا أنها لن تصمد طويلًا أمام موجة الغضب، مع قوات أمن مركزي اقتصر عملها على الوقوف مكتوفة الأيدي أمام مأزق مُحكم حيُد قدرتها، فلا استطاعت اختراق الحصار وتفريقه ولا تستطيع استعمال أسلحة بناء على قرار اتخذته السُلطة لتفوت على المتآمرين فرصة سقوط ضحايا ومزيداً من الضغط.

وعند مدخل أحد الأكمنة وقف العميد (فوزي) بالملابس المدنية قرب أحد الضباط وقام بتعريف نفسه، لم يشأ إخبار أحدٍ بتواجد ابنه بالداخل، سيقترب قدر المستطاع للوقوف على التفاصيل، دنا من

ضابط لا يكف عن التحدث عبر جهازه اللاسلكي وسأله:

- ألم تصرح الحكومة بتلقيها تهديد بأعمال تخريبية!

خفض العميد اللاسلكي في انشغال تام ونظر إلى (فوزي) وكأنه يراه للمرة الأولى رغم أنه تحدث إليه منذ دقائق، ثم أجابه وكأنه تذكره:

- سيد فوزي إنك بعيد جدًا عن دائرة اختصاصك، لماذا أنت هنا!؟

- كما قلت لك سيادة العميد كنت أمر من هنا صدفة.

- فلتحمد الله إذًا على أنك غير مُكلَف هنا، إننا في الشارعمنذ الأمس وتهالكت قوانا والقادم أسوأ.

أضاف في تردد هامس:

- لقد تم تسريب مكالمات دولية من المختطفين لمقر تحالف الإلحاد في واشنطن تثبت تورطهم في تحريض المحتجين للتصعيد بأعمال عنف.. الحكومة أرسلت التسجيلات للأمم المتحدة للضغط على تلك المنظمة.

- كيف تم تسريب معلومات كهذه!؟

- لست أدري، هذا ما نعرفه، وفي انتظار رد مجلس الأمن.

أطلق (فوزي) سبة اعتراضية وأضاف (مُت يا حمار)، خطا بضع خطوات بعيدًا عن الضابط وهو يجري اتصالا بـ (جمال) عدة مرات حتى أجابه:

- نعم أيها الحمار، اسمعني جيدًا، الجميع هنا يؤكد علىالتجهيز لعمل تصعيدي ضخم غرضه سقوط ضحايا، أخرج من عندك، انسل من وسطهم وسأنتظرك بالسيارة.

أجابه (جمال) بتململ:

- لا يوجد هنا أي تحركات أو إعداد لأي مؤامرة الجميعهنا مسالمون

جدًا ولا نريد سوى إعلاء كلمة العلم الـ....

فاض الكيل بـ (فوزي) فثار يقطع كلماته:

- أنت غبي، غر ساذج لا تفقه شيئًا مما يدور حولك، سوف تكونون أضحياتهم، قربان لأطماعهم وتنظيمهم.

راح (فوزي) يلهث من فرط الغضب فالتقط أنفاسه ثم تحدث بلهجة أقل حدة:

- حسنًا، افتح عينك جيدًا وأخبرني بالتحركات من حولك حتى لو بدت لك طبيعية، واحذر أن يسمعك أحد.

مضت لحظات صمت ظن (فوزي) معها أن ابنه قد أغلق المكالمة لكنه عاد يتحدث في تردُد:

- حسنًا، سأفعل من أجل أن يرتاح بالك، لكني ما زلت أؤكد لك أن الأمور هادئة هنا.

- حسنًا أنا أثق بك، تجول حولك وقل لي، هل يوجد أي تسليح من أي نوع!

دار(جمال) بعينه في تململ لحظات ثم أشاح جانبًا بالهاتف وتحدث همسًا:

- (ملوتوف) فقط.

- اي صناديق مغلقة، أي حقائب؟!

- يوجد حقائب طعام أدخلوها للنواب داخل المجلس وتركوا بعضها لنا هنا نتناول منها الأطعمة وتوزيعها بيننا.

- كم عددها، وكيف كان شكلها؟؟

- العشرات منها، حقائب بيضاء ضخمة قماشية الواحدة بطول

ذراعين عليها رسومات أعتقد لقرود.

- قرود!!

تلعثم (جمال) قليلًا ثم شرع في تبرير الرسم لكنه توقف بغتة مردفًا:

- لم تكن قرودًا عشوائية، إنها!

غارقًا في فيض أفكاره لم يسمع سؤال والده بينما راحت حقيقة الرسمة تومض في عقله، لوحة مكتملة الأركان، سبعة قرود مصطفة بدايتها قردٌ صغيرٌ محني الظهر وتدريجيًا يعتدل في الوقفة حتى يصير إنسانًا، رمز لتطور الإنسانية عبر العصور، بعد أن تم إثبات تشابه جينات الإنسان مع القرود بنسبة 99.8 مما يؤكد انحدار الإنسان من سلالة القردة:

- إنها ماذا، ما المرسوم على الحقائب يا بني؟

عاد للواقع على صوت والده المتصاعد، فأجابه:

- أهم وأشهر رموز التطور في العالم، القرود المصطفة.

راح ناقوس خطر يطرق الغريزة الأمنية لدى (فوزي) تقديم طعام لنواب كانوا على وشك إقرار قانون يلاحق الملحدين، في حقائب مطبوع عليها صورة تؤيد الإلحاد، هل يتوقف الأمر على مجرد السخرية!

- اسمعني جيدًا، كم شخصًا دخلوا بتلك الحقائب؟ وهل خرجوا؟ وهل شاهد أحد ما بداخل الحقائب!؟

- أعتقد أنهم حوالي عشرة أشخاص دخلوا حتى الآن، ولم أشاهد أحدًا منهم يعود، ولقد فتح أحدهم حقيبتين فقط أما الباقي فدخلوا بها مباشرةً.

شرد (فوزي) لحظات يحصي المصائب، بلا شك أنهمأدخلوا شيئًا ما

في تلك الحقائب بخلاف الأطعمة، أسلحة لزوم سقوط ضحايا:

- جمال، لا مجال لهؤلاء بإدخال أسلحة سوى داخل تلك الحقائب، أعلم أنك ستعارضني كما أنت دائمًا لكن فقط هذه المرة استمع لي، يجب أن تخرج من عندك، انسل وسطهم حتى نهاية سور المجلس الشرقي يوجد مبنى صغير مرفق يمكنك الصعود إليه والنزول من الجانب الخلفي دون أن يلاحظك أحد.

شفقة تراقصت فى مقلتي (جمال) بينما عيناه تدوران في الوجوه من حوله، هل سيهرب ويتركهم فريسة مؤامرة محتملة، أجاب والده في تردُد:

- أبي، مخبروكم السريون حولنا، الكل يعرفهم من تحركاتهم ومراقبتهم المفضوحة، ولم يكتشف أحدهم ما يدور من حوله لجهلهم بتلك الأمور العلمية، لكن أنا يمكنني.

بدا (فوزي) في حالة ذهول وشفقة مازجهما الحيرة، وبدا (جمال) مرتبكًا مشوشًا وهو يكمل:

- لست متيقنًا، لكن لو أن هناك خطرًا على حياة الجميع هنا، فيجب أن تخبرني الآن ما الذي على فعله.. باستثناء الهروب من المكان.

مرت لحظة صمت علم خلالها (جمال) أن والده في حيرة من أمره فقطع الصمت قائلًا:

- أبي.. لا تقلق.. وفر لي الدعم والتوجيه وسأتولى أنا الباقي.

أغلق الهاتف دون انتظار إجابة، ضغط كتف (ريناد) برفق وهمس لها:

- اخرجي من هنا.

توجّه إلى (هشام) زميله بالجامعة وهو ينقل زجاجات مياه إلى داخل المجلس، دنا منه قائلًا:

- هشام، أريد أن أتطوع معكم.

***

كانت الشمس قد افلت إلى الغروب فالقت شواهد القبور بظلالها شرقا وسط مقابر عائلية صغيرة، غروب لن ينساه (فريد) أبد الدهر، بهتت كل سبل الحياة ومصادرها، حتى الطيور توقفت عن الغناء وسكنت الرياح وتصلب كل كائن حي ينعي فتاة صغيرة، ودَّ الثري لو فقد قدرته على تحلل جسد بض رقيق احتواه منذ لحظات، لكنها خاصيته المأمور بها من الخالق بلا محسوبية أو تجاوزات.

بعينين أغشتهما الدموع تحاشى (فريد) النظرللمتواجدين، صعد درجات المقابر من تحت الأرض، التقط نعليه وارتداهما، ثم صعد خلفه عامل المدافن وراح يغلق المقبرة.

متشحة بالسواد ومن خلف عوينات داكنة تخفي انتفاخجفون فرغت منها الدموع وقفت (ليلى) بلا روح ولا فؤاد وسط بعض من أقربائها، مبهوتين غير مصدقين الكارثة التي حاقت بهم، (ريم) طفلتهما المدللة ضاع صوتها من الدنيا للأبد.

نهض عامل المقبرة يعلن انتهاء المراسم، ومعه أطرقالجميع برؤوسهم لحظات بعد قراءة الفاتحة ثم انسحبوا للخارج واحدًا تلو الآخر.

مر (فريد) جوار (ليلى) وتباطأ، لا يدري ماذا يقول، غير أنها بادرت بنظرة ومضت من خلف العوينات الداكنة بغل وكره بلا حدود، امتقع لها وجهه، وزادته شقاءً على شقاء، ضاق صدره، كره الدنيا وكره حياته وكره الجميع، لم يلَم (ليلى) في كرهها بل وجد في نظراتها سوط عدالة يجلده باستحقاق، يمسح جروحه بملح الخزي والفشل، عله يكفر عن ذنوبه، ولن يفعل.

- أنتِ من قتلها، أنت نكرة بلا قيمة.

دفعته في صدره بانهيار وصوت مدرج بالبكاء، حال الواقفون بينهما، غادر (فريد) مطرق الرأس منفردًا، مزعزع الإرادة مشتت الفكر، لم يكن يدري لماذا لم ينفجر في البكاء، لماذا تحول حزنه وشقاؤه لنيران أضرمت في عقله فاستعرت في قلبه، واحتدمت في صدره، متأججه تصطلي بها جوارحه، لم يكد يمضي بضع خطوات ثقيلة حتى اطمأن بفكرة وجدت طريقها لصدره فاحتفت بها نيرانه ووجدت فيها الملاذ، وتكاثرت عليه شياطينه حتى أسلمت لها روحه.

***

الفصل الخامس عشر

منذ إنشاء مجلس النواب المصري عام 1866م في عهد الخديوي إسماعيل، وهو ما زال في موقعه الحالي يطل على شارع القصر العيني، منارة للتشريع القانوني المصري، منها ما كان مصيره إلى زوال ومنها ما ظلَّ صامدًا لعقود، شاهد على لحظات حرجة وفارقة غيَّرت مجرى التاريخ المصري، نهر من الأحداث المتلاحقة وتشريعات متعاقبة مرت على هذا البناء، نفس البناء الذي يتوسط باحة واسعة ويضم القاعة الرئيسية الأكثر شهرة في تاريخ المجلس، مستديرة تعتليها القبة المميزة ناصعة البياض، رمز وشعار للنظام البرلماني المصري منذ إنشائه.

وإلى جوارها يقبع مبنى إداري مستطيل يجاوره مسجد ضخم على الطراز الفاطمي خاص بحرم المجلس، ووسطهم سار (جمال) في قلق ورهبة بدت في تلفته المتوجس يحمل كرتونة زجاجات مياه ناولها له صديقه (هشام)، وأشار إليه بوضعها فوق نظيرتها أمام باب القاعة الخارجي، نكص (جمال) على عقبيه عائدًا حين اصطدم بصره بصديقته (ريناد) تحمل كرتونة مماثلة تضعها جوار نظيرتها، امتقع وجهه وارتبكت فرائسه، تجنب النظر في عينيها وإن كان يلعن في عقله عنادها وحمقها، تظاهر بالتوجه صوب بوابة الخروج الرئيسية، حين

عرج خلف المبنى الإداري وتسمر لحظات وكما توقع تبعته هي، ما إن وقع بصره عليها حتى انهال عليها بعبارت العتاب واللوم، كانت ملتاعة تتردد أنفاسها في خوف مازجه عناد، قالت له إنها لن تتركه وحده حتى لو ألقى بروحه في الجحيم، وإن حياتها بلا معنى لو لم تكُن جواره، وإنه روحها التي تحيا بها. نزلت كلماتها بردًا وسلامًا على حمم ثورته فتبخر الغضب ولانت أخيلته واحتل قلبه خوف كبير، خوف من أن ينالها أذى، همس لها:

- عودي أدراجك، إنها مخاطرة كبيرة.

- دعني أذهب معـ...

بترت عبارتها عندما جذبها من ذراعها بقوة إلى خلف المبنى عندما خرج من بوابة مبنى القبة بضعة رجال وراحو ينتشرون في الباحة الأمامية بتنظيم وتناسق، تعمق (جمال) أكثر خلف المبنى، اخرج هاتفه ووضع سماعة لاسلكية صغيرة في أذنه ثم اتصل بوالده لحظة واحدة وأتاه صوته المتلهف:

- أين أنت الآن وماذا فعلت!؟

- أنا في ساحة المجلس خلف مبنى إداري، سوف أحاول دخول مبنى القبة حيث أعتقد أنهم يحتجزون النواب.

بلغه صوت والده ينقل المعلومة لشخص ما جواره قائلًا:

- سيادة اللواء، توصلت لشخص بالداخل، عين يمكنها نقل ما يدور إليكم، لكنه يحتاج إلى دعم لعدم خبرته.

لم يشأ (فوزي) ذِكر كون الشخص هو ابنه خشية السؤال عن كيفية دخوله.

تساءل اللواء رئيس العمليات:

- سيادة العميد.. هل يمكننا الوثوق به؟!

- نعم، تمام الثقة.

وافق اللواء بإيماءة وأشار لأحد ضباط تأمين المجلس قائلًا:

- إنه الضابط النظامي لتأمين المجلس، وهو على دراية بمداخله وتصميمه جيدًا سيكون عونًا لعميلنا بالداخل في محاولة أخيرة قبل أن...

صمت لحظة وتردد في البوح بمعلومة سرية لكنه حسم أمره وأكمل:

- في غضون ساعة سيتلقي الوزير قرارَ مجلس الأمن حول الأزمة، ولا ندري كيف ستسير الأمور بعدها.

اختلج قلب (فوزي) لعبارة اللواء، كبح قلقه وأخفى توتره، ثم أعطى الهاتف لضابط التأمين. ولج الضابط للتفاصيل مباشرة وأخبر (جمال)، بالتوجه صوب المسجد. التفت (جمال) صوب المسجد ببصره في دهشة، شرع من جديد يحث (ريناد) للعودة لكن انتشار عدة رجال في الباحة الأمامية دفعه للتراجع، عض شفتيه في غيظ ودفعها أمامه وهو يخبرها بالخطوة التالية، ركضا صوب المسجد وعبرا بوابته إلى الداخل ثم أخبر الضابط، فعاجله بالتوجه صوب غرفة حارس المسجد الصغيرة، وبناء على توجيه الضابط رفع سجاد الأرضية حيث غطاء بمستوى الأرض يكمن أسفله سلَم نظيف من الرخام يهبط تدريجيًا إلى الأسفل، انقبض قلب (جمال) وارتفع توتره قبل أن يعود بوعيه إثر تنبيه من الضابط:

- انتبه جيدًا، سوف أفقد الاتصال بك خلال عبورك لذلك النفق، إنها وسيلة سرية لفرار النواب في حالة الأزمات، يبدو أنه تم محاصرتهم قبل التمكن من الوصول إليه، ستجد طريقين أحدهم لخارج أسوار المجلس، والآخر سيقودك مباشرة لداخل بناء القبة داخل غرفة جانبية، وهناك عاود الاتصال بي.

وافقه (جمال) برأس يضج بالصخب التفت إلى (ريناد) مشفقًا:

- ما كان عليّ إقحامك في كل هذا.

تبسمت في رضا قائلة:

- ما كان عليّ أن أضيع عامين من عمري في الجامعة دون أن ألقاك.

رغمًا عنه تبسم، هز رأسه غير مصدق ما يقوم به، تناول أناملها، نظر في عينيها، طمأنها بإيماءة فكانت العهد، ثم هبطا السلم الرخامي، وما إن أغلق مدخل النفق حتى انبعث ضوء أخضر من مصابيح فسفورية تشع إضاءة خافتة كشفت النقاب عن ممر رخامي خالٍ ونظيف يمتد عن اليمين وعن الشمال، أشارت هي صوب الممر المتجه للداخل، خطوا معًا عبره، وخلال دقيقتين وصلا إلى سلم مماثل صعداه بهدوء حتى نهايته حيث كوة دفعها (جمال) في توجس واختلس نظرة متوترة لظلام تام ومقاومة في الفتح رفعت من معدل دقات قلبه، قبل أن يتفهم الموقف، المخرج أسفل سجاد الأرضية أيضًا، استمر في دفع الغطاء حتى تقوست فوقه السجاد وانزاحت عن الغطاء، برز بجزعه داخل غرفة صغيرة تحتلها مقاعد استراحة ضخمة، أعان (ريناد) على الخروج ثم راح يعيد ترتيب السجاد وعاود الاتصال برقم والده، فأتاه صوت الضابط متسائلًا عن موقعه، أجابه بأوصاف الغرفة، جاوبة صمت من الضابط وحفيف أوراق بدا منه أنه يراجع مخططًا أمامه، ثم عاد إليه:

- باب هذه الغرفة سيقودك مباشرة إلى البهو الفرعوني ومنه إلى مدخل سيقودك سلمه إلى شرفات الطابق الأول المطل على القاعة الدائرية.

فتح جمال باب الغرفة ببطءٍ وحذرٍ حين أعادها مغلقة سريعًا، وهمس إلى (ريناد):

- إنه (هشام) يمر عبر البهو.

كان (هشام) يجري مكالمة سرية، يهمس باحترام بالغ:

- سيدي (القدير) لقد تم تقييد النواب وجاري نشر المتفجرات حول محور القاعة، في انتظار الوقت المناسب لتنفيذ خطة الانقلاب سيدي.

تلقى (هشام) بعض عبارات المدح بدت على أمارات ووجهه المشرق بابتسامه فخر واعتداد ثم أغلق المكالمة وزفر بقوة يفرغ توتره من مكالمة (القدير) بنفسه، هو لا يعرفه شخصيًا لكن ما قام به يجعله يطيعه طاعة عمياء، حين كانت والدته تحتضر في مستشفى عام في حاجة لإجراء جراحة عاجلة في القلب، كان عليها أن تنتظر دورها في الجراحات العامة بعد أشهر غير معلومة، أو إجرائها بمستشفى خاصة بتكلفة تتجاوز ما أنفقته عائلته المتمثلة في إخوته الثلاثة الأصغر سنًا ووالده المتوفي ووالدته التي تحتضر، كان محبوبًا وسط أقرانه يتقلد منصبًا قياديًا في الجامعة يتبعه الجميع، حين قدمه أحد أصدقائه لشخص يمكنه معاونته في كربته، وبعد بضعة اختبارات، تكفل التنظيم بتكاليف إجراء جراحة والدته، وبعدها أوكل إليه بضعة أوامر بسيطة نجح بعدها في التوغل وسط مجتمع الطلبة ومحاولة حل مشاكلهم لضمان شعبية أكبر، حين وُكّل إليه تلك المهمة الخطيرة، اقتحام مجلس النواب والتعاون مع رجال التحالف، إلى حين تلقي أوامر خاصة من القدير للانقلاب عليهم، وبعد إتمام المهمة سيتقاضى مبلغًا يكفل له سنوات مع أسرته في العيش الرغد.

أخذ نفسًا عميقًا وخرج إلى القاعة الخارجية حين فتح (جمال) باب الغرفة بحذر حتى اطمأن أن كل شيء ميت بسلام، أشار إلى (ريناد) فاتبعته في توجس عبر قاعدة طولية تحيطها أعمدة ضخمة على الطراز الفرعوني تراصت وسطها لوحات جدارية لنقوش ورسوم فرعونية بارزة، كان (جمال) ليقف يشاهد روعة ذلك البهو لولا أن عقله بات مشتتًا يتسارع نبضه مع خطواته صوب باب جانبي، يكمن خلفه سلم نقله لممر نصف دائري تتراص على محيطه أبواب لغرف تطل على قاعة المجلس الضخمة ولجَ إحداها، غرفة صغير بها مقاعد وثيرة ومكتب صغير يتفرع منها بوابة مزخرفة الإطار لشرفة، انحنى (جمال)

و(ريناد) أسفل حافتها يطالعهما بالأعلى قبة ضخمة مغطاة من الداخل بالزجاج المزخرف مقسمة من المركز لستة عشر جزءًا.

اختلس نظرة عبر حافة الشرفة فوقع بصره على قاعة مجلس أصغر مما تبدو عليه في وسائل الإعلام بقطر اثنان وعشرون مترًا تكدس فوق مقاعدها الجلدية عشرات النواب مقيدون بسلاسل معدنية إلى مقاعدهم معصوبي الأعين، يتناثر من حولهم مسلحون ملثمو الوجوه، استدار في رعب وألصق ظهره بحائط الشرفة، رفع الهاتف وهمس:

- النواب جميعًا مقيدون بسلاسل في مقاعدهم يحيط بهم مسلحون.

- كم عدد المسلحين، وهل ترى أي أسلاك أو متفجرات!؟

عاد (جمال) يختلس النظر، يحصي حوالي عشرة ونقل العدد للضابط ثم راح يجوب ببصره في أرجاء القاعة فاغر الفيه متسع الأعين:

- نعم يوجد متفجرات.

- أخبرني عن وصفها ومكانها تحديدًا!

صمت (جمال) لحظة ثم انفرجت شفتاه بتردُد:

- إنها في كل مكان!

***

الفصل السادس عشر

خلف مكتب والدها بشقة الزمالك جلست (فاتن نجيب) تجتر فيضًا من ذكريات خلت وحاصرتها رغبة خفية في العودة للماضي، فطارت بعقلها عبر الزمان نحو ثلاث سنوات وانساب شريط ذكريات غاضت له في عينيها بريق الدبلوماسية وطفت نظرة حنين لذكريات عشوائية، حتى ضاقت بجلستها فنهضت تلقي ببصرها عبر نافذة كان زجاجها آخر ما لمسته أنامل والدها بكتابة كلمة فتحت لها آفاق الحقيقة.

سبحت كلمة (الحقيقة) بمخيلتها دفعتها لتساؤل راح يطرق ضميرها، هل ما ستلقيه في الخطاب المكلفة به يعكس الحقيقة؟، البيان الرئيسي كارثة في حد ذاته، عزاؤها الوحيد أن بيانها مقتصر على أمور علمية ثابتة لا شبهة فيها، لم يكن والدها ليعترض على ذلك.. كانت حجة منطقية اطمأنت بها وأوت إليها لتريح قلبها.

ضاقت بوقفتها فتوجهت صوب المطبخ وراحت تشرع في إعداد قدح من القهوة، حين مزق رنين جرس الباب ثوب أخيلتها المنسجة، وخلف باب فتحته جزئيًا كان رجل في أواخر الثلاثينيات غير مهندم نامي اللحية زائغ البصر تتبعثر خصلات شعره متجعدة على جبينه في إهمال يمسك في يده مجلد. نظر إليها بأعين استجداء طمسها الحزن ثم انفرجت شفتاه بتلعثم:

- دكتورة (فاتن نجيب)!؟

- نعم..!

- أنا دكتور (فريد)، طبيب شرعي، أود أن أتحدث إليكِ قليلًا فيما يخص بيانك العلمي.

- أعتذر لك فأنا لا أستقبل أحدًا في منزلي.

مع هيئته المريبة كانت على وشك غلق الباب دون الردعلى طلبه، لكنها بقدرٍ كبيرٍ من الغبطة وضبط النفس قالتها له، ثم راحت تغلق الباب ببطء في انتظار بادرة منه بالانصراف، غير أنه ألقى ما لديه:

- اليوم واريت الثرى على ابنتي ذات السبعة أعوام، قتلهامن سوف تدعمينهم ببيانك.

بُهتت (فاتن) لحظة ثم تداركت في أسفٍ:

- صدقني، أنا ليس لي شأن مباشر بهم، ولا أعلم كيف تسببوا في مقتل ابنتك، سامحني ليس لدي ما أقدمه لك.

ارتسمت علامات الشقاء والأسى على وجه (فريد) ولم يجد ما يقوله، لماذا جاء هنا من الأساس وماذا يريد تحديدًا، فقط هي فكرة جالت بخاطره المكلوم فعمل عليها دون أي منطق. أخرج كارتًا صغيرًا مدوَّنًا عليه رقم هاتفه ثم مدَّ يده إليه قائلًا في يأس:

- أرجوكِ لو عرفتِ شيئًا يوصلني لهؤلاء القوم، فقط أخبريني.

وجلت (فاتن) وراحت تحدِّق بنظرة خاوية في يد (فريد) الممدودة بالكارت وكأنها لا تراه، بينما عقلها يموج بفيض قاسٍ ومتسارع من ذكريات خلَت عندما عادت من أمريكا بعد مقتل والدها وراحت تتوسل لشخص أن يساعدها، كانت تعتقد أنه يعرف والدها وبإمكانه معاونتها، وقتها كانت مكلومة حزينة منفطرة القلب ودت لو تتشبث بقشة تعينها على الطفو في بحر الحقيقة، ذلك الشخص لم يخيب ظنها وكان خيرَ معينٍ لها، الآن شعرت أنه موقف مشابه للغاية مع تغيير دورها، هنا فقط شعرت بما يجيش به صدر هذا الرجل المكلوم، والمفارقة أنها اليوم أيضًا زارَتْ قبر والدها وأفضت إليه بما يجيش به صدرها من ألم الفراق.. تراجعت خطوة وأشارت للداخل وسط دهشة فريد من التحول المباغت:

- تفضل دكتور فريد.

دخل (فريد) في حرجٍ و راح يمطرها بسيل من الاعتذارات، تقبَّلتها بصدر رحب:

- لا عليك، لكن أنا لن أمكث هنا طويلًا وموعد طائرتي صباح الغد ولا أنوي تفويته، فأرجو أن تكون مختصرًا قدر الإمكان.

أومأ (فريد) برأسه إيجابًا، لبث لحظة يجمع نثرات أفكارٍ مبعثرة ثم راح يسرد لها كل ما مر به.

***

بدا القلق يعصف بأعصاب (شرودر) والارتباك يغزو قسمات وجهه،

جاهد ليبتسم أمام تهنئة الجميع داخل مقر التحالف الدولي، غير أنها ظهرت مرتبكة شاحبة، كان يحث الخطى إلى غرفة مكتبه حيث ينتظره أحد معاونيه، ما إن اقتحم المكتب حتى اختطف الهاتف من المعاون وصاح عبره في انفعال:

- كيف تحصل الحكومة المصرية على اتصالات بيننا يا (فيكتور)، أقسم أن تعاقب على ذلك عقابًا عسيرًا.

أتاه صوت (فيكتور) في ضيق:

- سيد (شرودر)، اتصالي بكم يتم عبر عدة أقمار صناعية متعاقبة ومشفرة من المستحيل اعتراضها وفهم فحواها، صدقني الأمر مريب ومن الواضح أن هناك عطلًا في النظام داخل التحالف أدى لغلق مسارات تشفير المكالمات التـ....

بغضب جمّ قاطعه (شرودر):

- ألم آمرك بإيقاف جميع الأعمال التصعيدية وسَخب جميع العملاء هناك، لماذا أرى الأمور تسير كما هي؟

- سيد (شرودر) لقد أخبرتني بأن انتظر أوامر القدير وتنسيق ذلك معه، هو لم يتواصل معي من الأساس.

كظم (شرودر) غضبة للحظة قبل أن يكمل (فيكتور):

- على كل حالٍ يمكننا إيقاف بروتوكول التصعيد، نحن فقط من نملك رموز التفجير.

ترددت إجابة (شرودر):

- امنحني بعض الوقت أولًا، وسأطلعك على الأوامر الجديدة.

أغلق (شرودر) الاتصال وألقى الهاتف فوق مكتبه وشرد مفكرًا ثم التفت للمعاون في ثورة:

- هل انتهى التقني من تفقُّد صلاحية النظام!؟

بدا الارتباك في كلمات المعاون قبل أن يجيب:

- ما زال يعمل على ذلك، يبدو أن هناك بالفعل خللًا في النظام لدينا لا ندري مصدره.

ضرب (شرودر) سطح المكتب بقبضته في غضب، وأطرق برأسه:

- اجعله يصلح العطل الآن.. سُمعتنا تنهار دوليًا أيها الحمقى.

***

- دكتور فريد، أنت تخيفني بكل هذا الزخم من الأحداث!

تفوهت (فاتن) بالعبارة، ثم راحت تردد ما استوعبته على نحو تقريري دون أن تستطيع منع ذهول ممتزج باستنكار بدا في صوتها:

- ابنتك تم استغلال موهبتها لتؤلف مقطوعة موسيقية تحاكي معادلة ضخمة من ثلاث قطاعات أحدهم لخلق عين بشرية، ثم تلقى مصرعها بفعل عدوى جينية صادرة عن تلك العين، والتي تم كشف النقاب عنها في البيان العالمي الصادر منذ ساعاتٍ، والذي أنا على وشك تأييده!

ذم (فريد) على شفتيه مؤكدًا ثم أضاف في أسى:

- صدقيني.. إنهم حقراء مخادعون، أعلنوا أنهم خلقوا عينًا بشرية من الصفر، لكنهم كاذبون من جهتين، أولًا استعملوا في تخليق العين جينًا جاهزًا، ثانيًا لا يمتلكون من الأساس الطاقة الفيزيائية التي تدفع الخلايا للعمل لأن ريم لم تكمل جزء المعادلة الخاص بتلك الطاقة.

زفرت (فاتن) بصدر اعتل ضيقًا من كثرة ما عانته منوراء ذلك البيان:

- دكتور فريد، لا أعي معظم تلك التعقيدات الطبية، دوري اقتصر على تعريف للطاقة المظلمة في الكون وتشابهها مع طاقة خلايا الجسد وبخلاف ذل...

تصاعد انتباه (فريد) وطرقت العبارة وعيًا خاملًا لديه فقاطعها بغتة:

- دكتورة معذرة، هل البيان الخاص بكِ حول تشابه طاقة الكون المعتمة تلك مع طاقة الخلايا الحية!؟

تحصنت (فاتن) بالصمت والمغزى يدور في أفق عقلها،قبل أن تومئ إيجابا وعقبت:

- نعم، ولقد انتبهت لوجود توافق بين ما تدعيه وما سأتلوه في البيان حول الطاقة المعتمة، لكن ذلك لا يثبت خداعهم.

عبث (فريد) بهاتفه ثم مدَّ به يده إلى (فاتن):

- هذه هي المعادلة، انظري للقطاع الثالث الفيزيائي، لا أدرك معظمه لكني أعلم أنه غير مكتمل.

صار الهاتف بين أنامل (فاتن) تحدق بتركيز للقطاع الثالث بينما الدهشة تتسلق قسمات وجهها تدريجيًا حتى احتلته، غرقت دقائق وسط خضم بحر من الرموز، زفرت في سهاد وخفضت الهاتف معقبة:

- لا أدري هل هذا حقيقي أم مجرد خدعة، لكن المعادلة تفترض أن الطاقة المعتمة هي كتلٌ سالبة، وهذا مستحيلٌ عمليًا والمعادلة بالفعل غير مكتملة .

- هل رأيتِ!!.. معادلتهم غير مكتملة، لذا لجأوا للخداع

ارتبكت فرائس (فاتن) هزت رأسها غير مصدقة ما تورطت فيه من جدال، زفرت حيرتها ثم قالت:

- دكتور فريد، أشعر جيدًا بما تشعر به، لكن إذا اقتنعت بماتقوله وقفت البيان قبل ميعاد نشره غدًا، هل تعتقد أن ذلك سيؤدي لنتيجة تروي ظمأ نيران انتقام أراها مستعرة في عينيك الآن!؟

بُهت (فريد) لتلك الحقيقة وتشتت عقله كإبرة بوصلةقرب مغناطيس

وضربه الصداع حتى احتقنت عيناه وأجابها بيأس مازجه مرارة:

- لم أعد أملك ما أخسره، فقط أريد سحق هؤلاء الملاعين، وقد جاء القدر لنا بتلميحات تمحق مكر خديعتهم وتفضحهم، ألا ترين أن الحق أولى بالظهور؟

(الحق أولى بالظهور) أصابت العبارة وترًا في قلبها، اجفلت لنظرة عينيه، بدت لها مألوفة، مزيج حارق من الحزن والكره والعناد، شرعت في تجهيز رد منمق لا يرتقي لحد العهد ولا يهبط به لقرارة اليأس، رنين هاتف (فريد) منحها بعض الوقت فاكتفت بمراقبته يجيب الهاتف لِماَ بدا أنه طبيب أيضًا يدعى (صبحي) يتحدث إلى (فريد) عن جينات بلا شك تخص الأمر، أنصتت لمكالمة تحمل طابعًا علميًا، ختمها (فريد) بعبارة:

- نعم دكتور صبحي، أرسلها لي الآن من فضلك.

أغلق (فريد) الهاتف ثم عاد إلى (فاتن):

- إنه جراح رمد صديق قام بعمل تحليل حمض نووي للعين التي حدَّثتكِ عنها، ويقول إنه وجد روابط خلوية وسط جيناتها ليس لها أي داعٍ، وهذا أمرٌ غير معتاد في الرموز الجينية.

لم تلقَ الكلمات صدى لدي أستاذة علم الفيزياء الفلكية، ضيقت بين حاجبيها تستجدي مزيدًا من الشرح، فأكمل (فريد) يغالب إرهاقًا بدا في صوته:

- يتألف الحمض النووي (DNA) لأي كائن حي من أربعة قواعد نيتروجينية:(أدينين) ويُرمزله برمز(A)، (جوانين) ويُرمز له برمز(G)، (سيتوسين)ويُرمز له برمز(C)، (ثايمين) ويُرمز له برمز(T)... تكرار كل رمز من هذه الرموز بمتتاليات معينه داخل الخلية يمثل الشيفرة الوراثية لكل كائن حي والمسئولة عن ظهور اعضاء جسده بمواصفات خاصة تختلف عن نظيره.

صنعت (فاتن) شكلًا حلزونيًا بإصبعها في الهواء وعقبت:

- تلك القواعد التي تكون الشكل الحلزوني المزدوج للحمض النووي.

- بالضبط، حيث ترتبط القاعدة (A) مع(T) مكونة الشريط الحلزوني الأول، والقاعدتين(C) مع (G) فتكون الشريط الثاني، وهما ما يسمى بـ (النيوكليوتيدات).. الشريطين المزدوجين الحلزونيين في الجين.

صمت لحظة ثم شرع يكمل قبل أن يأتيه أزيز من الهاتف يعلن وصول رسالة لهاتفه عبر تطبيق (واتس اب)، راح يدقق النظر لشاشة هاتفه أكثر من خمس وعشرين صفحة مكدسة بالكامل بالأربعة أحرف بتكرار مُمَنهج لكل حرف يمثل الصفات الجينية للعين، دنا (فريد) بالهاتف منها شارحًا:

- هذه هي الروابط الجينية للعين المخلقة، إنه يؤكد على وجود عددٍ لا يمكن حصره من الروابط الجينية الدخيلة هنا، والتي لا يحتاجها الترابط الخلوي حتى يتماسك.

لم تصدق (فاتن) ما تورطت فيه، ولن تنكر أن الأمر أصاب وتر الفضول لديها، تناولت الهاتف من يد (فريد) ونهضت:

- اسمح لي بدقيقة.

غابت داخل غرفة مكتب والدها بضع دقائق ثم عادت بالهاتف مع صفحات مطبوعة من صورة التحليل المرسلة إلى (فريد)، أعطته الهاتف والأوراق، مطت شفتيها في حيرة:

- وفق ما تقول فإنك ستحتاج إلى الروابط الجينية الأصلية، وبعد مقارنتها بهذه، يمكنك إقصاء المتشابه واستخلاص الروابط الدخيلة.

تطلع (فريد) إلى عينين يشعان ذكاء أزرق، لم يتوقع أن تستوعب الأمور بتلك السرعة وتقفز مباشرة إلى استنتاجات توافق ما كان يبحث عنه لعلاج ابنته، الجين المصدَّر.. كنز سبينوزا.. جين(Pax12) أو أيًا

كان اسمه، هو من جديد يحتاجه الآن مرة أخرى.

ساعات ثمينة أفناها مع (ليلى) في السعي خلفه، والنهاية.. لا شيء، تصدر عقله صورة ابنته فاعتصرت الذكرى صدرًا يحتوي قلبًا منتهي الصلاحية، حنينه واشتياقه لابنته وقود دائب على إشعال نار الانتقام في صدره، تنهد كمدًا، ثم عاد يراقب (فاتن) تتفحص أوراق التحليل في صمت، يبدو أن يقينها يتأرجح، خوضها على هذا النحو يشي بأن هناك شكًا وجد طريقه إلى قلبها، هذه هي (فاتن نجيب) التي رآها الجميع تتصدى لمؤامرة ضخمة ونشرت الحقيقة كاملة على نحو باتت معه شعبيتها جارفة.

- دكتورة، هل تصدقينني حقًا!؟

رفعت وجهها عن الأوراق وبدا عليها الحيرة لحظات حين أجابت:

- لا أعلم كيف لتلك الجينات الدخيلة أن تساهم في إثبات خدعة لكن.. لدي يقين، غريزة، أو هو مجرد شعور، أنها تحمل شيئًا قد يدعم نظريتك، أو يثبت به يقيني.

تبسم (فريد)، اوماً برأسه في امتنان:

- هذا يكفيني.

عادت (فاتن) ببصرها للأوراق وهمست:

- أشعر بالأشياء حينما تكون مخبأة عن قصد، هكذا حللت شفرة يومًا مع صديق، لكن كنا نملك أساسًا نمضي به.

رفعت (فاتن) وجهها إلى (فريد) حينما شعرت بصمته فإذ به يرنو إليها بنظرة مترقبة تستجدي مزيدًا من الكلام مما أثار تحفظها، قبل أن يجيب (فريد):

- نعم الجميع يعرف ذلك، لكن ما لا يعرفه أحدٌ هو أين ذلك الصديق الان ؟

سرت بينهما نظرات ترقب حذر قطعتها (فاتن) بإجابة مقتضبة وهي تعيد النظر للأوراق:

- لا أعرف.

تفهم (فريد) إخفاءها أمرًا، حين سألته:

- هل تريد قهوة!؟

نفى برأسه:

- لا داعي.

ثم أخرج من جيب سترته الداخلي علبة سجائره المعدنية وفتحها:

- لكن أرجو ألا تمانعي!

- لا بأس.

أقرنت عبارتها بدفع منفضة سجائر أمامه، أومأ برأسه في امتنان، أشعل سيجارته وسحب نفسًا عميقًا وزفره جانبًا وساد الصمت لحظات. ثم تساءل :

- هل تؤمنين بالتطور في نشأة الخلق يا دكتورة!؟

- تطور المخلوقات مثبتٌ علميًا ولا سبيل لإنكاره.

ثم أضافت بلهجة مؤكدة ذات مغزى:

- لكنه يتم وفقًا لمشيئة الخالق.

تبسَّم (فريد) للمغزي من عبارتها ثم ضاف:

- نعم أعلم، لكن تطور الإنسان شيءٌ آخر، لقد خلقنا على هيئتنا السوية وليس بتطور من كائنات أدنى أو قرود كما هو متداول.

زمت (فاتن) على شفتيها في حيرة:

- لكن اكتشافهم لجمجمة للإنسان الأولى (بلتدون) وإنسان (نايندرتال)، وكذلك إثباتهم وجود نسبة تشابه جينات الإنسان مع القردة هي .98.9%

هزَّ (فريد) رأسه نافيًا:

- إنها خديعة كبرى أخرى، غش بيّن قام به مدعو التطور، تلك الجماجم ثبت توفيقها من أحد الباحثين بين جمجمة إنسان وفك قرد، والأكثر هو عبث تشابة الجينات.

ظلت (فاتن) تتطلع إليه مقتضبة تستجدي المزيد، فأكمل شارحًا:

- حسناً، القردة تملك 3 مليارات زوج جيني، قام مدّعو التطور بتركيز بحثهم على 3 مليون جين فقط لما بهم من تشابه يدعم خداعهم، وتجاهلوا عمدًا باقي الجينات لأنها مختلفة كليًا، ثم جاء العبث الأكبر عندما حذفوا أكثر من 35%من تلك العينة الصغيرة لعدم وجود تشابه من الأساس، ثم بكل تبجح استعملوا برامج مقارنة على الحاسوب تفترض أصلًا صحة التطور وتحاول الوصول لمتشابهات حتى لو جزئية، وكأن البحث كان عن كيف حصل التطور وليس عن وجوده من عدمه، ثم الألعن أنهم وجدوا في بعض السلاسل الجينية العديد من فروقات في الحمض النووي، ورغم ذلك قالوا بمنتهى الاستهزاء والاستفزاز:

«بما أن الإنسان والشامبانزي انحدرا عن أصلٍ مشترك واحدٍ، إذًا فمن المؤكد أن تلك الاختلافات الطفيفة في السلسلة تغيرت في الإنسان نتيجة لطفرات لاحقة، أي ما يعادل ملايين الطفرات بينهما ورغم ذلك لم تؤدِّ إلى عيب واحد في خلق الإنسان؟!».. وأخيرًا يا دكتورة في تلك العينة الصغيرة قاموا بالوقوف على الاختلافات الجينية التي فيها استبدال حرف جيني مكان الآخر، أما الاختلافات القائمة على حرف زائد أو ناقص في السلسلة فقاموا بتجاهلها بغرابة شديدة ولم يتم ضمها لنسبة الاختلافات بينهما، وبذلك قلت نسبة الاختلافات بين

العينتين بمقدار 1.2 %، ثم طرحوا تلك النسبة من 100% وعليه قالوا عبثًا إن الإنسان والشامبانزي متشابهان بالنسبة الباقية أي 98.9 % وبذلك فالإنسان منحدر من سلالة قردة بالتطور.

بدا من ذهول وصمت (فاتن) أنها تسمع ذلك لأول مرة، مما حث (فريد) للتكملة:

- هل رأيت عبثًا أكثر مما قامت به هذه التجربة لتصدير خديعة عالمية بهذا الابتذال، غرضها نشر الفكر الإلحادي وهدم الديانات بسلاح العلم، إذا كانت تلك النظرية تحاول تفسير الخلق بفكرة البقاء للأقوى، فإنها لم تفسر لماذا أحيانًا يكون البقاء للأجمل؟!

تقلصت قسمات وجهها وشعرت أن معلوماتها الطبيةضئيلة للغاية، هربت منها الكلمات لحظة ثم راحت تستجدي تركيزًا بالكاد طاوعها.

- أشكرك على تلك المعلومة، لكن.. إذا ما تزال تحاول إقصائي عن إلقاء البيان، فصدقني لن يصنع الأمر فارقًا، لقد قالو كلمتهم والعالم بالخارج قائمٌ ولن يقعد، ومن الآن الأمور لم تعد كسابق عهدها.

سادت الأجواء المتوترة لحظات، سحب (فريد) جرعة أدخنة من سيجارته ثم هرسها في المنفضة، أطفأ صوت أفكاره وخار حماسه أرضًا، هي تقول الحقيقة، كل ثابت يتزعزع، كل راسخ يتبدل، ما كان موجودًا بالأمس من قيم لم يعد موجودًا اليوم.. مكان مصدر الجين الذي بحث عنه، لم يعد كما كان، أفكاره عند هذا الحد مست حقيقة كامنة في قلبه، ما بحث عنه ولم يجده!، الزمن كفيل بتغيير الكثير، تغيير شيء كان موجود عام 1911م على بعد 710 ياردة شرقًا من (فيلا) فيضي ولم يعد كذلك.

- دكتور فريد، هل ما زلت معي!؟

ازدرد (فريد) لعابه، عاد للواقع يحدق لوجه (فاتن) وكأنه لا يراه على نحو أثار قلقها، فتح هاتفه النقال وراح يبحث عن تاريخ شارع الشيخ

ريحان ومعالمه القديمة، تحصنت (فاتن) بالصمت ولم تشأ مقاطعته، بينما أنهمك هو بضع دقائق راح خلالها يغمغم بكلمات تصف ما يقوم به: ما الذي كان موجودًا قرب(فيلا) فيضي عام **1911**، ولم يعد!؟

رنت (فاتن) ببصرها صوب الهاتف علها تستنبط ما يقوم به، لم يطُل فضولها عندما رفع (فريد) وجهاً لمعت فيه الحياة، راحت تراقب بريق استعادته عينا (فريد) وهو يقول:

- أعتقد أنني وجدت الجين الأصل.

***

بالكاد تمالك العميد (فوزي) أعصابه وهو يتابع الضابط المسؤول عن التواصل مع (جمال) ابنه داخل مجلس النواب بينما الأخير يتلو على الضابط وصفًا لعشرات القنابل في حجم صغير ينبت منها هوائي لاستقبال إشارة ما، تحيط بالقاعة وموزعة على أعمدة وركائز قبة المجلس.

رغم كون الضابط تلقى فرقة في تأمين المنشآت وتفكيك المتفجرات إلا أن غرابة وصفها وعدم تداولها أثار تردد الضابط لحظات راح يلملم فتات معلومات عن تلك النوعية، قنابل متفرقة على هذا النحو ذات هوائي تستدعي جهاز تحكم مركزي عن بُعد، قال (لجمال) عبر الهاتف:

- ابحث عن جهاز تحكم يحتفظ به أحدهم، سيكون داخل حقيبة حافظة، لأن غالبًا ما يكون داخله حساس إذا ما حول أحد تحطيمها سيطلق إشارة تفجير.

تشتت انتباه الضابط عند سماعه أوامر جديدة صدرت عبر لاسلكي لواء العمليات خلفه بتراجع القوات عن المنطقة النشطة على الفور، لم يفهم أحدٌ ما يدور حين شاهدوا تسلّل عدة عناصر من القوات الخاصة المجهزة ومتشحة بالسواد عبر أسوار المجلس وانتشر القناصة فوق الأسطح يبحثون عن أي هدفٍ يدخل حيز تقاطع مناظير بنادقهم.

تصاعدت الدماء لرأس (فوزي)، هرول صوب اللواء متسائلًا:

- لماذا بدأ الاقتحام الآن، لم تنتهِ المهلة!؟

راح اللواء يوزع الأوامر بالتراجع، ثم التفت إلى (فوزي):

- مجلس الأمن قرر عدم جدية التهديد.. سنعتمد على أنفسنا.

غليت الدماء في عروق (فوزي)، أخذ الهاتف من الضابط وخطا بعيدًا يصيح عبره:

- جمال، القوات ستقتحم المجلس، ولن يفرقوا بين أحد.

***

الفصل السابع عشر

منذ أن أمر الخديوي إسماعيل ببنائه على الطراز اليوناني الروماني عام 1901م في حديقة وزارة الأشغال بشارع الشيخ ريحان، والمتحف الجيولوجي يعد واحدًا من أهم المتاحف الجيولوجية في العالم حيث يحتل المرتبة الأولى في الشرق الأوسط والرابع عالميًا من حيث أهمية مقتنياته من كنوز لا تُقدَّر بثمن من صخور نادرة ورواسب معدنية وحفريات وهياكل عظمية لحيوانات فقارية وثديية منقرضة، تم افتتاحه للجمهور عام 1904م بأمانة سر الإنجليزي (تشارلز وليم أندروز) وظلت معامله الجيولوجية تخرج بنتائج مبهرة حول عمر الحفريات وطبيعة التربة القديمة.

تم هدم البناء عام 1982م لإنشاء وتنفيذ مشروع مترو أنفاق القاهرة وبالتالي تم نقل مقتنياته إلى مبنى تقليدي بسيط بشارع كورنيش المعادي المُطِل على نهر النيل، بما لا يتناسب مع ما يضمه المتحف من كنوز جيولوجية متراصة داخل صالة عرض مفتوحة مقسمة إلى ثلاثة قطاعات، الأول يعرض حفريات لا فقارية، تروي لنا قصة الطبيعة وبدايتها على وجه الأرض، مقسَّمة طِبقًا للعصور الجيولوجية التي مرَّت

على مصر. أما القسم الثاني فيضمُ 14 رتبة من الحفريات الفقارية، أشهرها حيوان (الأرسنوثرين) المنقرض منذ 35 مليون سنة ضمن حفريات الفيوم، وحيوان (بالتيد) الضخم بطول 34 مترًا حيث وجدت عظامه في الواحات البحرية، ويُقدَّر زمن وجوده قبل 97 مليون عام. أما عن الصالة الثالثة فهي تشمل العديد والعديت من صخور ومعادن نادرة وجدت دفينة بالقشرة الأرضية.

تراصت كل تلك الكنوز خلف لافتة هزيلة باهتة خُط فوقها عبارة (المتحف الجيولوجي المصري) وعلى طرفها شعار المتحف متمثل في صورة حيوان (الأرسينوثيريوم)، تتصدر بوابة حديدية بدت إلى (فريد) في الأفق من بعيد فتوقف بسيارته، يفكر في كيفية تجاوزها للبحث بالداخل عن كنز (سيبنوزا).. النيزك الهابط من كويكب بن الهيثم الذي يحمل الجين الأصل.

أخرج حافظة سجائرة المعدنية حيث وجدها خاوية، سريعًا قام بعمل سيجارة وأشعلها شاردًا يفكر في صمت، (حيث ينتمي الثاني) وهو فيضي باشا وينتمي إلى (فيلا) الخاصة به، و(حيث ينتمي الاول) وهو كنز سبينوزا، نيزك من كويكب بن الهيثم بالطبع ينتمي للمتحف الجيولوجي، الأمور تزداد ترابطًا ومنطقية، سبحت المعلومة في عقله بينما عيناه مركزتان على فردي أمنٍ يجلسان في خمول داخل كشك إسمنتي إلى جانب البوابة، أخرج هاتفه وعاود الاتصال برقم (فوزي) عدة مرات، لكنه مشغول طوال الوقت صاح في خفوت: (اللعنة عليك يا فوزي، كيف سأدخل الآن؟)

أغلق الهاتف، نفث ضيق يعتل به صدره، أخرج صورةابنته من جيبه، تطلع إليها في حنين فاضت به عيناه بعد أن مُلِئ فؤاده وحشة وظلمة، ثم تحول لقسوة استعرت لها نيران الانتقام في صدره، قبّل الصورة ثم أعادها لجيبه، ترجل من سيارة (هيونداي) مُستأجرة، كانت الشمس قد فقدت بريق شعاعها وشرعت تميل في الأفق حين عبر الشارع إلى جانب الآخر وظل يسير بخطى وئيدة يتظاهر بالتطلع لنهر النيل حتى

تجاوزه بمائة متر ثم عاد إلى قطبان سور المتحف وسط الأشجار، رنا ببصره لساحة أشجار يتراص وسطها نماذج عظمية لكائنات منقرضة يليها أبنية المتحف، راقب الطريق من حوله ثم تسلق السور حتى استقر على الجانب الآخر فوق عشب ضامر، تسمر لحظات ثم تقدَّم صوب شجرة أخرى أكثر قربًا، لم يشاهد حرسًا بالداخل فيما يبدو أنهم اكتفوا بحراسة خارجية، تنقل بصره بين ثلاثة مبانٍ من عدة طوابق، مبنى إداري، معامل تحليل معادن وحفريات، يتوسطهم مبنى قصير على مساحة كبيرة يضم صالات العرض، تسلل بين منصات الهياكل العظمية، يتنقل بين العصور الطباشيرية، دنا في نهاية الباحة من بوابات ناعسة أرهقها استقبال الزوار طوال اليوم فأغلقت دفتيها.

دفعها فأبت أن تنصاع، دار حول المبنى حتى عثر علىضالته، أشجار نخيل تنمو على مقربة من نوافذ الطابق الثاني، بلغ مسامعة صوت شخصين يتسامران، وقف خلف جذع نخلة بلا حراك بعد أن رصد جنديين يحملان أكياس طعام، ظل ساكنًا ثم بدأ يدور حول النخلة حتى مرا بسلام وغابا عن نظره، تطلع لأعلى النخلة وتردد لحظات ثم عزم أمره وبدأ في رحلة صعود شاقة اعتمد فيها على قُرب النخلة من المبنى فاستند بقدمه من حين لآخر على حواف المبنى ولحاء النخيل، بكف يد مليء بالخدوش والجروح دفع النافذة الزجاجية، فانصاعت له تقديرًا لمجهوداته في الوصول إليها، كانت نافذة بنظام غلق ضعيف غير أن أحدًا لم يلقِ بالا لغلقها، فقط تلاقت دفتاها الزجاجيتان دون قفل.

قفزة صغير ووجد نفسه وسط قاعة ذات أضواء خافتة تراصت داخلها حاويات زجاجية تعتلي ركائز خشبية، داخلها عظام حفريات مختلفة الأحجام، راح يتراجع بينما عيناه تدوران على هياكل عظمية ضخمة منتصبة فوق منصات، تسللت لنفسه حيرة ودارَ ببصره في تخبُط، تنفَس بعمق وحاول تركيز أفكاره: (إذا كنت أبحث عن حجر نيزكي فأنا في القاعة الخاطئة).

خرج عبر دفتي باب القاعة الخشبي، بدا خلفها بهو خارجي سار عبره حتى تعلق بصره بلافتة تشير لقاعة الصخور والمعادن، قطع بضعة أمتار فوق سجاد عتيق وسط ممر تراصت على جانبيه صور ولوحات لحيوانات منقرضة وصخور بأشكال مختلفة، المتحف بلا حراسة تقريبًا فقط الأمن الخارجي!، جال بخاطره هاجس فتلفت على إثره يجوب ببصره أرجاء سقف الممر حتى وجد (كاميرا) مراقبة تكشف الممر بما لا يدع مجالًا للشك التقط صورته منذ البداية، عضّ على شفتيه، تخبط فكره لحظات، ثم حسم أمرًا كان مفعولًا، لا مجال للتراجع، حث الخطى إلى داخل قاعة بنفس الإضاءة الساهرة التي تثير الأوهام والخيال، كانت ضالته، عرفها من عشرات الصناديق الزجاجية التي تحتوي أحجارًا بالمئات من أشكال وألوان وأماكن متفاوتة، وقف يحصيها حتى كلّ بصره فخطا يدنو من أقربها وقرأ لافتة التعريف الخاصة بها: (صخور قمرية، أخذت من وادي (تاروسلترو) خلال رحلة الفضاء(أبوللو عام (1972

مرّ سريعًا على لافتات تعريفية، صخور رسوبية من تربة الفيوم، أحجار كريمة، صخور معدنية من مناطق متفرقة من أنحاء الجمهورية؛ جاب القاعة بالكامل دون أن يجد صخورًا منسوبة لكويكب ابن الهيثم شعر بالضياع، تنفرج معه الطُرق المغلقة فقط لتؤدي بها إلى طرق أكثر انغلاقًا

***

لم تكن المرشدة السياحية (ليلى عبد الظاهر) تعلم ما يعنيه الفراغ، لكنها شعرت به من جديد، ظلام دامس، لا شيء، لا صوت، لا منتهى، لا أبعاد ولا حدود، للزمن، تسير فلا تعلم هل تتقدم أم تتراجع، هل تمشي مستوية أم رأسًا على عقب، كابوس لعين تجد نفسها داخله، كانت تعلم اللحظة التالية، صوت نحيب ابنتها تستغيث بها.

اندفعت تفتح حجرات تأكلت مقابضها وتهالكت جدرانها، وحدة تلو

الأخرى حتى وجدتها تجلس على مقعد لم تتبين حدوده، تحيط رأسها براحتيها وتبكي وتستغيث في ألم مبرح، تنادي أمها بلا توقف على نحو انفطر له قلب (ليلى)، ركضت إليها دون أن تصل، ركضت وركضت بلا جدوى، لا مسافة ولا زمن، بقيت مكانها تسبح في الفراغ تنادي صغيرتها بصوت لم يبرح حنجرتها، وتدريجيًا راح يخرج مختنقًا متحشرجًا يتعالى أكثر حتى انفجرت صرختها باسم ابنتها، عندها فقط انتفضت مستيقظة حيث غفت متكورة فوق فراشها في شقتها، ترتكن بجبينها على ركبتيها يختلط عليها الواقع بالأحلام، يمتص الحزن روحها، يسحق قلبها ويهرسه، مضغها القهر على ابنتها الراحلة حتى دنت من عالم الأموات، دون موت، تغفو فتنقلها الأوهام لمكان آخر، تفيق فزعة لتغفو من جديد، شعرت بأنامل والدتها تمس كتفها في شفقة، رفعت أعين احتقنت كمدًا فأبصرت كوبًا من العصير بين أصابع والدتها، أبت نفسها اشتهاءه فأشاحت بوجهها وعادت لغفوة اليقظة تلتهم عقلها الأوهام.

بصوت مجهد حثت والدتها وعيها:

- بنيتي، أرجوكِ يجب أن تأكلي شيئًا.

لم تمس العبارة وعيها، التقطت أذنها تنهيدة حزينة من والدتها، فخرج صوتها متهدجًا:

- لا أريد شيئًا.

ربتت والدتها عي كتفها وضمتها إليها:

- حسنًا خذي وقتك و...

قاطعها ذبذبة رنين صامت لهاتف ألقته جوارها في إهمال، تكرار الاتصال من رقم مجهول دفعها للرد في فتور، صك أذنها صوت يتحدث بعربية ركيكة أثار حفيظتها، أجابته بلهجة حادة:

- ماذ تريد أيها الخنزير أقسم أن تدف....

بترت كلمتها بغتة، تحوَّل غضبها للترقب، وبأعين زجاجية أنصتت باهتمام، ورغم انتهاء المكالمة إلا أن الهاتف ظل لصيق أذنها لحظات لم تحصها. نهضت في ترنح ترتدي ملابسها، اختطفت مفاتيح السيارة وعوينات شميسة أخفت بها أعين انتفخت جفونها، وبسرعة ورعونة وعدد لا بأس به من سباب وسخط السيارات أثناء الطريق وصلت للمكان المنشود، ظلت داخل سيارتها لحظات تفتش ببصرها إلى أن انتفضت على صوت قبضة تطرق زجاج سيارتها الجانبي، أبصرت رجلًا أربعينيًا يرتدي معطفًا طويلًا وعوينات لا تخفي قسمات وجهه الغربية، فتحت باب السيارة، أشار لها الرجل بالخروج، أطاعته في توجس بينما عقلها يتدفق بعشرات الاحتمالات السوداء حين جلست داخل سيارته، جلس جوارها على مقعد السائق في أريحية وتنهد قائلا:

- سيدة ليلى، أخيرًا بعد ملاحقتك ليومين أنت وزوجك.

بعناد وكره دفين:

- هات ما لديك!؟

ضحك الرجل في استفزاز:

- حسنًا.. في البداية دعينا نتفق، نحن نريد منك خدمة، وبعدها.

غمز بعينه في إشارة ذات مغزى:

- تنالين مرادك.

***

رغم أن السماعة الهوائية كانت تدوي داخل أذن (جمال بصوت والده محذرًا من اقتحام الأمن لمبنى القبة، إلا أن وعيه وبصره كان مركزًا مع إشارة (هشام) الخفية لاثنين من المسلحين قبضت أيديهم على أسلحتهم وأطلقوا وابلًا من الرصاص باغتوا المسلحين أصدقاءهم

سقطوا لها صرعى على الفور، أبقى (هشام) على القائد وجرّده من سلاحه قائلًا:

- يداك فوق رأسك وابتعد عن حقيبة التحكم.

خطا القائد مبتعدًا يتطاير الغضب من عينيه وصوته:

- لم أكن متقبلًا وجودك بيننا من البداية لكنها كانت أوامر السيد (شرودر).

تبسم (هشام) وهو يتحرك بحذر صوب حقيبة التحكم، اختلس نظرة لشاشة داخلها، اطمأن لفتح قفل شاشتها ثم عقب:

- ذلك التسلسل على الشاشة خاص بتفجير باحة المجلس، أليس كذلك؟

- الأوامر وقف التصعيد والانسحاب، لماذا تقوم بذلك، ولأية جهة تعمل!؟

اتسعت ابتسامة (هشام) وهو يلقي بكلمته:

- إنها تحية من (القدير).

ثم اخترقت رصاصته رأس القائد، تكوم جوار ستة أجساد تابعين لتنظيم الإلحاد الدولي، جلس (هشام) في برود خلف شاشة الحقيبة وراح ينشط المتفجرات في الباحة وعيناه ترصدان تسلل القوات الخاصة للباحة. عادت أذن (جمال) للعمل مع وعيه وتنبّه لصوت والده، فأجابه همسًا:

- أبي يجب أن تجعلهم يتراجعوا، لقد انشق بعض المختطفين هنا وقاموا بتفعيل متفجرات بالخارج، أعتقـ...

صاح به (فوزي) مقاطعًا:

- أيها الأحمق لقد بدأ الاقتحام ولا مجال للتراجع، ستقتلك القوات

بالخطأ، اخرج الآن عبر النفق أيها الغبي.

غابت الدماء عن وجه (جمال) وهمس لنفسه.

(هذا إذا ما تمكنوا من الدخول).

***

(هل تعتقد حقًا أن التاريخ يعيد نفسه!؟)

(تصرفات البشر وأطماعهم على مر العصور هي المتشابهة).

تبسمت (فاتن) لكلمات قالتها يومًا، اجترها عقلها من ذكرى ثلاث سنوات خلت، تجربة قاسية تعلمت منها الكثير، وما تزال، اعتصرها الحنين بعد أن ملأ فؤادها شوقًا، راودتها رغبة كاسحة في إراحة جبينها على صدر والدها، احتقنت عيناها بدموع طالما حاولت دفنها حية، غير أنها تسللت وانسابت على وجنتيها ولم تشعر بهما إلا وهما يسقطان فوق أوراق تحليل (الدي إن إيه)، إحداها احتوت الرمزين (A- T) واحتوت الثانية الرمزين (G -C)، من خلف غشاء دموع رقيق رصدت كل حرفين بينهما تزاوج طبيعي كما أخبرها ذلك الطبيب الملكوم!.. ماذا لو كل حرفين كانا يشيران لرمز، هكذا سيكون لديها رمزان إذا ما تكرّرا بنمط معين سيشكلان...!

استيقظت حوسها وراحت تهمس لنفسها: (هل من الممكن أن نكون أمام.. ترميز ثنائي!؟، يا إلهي ستكون أحدث صيحة في عالم التشفير).

مسحت عن وجنتيها آثار دموع لم تجف، نهضت مشتتة تدور برأسها فيما حولها، حكت رأسها تفكر للحظات، توجهت لجهاز الاتصال الداخلي وضغطته تخاطب حارس العقار الناعس:

- جهز سيارتي الآن بأسرع ما يكون.

حثت الخطى لغرفتها تستبدل ملابسها في عجالة تهمس :

- (كريسبر كاس) الوحيد القادر على فعلها.

تناولت مفتاح (الميني كوبر)، دست أوراق التحليل الجيني داخل حقيبتها الـ (ويست باج) ماركة (هيرشل) المفضلة لديها، وهبطت مع المصعد حتى جراج العقار حيث الحارس يضع اللمسات الأخيرة، تراجع بترحاب مؤكدًا على حسن رعايته للسيارة طوال سفرها، أومأت ممتنة ونقدته فانصرف، طالعتها باشتياق، انسيابية حمراء فاقع لونها، فتحت بابها وجلست فوق مقعد القيادة وأدارت المحرك، زأر في تململ ثم استعاد حيويته، انطلقت بها خارج الجراج حيث ظلام ليلة بدت غير تقليدية، أجرت اتصالًا بـ (فريد) وما إن أتاها صوته، هامس متسائلًا حتى قالت:

- دكتور فريد، لا أعلم أين تبحث عن الجين الأصل، لكنني أحتاجه لاستخلاص الجينات الدخيلة هنا، أنا في طريقي لهيئة الفضاء (نارس) لاستعمال تقنية خاصة في أحد معاملها؛ إذا ما صدق ظني فسوف نقوم بأغرب عملية حل شيفرة في التاريخ.

***

تابع المشاهدون على الشاشات مراسلة قناة الأخبار تبث بيانها على الهواء على مسافة بعيدة من مقر المجلس قائلة:

- ما زلنا ننقل لكم أعزائي المشاهدين تصويرًا حيًالاستمرار التجمهرات الغفيرة حول محيط مجلس النواب، بعد أن باءت بالفشل جميع محاولات الحكومة للتفاوض حرصًا على سلامة النواب المحتجزة بالداخل، وما زلنا غير متأكدين من ملابسات عدم السماح للنواب بالخروج، وحجم التهديد الواقع عليهم بل وإذا كانت حقًا مطالب المتجمهرين هو عدم إقرار قانون ملاحقة الملحدين بتهمة ازدراء الأديان، لماذا لا تعلن الحكومة وقف إقرار القانون وتخليص النوب!؟ بل وما سر توجه مفوض حكومي للأمم المتحدة، غموض وضباب كثيف يكتنف الأحداث .

ضغطت مراسلة الأخبار سماعة داخل أذنها ثم رفعت من درجة صوتها متداركة:

- أبلغنا الآن أحد مصادرنا حول النطاق بوجود تسلل للقوات، يبدو أنه اقتحام شامل ومحاولة السيطرة على الوضع في مبادرة وصفها مصدرنا أنها طائشة في ظل عدم معرفة التهديد الواقع على النواب أو حتى كونهم مسلحين من عدمه، نتمنى أن يمر الأمـ...

ضاعت أحرف كلمتها وسط دويّ انفجارات عاتية انخلعت لها القلوب، قبل أن تلتف الأعناق والأجساد صوب المجلس حيث الانفجار، يحدقون بذهول لاندلاعات نيران كثيفة متصاعدة مع دخان أسود غزير غابت وسطه قُبة المجلس، حين ارتفعت موجة صراخ وذعر صفعت وعي المحتجين حول المجلس بالآلاف، اعتقدوا أن الشرطة تسللت من الباحة الخلفية لتحاول سحقهم أو هكذا ادعى البعض، سرت موجة غضب بينهم بعد أن تكونت لديهم صورة خاطئة عن المشهد، وقفوا متحفزين بقذائف المولتوف لأي هجوم متوقع من كلا الجانبين ودعمهم في ذلك بعض مرتفعي الأصوات من وسطهم، انخلع قلب (فوزي) وخفت لونه بينما راحت ساقاه تعدوان بلا وعي صوب المجلس. وبينما الدخان الكثيف ينقشع عن باحة المجلس، نقل المراقبين من فوق الأسطح خبر تصفية القوة المقتحمة بعد استهدافها بمتفجرات سبق وتم زرعها وسط باحة المجلس.

حين استغلت حشود وافدة حالة التخبط وحاولت الدخول إلى المنطقة والانضمام للمحتجين فتصدى لها الأمن بالقوة، أثارت غضبهم فراحوا يمطرون الأمن بالحجارة ثم برزت قذائف المولتوف الحارقة من العدم وألقيت صوب أفراد أمن تلقوا أوامر صارمة بعدم السماح لهم بالدخول بأي ثمنٍ مما دفعهم للاشتباك المباشر وخلال بضع دقائق انقلبت المنطقة لساحة قتال طاحنة، حالة من الهستيرية أصابت الجمع.

الفصل الثامن عشر

و على مشارف حي النزهة، قبع بناء هيئة الفضاء المصرية (نارس) غارقًا في ظلام ليلٍ قد بدأ يفرض سطوته على الأفق، أضاءت له (فاتن) مصابيح سيارتها (الميني كوبر) واستغلت قوة محركها وقدرتها العالية على المناورة لتخترق طريقًا تكاسلت السيارات وسطه، ألقت نظرة لساعة تابلوه السيارة، لم يبقَ الكثير على موعد إذاعة البيان الخاص بها، فار عقلها بالتناقضات لم تعد قادرة على الفصل بين الصواب والخطأ، من البداية كانت تشعر بالريبة تجاه ذلك الإعلان العالمي، أحدهم يستغل مصداقيتها ووجهها المألوف لدى شعوب الشرق الأوسط، غير أن ظهور (فريد) طرق بمطرقة صلبة على يقينها حتى تفتت، أنها تساهم في خدعة عالمية دون أن تدري، تملكها الضيق وانعطفت بالسيارة على مشارف شارع جوزيف، حاولت أن تجد لمنطقها مخرجًا ولم تستطع، لا يمكن فصل بيانها عن بيان تخليقهم تلك العين، الأمران مرتبطان لا فاصل بينهما، لقد ألقى (فريد) بجزوة الشك فوق خشب يقينها الجاف فأشتعل دون رجعة، العين لم تخلق بتطور طبيعي من الصفر كما ادعوا في بيان هي على وشك تدعيمه، تعقيد العين البشرية يقف سدًا أمام مدّعي التطور، والآن هي تمسك بمعول وتنقب جزءًا من ذلك الجدار، غير أن القدر منحها فرصة لبيان الحقيقة متمثلة في (فريد)، إذا ما صدق في أمر تلك الروابط الجينية الدخيلة وكانت تعني أمرًا ما بالفعل كما تظن، فسيثبت ذلك يقينها المتأرجح ويرسخ منطقها، فقط تحتاج لتلك التقنية التي سبق ودرستها...

عند هذا الحد طار عقلها عبر الحدود داخل مقر ناسا قبل بضعة أشهر، كانت جالسة وسط حضور من بعض المتدربين داخل قاعة أنيقة، يتابعون بانتباه أستاذًا يشرح على لوحة بيضاء قائلًا:

- تقنية حاسوب (كريسبركاس) هي آخر صيحة في عالم تحرير وإعادة الصياغة الجينية، تمكننا من التحكم في قواعد التحليل الجيني لأي كائن حي والتلاعب فيها بقص أو إضافة رموز جينية، وأهمية تلك

التقنية في مجالنا تكمن في تحليل الحمض النووي لأي آثار خلوية وسط أي الصخور سواء أرضية أو فضائية والكشف عن أصل تلك المستحثات بيولوجيا ومعرفة نوع الكائن الحي ودراسة تاريخة بالكامل...

عادت (فاتن) للواقع تتحسس لا إراديًا حقيبتها الملقاة على المقعد جوارها، يختبئ داخلها تحليل جيني للعين، خمس وعشرون صفحة ضخمة مكدسة بتكرار للأربعة أحرف، مندس وسطهم احرف دخيله.

داخل المقر احتضنت حقيبتها وترجلت من السيارةوولجت عبر البوابة الداخلية، ثم توجهت لمصعد أخذها للطابق الثالث وهناك وجدت (شاهين) في انتظارها بقامته الفارعة وعيناه الضيقتان وشعر قصير وسترة رسمية حُلت ربطة العنق منها، تبسم في مجاملة متسائلة بما يبدو أن الحارس أخبره بقدومها، صافحته في امتنان قائلة:

- احتاج لإجراء بعض الاختبارت العاجلة في المعمل البيولوجي.

- بالطبع يا دكتورة أنت هنا نائب الرئيس، تفضلي.

خطت (فاتن) تتبعه للمعمل، لم تشعر يومًا أنها تنتمي لهنا، شعورها أن تقلدها ذلك المنصب من باب المجاملة لوكالة (ناسا) للانتفاع، لا تجد من الأمر عيبًا لكنها تشعر دائمًا بكونها ضيفة، لها قدر صغير من الحقوق.

- تفضلي.

ولجت لقاعة الحواسيب حيث كانت قبل ساعات، حين باغتها (شاهين) بالسؤال:

- هل الأمر متعلق بالبيان الخاص بكِ؟

ارتبكت أخيلتها وهربت ببصرها صوب أجهزة الحواسيب قائلة:

- لا، إنه بحث كنت أقوم به في (ناسا) وأريد استكماله قبل سفري.

كذبها عليه صادف هوى في نفسها، شعرت بارتياح لذلك وتحركت بحرية أكبر بالأخص حينما استأذنها وخرج من المعمل، وما إن أغلق الباب حتى توجهت صوب حاسوب صغير مضاءة شاشته ومتصل بالشبكة العنكبوتية تظهر شاشته ساعات تنازلية تشي ببقاء بضع ساعات على إذاعة بيانها للعالم أجمع، أورثها ذلك قشعريرة أعادتها للواقع توجهت ببصرها صوب حاسوب ضخم ذي خصوصية.

ثلاث شاشات متجاورة وعن يسارهم تراصت رأسيًا الخوادم داخل حوافظ بطول الشخص البالغ، اقتربت من الخادم الرئيسي وضغطت زر التشغيل، هدرت الهوايات داخل الخوادم وأضيئت الثلاث شاشات في تكاسل بشعار نظام التشغيل، ثم استقرت فوق الشاشة اسم وشعار البرنامج الرئيسي، انفرجت شفتا (فاتن) ترُدد في ظفر:

- كريسبر كاس.

احتواها أمامه مقعدًا بعجلات، فضّت حقيبتها من أوراق التحليل الجيني طالعتها بتركيز وشرود تحت وطأة فكرة مجنونة تحاصرها.

إذا كانت تلك الروابط الدخيلة موضوعة عن قصد لغرضٍ ما، فلا سبيل لفهمها سوى بتحويلها لصيغة أخرى، صيغة حاسوبية رقمية التى تعمل بالترميز الثنائي وهو تكرار ممنهج للرقم (صفر) والرقم (واحد) فيمكننا الحصول على صيغة رقمية يفهمها الحاسوب، فيحولها لصيغة وسائطية نفهما نحن. أما الجزء الأسهل فهو معرفة أن كل زوج جيني بينهما تزاوج طبيعي من الأحرف الجينية الأربعة يشير لرمز حاسوبي، القاعدتان (A- C) في التحليل الجيني تم تشفيرهما ليكونا الرمز (صفر) بلغة الحواسيب، والقاعدتان (T- G) تم تشفيرهما ليكونا الرمز (واحد)، إذا ما صدق ظنها فإن التكرار الممنهج للروابط الجينية سيتوافق مع تكرار ممنهج حاسوبي لشيء ما مفهوم، تم إقحامه وسط جينات العين الأصلية، ولا سبيل لاستخلاصها إلا بالحصول على الجينات الأصل.

لفظت هواجسها واستحضرت محاضرات استعمال تقنية (كريسبر)،

يجب إدخال أحرف التحليل لقاعدة بيانات الحاسوب أولا، دارت بالمقعد حول محورها ثم اندفعت بالمقعد إلى جهاز (ماسح ضوئي) راحت تلصق ورقة تلو الأخرى فوق زجاج الجهاز حتى حصلت على نسخة في الحاسوب، ثم قامت بتحرير الأحرف باستخراجها من صيغة صورة إلى صيغة حرة حية نقلتها على (فلاش ميموري) في مديتها إلى حاسوب (كريسبر) بعد أن اندفعت بمقعدها إليه من جديد، تراصت الأحرف بنفس ترتيبها في تتابع سريع داخل نافذة البرنامج حتى نقلها بالكامل، هنا انتهى دورها، سوف تنتظر حصول (فريد) على تحليل المصدر حتى تطرحه من تحليل العين فتحصل على الجينات الدخيلة وبعدها إما الحصول على شيء مفهول ذي أهمية، أو أن ميعاد طائرتها أولى بها.

تركت الفارة راحت تطالع آلاف الرموز المتراصة فوق الشاشة في صمت وسكون لم يبدده سوى الهدير المتصاعد لمبردات الخوادم، عبثت بشاشة هاتفها اللوحي تعرض مواقع أجنبية عن سقوط النيازك، ثم تركته وسحبت هاتفها الصغير الاحتياطي وأجرت اتصالا بـ (فريد)، ما إن أتاه صوتها حتى سألته:

- هل توصلت للجين المصدر، احتاج لتحليلها الجيني بشدة.

- ما زلت أبحث، لا أجد أي شيء يخص كويكب الهيثم هذا.

جاوبته في أسف وتململ:

- صدقني دكتور فريد كما قلت لك لا يوجد مرجع فلكي واحد في العالم يوثق سقوط حجر نيزكي من كويكب الهيثم على الأرض.

- أنا متأكد أنه حدث، كتفي بحثك في عام مذكرات (جويدان هانم) كما أخبرتك، أنه العام الذي بدأت فيه الأحداث الغامضة بين الخديوي الأخير واللورد (كتشينر).

زمت (فاتن) على شفتيها، شردت لحظة ثم عادت تعبث بهاتفها، تعيد

البحث في ضوء المعطيات الجديدة، صمتت لحظات ثم راحت تخاطب شياطينها:

- يا إلهي! إنه... الرنين المداري والاقتران...؟!، التوقيت متقارب للغاية.

- دكتورة هل لي بتوضيح لتلك المصطلحات الفلكية؟

ظلت (فاتن) ترنو للفراغ بنظرة خاوية وفي عقلها تتلاطم الأفكار والافتراضات حتى أفاقت من شرودها، ثم قالت:

- دكتور فريد سأعاود الاتصال بك بعد قليل.

لم تمهله فرصة التعليق، أنهت الاتصال، تركته مع شكوك وظنون عبثت برأسه فأورثته مزيدًا من الأفكار السوداء.

***

سادت الفوضى داخل جدران مبنى القاعة المستدير بمجلس النواب بعد أن ارتجت بهدير انفجارات عاتية في الباحة الخارجية أطلقت موجة تضاغطية عنيفة تحطمت لها النوافذ الزجاجية للمبنى وأثارت موجة ذعر بين النواب، قبل أن تصرخ (ريناد) بصوت لم تسمعه وأغلقت أذنين ضربهما الطنين، ظل (جمال) منحنيًا أسفل الشرفة يحيطها بذراعيه للحظات، وداخل أذنه بقيت السماعة المتصلة هوائيًا بالهاتف يصدر عنها صوت (فوزي)، ضغطها أكثر داخل أذنه وتحدث لوالده:

- لقد أطاحوا بالقوات بالخارج.

- هل أنتم بخير؟ هل أصابك مكروه؟

- نحن بخير.

ضغط كتف (ريناد) المتشنج يبث إليها شيئًا من اطمئنان يفتقده، تشبث بحافة الشرفة وأطل بحذر إلى قاعة تدوي بعويل النواب مما

دفع (هشام) لإطلاق وابل من الرصاصات في الهواء صمت لهما الجميع.

عاد الهدوء يسود الأجواء، راح (هشام) يتنقل بين أجزاء المتفجرات يتفحص الهوائي الخاص بها، ثم عاد لحقيبة التحكم وقد بدا عليه الضيق للحظات ثم أجرى اتصالًا وعيناه مركزتان على شاشة حقيبة التحكم في غضب، ما إن أتاه صوت المتحدث على الطرف الآخر حتى قال:

- التفجير يتم بإشارة عبر هوائي بالحقيبة بمدى (خمسة كيلومترات).. نظام التفجير محمي بشفرة تدفقية أحتاجها لبدء التسلسل.

***

وقف (شرودر) أمام نافذة الطابق العلوي من مبنى التحالف المطل على العاصمة الأمريكية ساهمًا واجمًا تعصف به المخاوف، هناك شيء مريب غير مفهوم، بعد نجاح ساحق سقط كل شيء، المنظمة تصدرت المشهد وشعبيتها انهارت بعد أن كانت في السماء، الاتصالات تنهمر عليه تطلب تفسير محادثات مسربة تثبت تورطهم في أعمال العنف في مصر بعد التفجير الأخير وسقوط ضحايا، رجال التحالف داخل المجلس لا يجيبون على اتصالات (فيكتور)، هناك يد تعبث معهم، راح في تأمل طويل يجتر ذكريات مبعثرة، بينما عقله يتأرجح به عبر بضعة أشهر خلت.

عندما أجمع مجلس إدارة التحالف على إقصائه من الرئاسة نظرًا لحالة الركود والتدهور التي حاقت بالتحالف في عهده، عشرات التجاوزات، انفصال العديد من الحلفاء، قل عدد المناصرين للحد الأدنى، كانت فترته هي الإخفاق يمشي على قدمين، علم وقتها أنه لن يستمر في الرئاسة كثيرًا وسيتم الإطاحة به عما قريب جدًا، لم يجد ملاذًا، منصبه بات على كف رجيم، حتى وردت صباح يوم خريفي رسالة بريد إلكتروني إلى بريد التحالف من جهة تدعى (القدير)، تسلمها التقني وأبلغ بها الرئيس، كانت من رجل يطلب التحدث لمجلس

التحالف. أخبره بأمر كان يحتاجه للغاية في تلك الأيام، استعرض نَص رسالة حفظها جيدًا وراح يعيدها على مخيلته: «سيد (شرودر) أعلم ما فعله بك أعضاء مجلس التحالف، لدي ما يخرس أفواههم، سيتهافتون حولك ويطلبون رضاك، ولن ينالوا سوى الإذلال والإهانة ثم طردهم من المجلس، لدي كشف كبير إذا ما تم إعلانه على لسان التحالف الدولي للإلحاد برئاستك سيغير المفاهيم ويبدل الرواسخ، سوف نغلق باب الشك في نظرية (داروين) نهائيًا وللأبد، وسنعلن للعالم أجمع سيادة الطبيعة وربوبتها، وقتها لن نحتاج سوى بعض الحشد في مختلف الدول وستتهافت عليكم العضويات والانضمام سيكون تاريخيًا، سوف نحتوي الكوكب بأكمله، سيكون التحالف الدولى للإلحاد أقوى تحالف دولي عرفه التاريخ، سوف نطغى على منظمة الأمم المتحدة بكامل فروعها، بعد هدم جميع المجتمعات الدينية بطعنة نافذة في كبد مبادئهم ورواسخهم القديمة، الغلبة ستكون لنا، بينما أنت متربع على عرش المنظمة».

عاد عقل (شرودر) للحاضر بشيء من الانتشاء الزائف،حيث وجد نفسه ما زال شاردًا ببصره عبر النافذة، عاد يجلس خلف مكتبه في وهن، وتساؤل يطرق رأسه، هل فقدَ (القدير) السيطرة على مقاليد الأمور، أم أصابه مكروه، الخطة بالكامل تعتمد عليه.. لكن الأمور لا تسير على ما يرام .

تذكر أنك حملت رواية الرمز السابع حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

الفصل التاسع عشر

- المريخ!؟.. دكتورة فاتن هل أنتِ واثقة من تلك المعلومة، هل عليَّ أن أبحث الآن عن حجر نيزكي هبط من كوكب المريخ على الأراضي المصرية!؟

قالها (فريد) بمنتهى الدهشة بعد أن عاودت (فاتن) الاتصال به تحيطه علمًا بما توصلت إليه، كان قد رأى من الأمر عجب العُجاب لكن نيزكًا مريخيًا هبط على الأراضي المصرية كان أمرًا لم يُسمَع به من قبل، رغم ذلك راح يجوب أروقة قاعة الأحجار النادرة بحثًا عن ضالة بدت من عالم الخيال، بحث كثيرًا ولم يجد ما تحاول إقناعه به، توقف عند طرف القاعة، دار حول نفسه ثم توقف فى تشتت، انفرجت شفتاه يعلن فراغ جعبته لكنه تجمد وداهمه ذهول مباغت واسترق النظر صوب ركنٍ قصي، خطا صوب صندوق زجاجي يرتكز على دعامات خشبية، وأخذ يحدق لصخرة بحجم ذراع تخللتها شروخ وانقسامات تلمع بقشرة معدنية مصقولة اسودت معظمها بفعل ما بدا أنه احتراق مرورها من السماء عبر الغلاف الجوي. استحوذت بطاقة تعريف الحجر على كل حواسه فأخذ يتمتم بصوت خافت: «نيزك النخلة تفكك من تربة كوكب المريخ بعد أن اصطدم به جُرم سماوي، سبحت في الفضاء سنوات لن نتمكن من إحصائها ثم سقطت على قرية النخلة بمحافظة البحيرة في 28 يونيو عام 1911م، ويعد من أهم ثلاثة نيازك مريخية سقطت على الأرض لما يحويه من مستحثات ميكروبية وآثار لتعرضة لمياه جارية تؤكد احتمالية وجود حياة على سطح المريخ، ورغم أنه يتكون من حديد وألومنيوم وسيليكون مشعين دون الهيدروجين الثقيل المميز لصخور المريخ، إلا أن العلماء اعتبروه مريخي الأصل»

- دكتورة فاتن لقد وجدت حجرًا نيزكيًا قادمًا من المريخ، رغم كونه أمرًا غريبًا، بيد أنه ليس ضالتنا، فلماذا بحثت عنه؟!

- دكتور فريد، هناك تدليس فلكي لا أدري أمتعمد هو، أم عن جهل

وعدم تثبت.

صمتت لحظة ثم فسرت ما يدور في عقلها:

- كويكب الهيثم يدور بين المريخ والمشترى ضمن مجموعة حزام الكويكبات، أكثر الأماكن تواجد لصخور من مختلف أرجاء الكون. في لحظات فارقة من دوران الكوكبين يحدث ما يسمى الاقتران، يصطفان مع الأرض ويمكن رؤية المشترى كجسم لامع في السماء وأمامه نقطة حمراء وهي المريخ عندها يكونان متقاربين للحد الأدنى ينشأ ما يسمى بالـ (الرنين المداري) أي تجاذب متبادل بينهما، ينجم عنه اضطراب للأجرام السماوية والكويكبات الواقعة بينهما وتفكك بعض صخورها ،العمر الجيولوجي لتفكك صخور نيزك النخلة متقارب مع توقيت الاقتران الأخير بين المريخ والمشتري والأرض منذ ما يزيد عن مائة عام ببضع سنوات. ولو أضفنا لتلك المعلومة حقيقة أخرى مردها أننا نقوم بتحديد بصمة الصخور المريخية عن طريق تواجد كثيف للهيدروجين الثقيل ذي البروتون والنيترون الواحد، ووفق معايير ناسا لذلك النيزك فهي موادّ شحيحة التواجد في هذا النيزك على نحوٍ يُعدّ اعتباره مريخيًا هو نوع من العبث.

ظلّ (فريد) واجمًا ولاح في عينيه نظرة غائبة عن الوجود وتحركت شفتاه دون أن يُسمع له صوتٌ، بينما ترتع في عقله أفكار بدأت تتراص في أفق مخيلته، لقد اعتقدوا أن النيزك سقط من المريخ، رجال الخديوي استطاعو الحصول على جزء منه ونقله سرًا لأنفاق قصر (السلاملیك) ومنه إلى (فيلا) فيضي مخفي مع جثمانه داخل التابوت، تمّ إخفاؤه هناك إلى حين نَقل للمتحف الجيولوجي متخفٍ تحت اسم جديد كما أمر الخديوي في رسالته. «ثم ينتقل نحو 710 ياردة شرقًا، مستتر بمسمى جديد» وظلّ هنا حتى هذه اللحظة! بينما أعوان اللورد حصلوا على النصيب الأكبر من النيزك وأخفوه إلى أن تطورت معدات الفحص وعثروا به على مستحثات تحمل جين (باكس12)، لكن إطلاق اسم الهيثم على ذلك الكويكب يبدو كما لو جاء تهكمًا وسخرية.. العالم

العربي الذي اكتشف تركيبات العين المعقدة.. العقبة أمام نظرية التطور .

دكتور فريد، هل لا زلت معي؟!

وجد (فريد) نفسه ما زال يحدق للنيزك، سحب شهيقًا يملأ به رئتين نسيهما فارغتين قبل أن يتنهد قائلًا كمن يرد إليها إثارة فضوله:

- دكتورة سأنهي المكالمة الآن.

***

كان الصندوق زجاجيًا من جميع الأوجه باستثناء الجهة السفلية حيث يرتكز حامل النيزك على صندوق خشبي له درفة خشبية مغلقة بقفل معدني تقليدي، ويرتكز الصندوق على أرجل لا تتعدى طولها النصف متر.

- اترك الحجر أرضًا وارفع يديك عاليًا أيها التعس.

مرت أفكار خاطفة على عقل (فريد) المضطرب، هل يقاومه! هل يشرح له!، يحتاج شخصًا ذا ثقة يدعم منطقه وبقليل من الحظ ربما يفلت بالحجر.

- سيادة النقيب، أنا لست بسارق، هذا الحجر هو مفتاح لحل تلك المشكلة المحتقنة هناك حول مجلس الشعب

بدا أن كلماته زادت الطينة بلة عندما توتر الضابط أكثر وتحفز، زاد من إحكام قبضته حول سلاحه وقال في تردد:

- ما علاقة الحجر بما يدور في الخارج؟!

وضع (فريد) الحجر أرضًا ورفع يده صوب جيب سترته مطمئنًا:

- دعني أجري اتصالًا.

حذره الضابط لكن (فريد) أخرج الهاتف بالسبابة والإبهام، ثم بدأ في

طلب رقم، مرت لحظات وأجابه الطرف الآخر.

- فوزي أين أنت!؟

- فريد، أنا قرب مجلس النواب، ابني محاصر بالداخل والوضع هنا مشتعل.

- فوزي استمع لي، أنا في المتحف الجيولوجي.. نعم المتحف الجيولوجي، توصلت لذلك النيزك الذي كنت أبحث عنه، أرجوك حاول إقناع الضابط الحارس هنا بتركي آخذه وأتعهد بإعادته.

مد (فريد) الهاتف للضابط فالتقطه في ترقب وألقى نظره على اسم المتحدث فوق الشاشة ثم أجاب وراح يستمع بضع لحظات بدا أنه في حالة تعجب ودهشة، إلى أن أعاد الهاتف إلى (فريد) واحتفظ بإشهار سلاحه قائلًا:

- لقد خدمت مع العميد (فوزي) وأعرفه شخصيًا، وما قاله رغم غرابته إلا أنني سأحاول تصديقه، سأتركك تخرج بالحجر طالمًا على عهدته، لكن.. لا جدوى من أخذ الصخرة التي في يدك.

شرع فريد يتساءل عما يقصده قبل أن يعاجله الضابط متردّدا:

- إنه مزيف، لقد تم سرقة النيزك الأصلي منذ بضعة أشهر، وتم التكتم على الأمر ، لكن أثناء عملية السطو ومطاردة السارق تحطم جزء وتم الاحتفاظ به بإهمال في أحد الأدارج ووضعوا حجرًا شبيهًا به في العرض.

أشار الضابط صوب أحد الأدراج الخشبية أسفل صندوق للصخور المتنوعة، سحبه واستخرج منه قطعة صخرية لا تختلف كثيرًا من حيث الشكل للنيزك المزيف، صغيرة تملأ كف اليد، غير أن (فريد) وجدها ثقيلة على نحو يثير التعجب ، أومأ الضابط برأسه:

- إنها أصلية، خذها فلا أحد يعبأ بها، سأحاول أنا إصلاح صندوق

النيزك المزيف، وسأتكفل بكاميرات المراقبة الخارجية.

تبسم (فريد) ثم أومأ برأسه في امتنان، خرج عبر القاعة وشرع يضع الحجر في جيبه لولا أنه توقف يدقق النظر في شيء استرعى انتباهه، داعب بطرف إصبعه من الجانب المتفتت ما يشبه طرف خيط أسود قصير يبرز من الصخرة، راحت خطواته تتباطأ بينما عقله يموج بالأفكار..

- ليلى، لقد وجدت الجين المصدر، لم أكن أتعلق بأمل زائف، فقط إنها إرادة الله أن لا نجده في الوقت المناسب، سوف أتوجه به للدكتور (صبحي).

أنهى الرسالة ثم اتصل بـ (صبحي)، وما إن أتاه صوته حتى أخبره بما وجد، ثم راح يملي عليه الوصف الدقيق للدودة ثم عقب:

- الآن معنا مصدر الجين المصدر، كل ما تحتاجه أن أحضرها لك ونجري لها تحليلَ حمض نووي.

- دكتور فريد أعِذ وصف تلك الحفرية بدقة أكبر من فضلك.

جلس داخل سيارته و أضاء الإنارة الداخلية وراح يصفها من جديد:

- صفان من آلاف الأرجل المشعرة، رأسها نصف دائري، على ظهرها وجوانبها قشريات تبدو صلبة وحولها...

بتر حديث وخفض الهاتف والتقط لها صورة مقربة ثم أرسلها إلى (صبحي) معقبًا:

- لقد أرسلت لك صورتها!؟

***

الفصل العشرون

«لقد تم تصدير التحالف ومسؤوليته عن كل الأحداث، الإعلان عن الاكتشاف، عمليات الضغط والتحريض داخل الدول، ثم الآن اتصالات مسربة تدين التحالف، انقطاع الاتصال برجاله داخل المجلس، اختفاء (القدير)».

قطع أفكار (شرودر) رنين هاتفه برسالة واردة من (فيكتور)، ما إن قرأ محتواها حتى انسحبت الدماء من وجهه، حينها تصاعدت طَرقات متوترة على باب غرفة مكتبه أعقبها دخول دون إذنٍ لمعاون شاحب الوجه تتطاير من فمه كلمات لاهثة تبرر ذلك التجاوز:

- سيد (شرودر)، يتم البث من قناتنا الرسمية بفظائع تديننا حول ترتيبات عملائنا للتصعيد في جميع دول العالم.

نحو غرفة تقني الحاسوب هرول (شرودر) دون وعيٍ واقتحم الغرفة وأبصر التقني جالسًا ممتقع الوجه غارقًا في محاولات يائسة لوقف البث، نظرة واحدة من (شرودر) عرف خلالها بطبيعة البث وغرضة، صاح بهستيرية:

- أوقِفوا البث أيها الحمقى، اقطعوا الطاقة عن الحواسيب.

أجابه التقني في خوف:

- لقد تم اختراق شبكتنا، نحن لا نتحكم في شيء هنا.

***

داخل مقر هيئة الفضاء المصرية (نارس)، تعلقت أعين (فاتن) بشاشة حاسوب كريسبر تعرض المئات من الأحرف الجينية الأربعة. تنفست بعمق وسيطرت على انفعالها، دارت أعينها على رموز تتخللها جينات دخيلة، لن يجليها سوف استبعاد روابط الجين الأصل.

انتفضت من شرودها على طَرقاتٍ هادئة على بابالمعمل، التفتت

بمقعدها تواجه مَن قام بدخول الغرفة فوجدته دكتور (عبد القادر) يخطو نحوها بابتسامة متسائلة:

- أخبروني أنك عدت للوكالة ومنهمكة في بحث أمرٍ ما بغرفة الحواسيب فعدت على الفور لعلّي أستطيع معاونتك في شيء.

تبسمت (فاتن) بإرهاق مازجها الدهشة:

- شكرًا لك دكتور عبد القادر، أنا فقط أقوم ببحث أمرٍ ما واحتجت لحاسوب كريسبر.

تبسم (عبد القادر) في ود قائلًا:

- بنيتي أنتِ ترهقين نفسكِ كثيرًا.

تبسمت (فاتن) بدورها، شردت لحظة ثم قالت:

- دكتورعبد القادر، أنت كنت تعرف والدي - رحمه الله- كان ليدافع عن الحق حتى لو على نفسه.

ندت ابتسامة هادئة على قسماته تشي بفهمه لما وراء كلماتها فأجاب:

- ما زال البيان يؤرق صفوك.

أشارت (فاتن) لشاشة تأقيت البيان بتردُد وعقبت:

- لقد أوقفت جدولة البيان، يوجد مستجدات هزت يقيني وحولته.

ضاقت عينا (عبد القادر) يستجدي المزيد، ترك لها فترة صمت تلملم أشلاء أفكار ثائرة حتى عادت إليه:

- جاءني من ساعات شخص يدعى فريد، يخبرني أن البيان العالمي الصادر منذ قليل والذي على وَشك أن أدعمه، هو خدعة عالمية غرضُها ضم أكبر قدر من الدول للتحالف.

بدا الانزعاج على وجه (عبد القادر)، مطّ شفتيه في حيرة أشار لشاشة

حاسوب كريسيبر كاس وقال:

- عليك التأكد إذًا بنفسك!

- نعم، هذا ما أقوم به، ينقصني شيئًا أنتظره.

لم تكد تنهي عبارتها حتى أتاها اتصال من الهاتف الداخلي للقسم من (شاهين) سكرتير المدير:

- دكتورة (فاتن)، هناك رجل يدعى (فريد) يقول إنكِ في انتظاره، هل يسمح له الأمن بالدخول؟

- نعم من فضلك سيد (شاهين).

لم يكن من المعتاد أن ينزل (شاهين)بنفسه للتأكد من هوية شخص لكن عندما أخبره الأمن بالتشكك، نزل واصطحبه بنفسه وعبر باحة مبنى الوكالة راح يختلس نظرات الارتياب لهيئة (فريد) المشعثة، يتنفس بصعوبة ويضغط صدره بكف يده في ألم حيث يلطخ صدره بقعة داكنة لا تخطؤها الأعين، مما دفع (شاهين) لسؤاله:

- هل أنت بخير سيد فريد!؟

بصعوبة وصوت واهن أجابه (فريد):

- نعم بخير.

توجّه صوب (فاتن) فنهضت تتلقاه بأعين ملتاعة تحدق في بقعة دماء تلطخ صدر قميصه:

- دكتور فريد ماذا حل بك؟!.

هز (فريد) رأسه نافيًا، عبث بجيب سترته:

- أنا بخير بالنسبة لرجل ميت.

مدّ إليها يده بالأوراق، ولم يعقب، شرع يتنفس بعمق فداهمته نوبة

سعال، أجلسته (فاتن) لأقرب مقعد، ضغط صدره براحته تشتيتًا لألم راح ينغز ضلوعه، نظر إليه (عبدالقادر)في توجس، لم يشأ (فريد) الحديث عن الأمر إلا عندما وجد التساؤل يملأ عيني (فاتن) بدورها:

- حسنًا، زوجتي أطلقت على الرصاص.

أخرج علبة سجائر معدنية منبعجة وأضاف:

- لكن تصدى لها القدر!

جاوبه لحظة صمت من أعين تحاول هضم الكلمات، ثم قالت (فاتن):

- أنت الطبيب هنا طالما تعرف أنك بخير، فدعنا نعمل على الرموز.

وافقه بإيماءة، أشار للأوراق:

- تلك هي روابط الجين المصدر، دودة (نيومن) بالنيزك، الأمور في يدك الآن.

أنهت (فاتن) تصوير الصفحات على سطح الماسح الضوئي كما فعلت بسابقتها وقامت بتحرير الرموز من صيغة الصورة لحروف حية، نقلتها على (كارت الذاكرة) الخاص بها لحاسوب كريسبر ومنحته أمرًا بحذف التسلسل الجيني المتشابه، تركته يعمل، ثم أجابت (عبد القادر):

- أعتقد أن أحدهم قام بتشفير بيانات وسائطية باستعمال القواعد النيتروجينية للحمض النووي، إنها تقنية تخزين البيانات بيلوجيا

لم يستطع (عبد القادر) هذه المرة من إخفاء انبهاره:

- عبقرية مثل أبيك، لم يكن ليتوصل أحدٌ لذلك التشفير غيرك.

أطبقت (فاتن) شفتيها فيتردد:

- ما زالت مجرد نظرية.

الفصل الواحد والعشرون

بقلب صار هواء خاطر (فوزي) بالتوغل صوب بوابة المجلس، قفز جانبًا يتفادى بصعوبة لسان لهب اندلع إثر تحطم زجاجة مولوتوف، تخطى اللهب والتفت يلقي نظرة على مشهد مأسوي، يدمي القلب، نيران، دماء، صيحات، ضحايا، الإخوة، الأصدقاء، الجيران يتناحرون.

حافلات فارغة متوقفة غير بعيدٍ تنتظر الإجلاء المزيف للنواب، أبصر وسط الأجواء الطاحنة ضابط تأمين المجلس يتحدث عبر اللاسلكي في انزعاج شديد ويركض صوب بوابة المجلس، هرول (فوزي) نحوه، حث الخطى جواره انتظره حتى أنهى محادثته، ابتلع لعابه وبصوت مرتفع متهدج :

- لقد تم تفعيل المتفجرات من جديد، لن يخرج أحدٌ، صدقني.

رنا الضابط ببصره صوب (فوزي) وكأنه يراه للمرة الأولى، صمت لحظات ثم أجاب:

القيادة تواصلت مع المختطفين سيتم إجلاء النواب بعد قليل، لدينا أوامر بتأمين خروجهم ونقلهم بالحافلات.

هز (فوزي) رأسه بقوة نافيًا:

- لا أحدَ من رجال التحالف الدولي ممن تواصلوا معالقيادة على قيد الحياة، يوجد خائن بينهم قام بتصفيتهم، طرف ثالث ينشد تفجير المجلس على أي حال.

أكمل (فوزي) في محاولة إقناعه:

- أقسم لك، لدي أعين بالداخل.

مرت لحظة حيرة من الضابط، التفت ورنا ببصره صوب بوابة المجلس الداخلية تموج في رأسه الاحتمالات، ازدرد لعابه ثم نفى

برأسه:

- أنت تعلم معنى الأوامر العليا.

اشتعلت عينا (فوزي) بغِلّ وسخط، دفعه في صدره وصاح به:

- أنت جبان.

نكص على عقبيه عائذًا يسب ويلعن، حين تصاعد اهتزازالهاتف في جيبه، سحبه بلهفة، فوجده (فريد) يحدثه في عجالة:

- فوزي.. تلك الحوادث العكسية الغريبة التي حدثتك عنها، إحدى الطائرات في مطار القاهرة على وشك التعرض لكارثة مماثلة خلال أقل من ساعة.

تسمر (فوزي) يستمع لشرح (فريد) المتعجل ثم أغلق الهاتف وأعاد الاتصال بالنقيب (مصطفي) وشرح له الأمر تفصيلًا ثم دسّ الهاتف في جيبه وراح يدور بعينيه في الوضع المشتعل من حوله، أنه وحدة وسط كل هذا الزخم والتسارع المتلاحق.

***

بعقل يضج بالصخب أنهى (فريد) اتصاله بـ (فوزي) ثم تطلع عبر نافذة السيارة صوب مقهى ساهر مضاء الواجهة، تنبهت له حواسه مع قراءة الاسم (فيرسا كافيه)، حين أشارت (فاتن) صوب نهاية الشارع تستجدي وعيه.كانت أعين (فريد) بالفعل مركزة صوب ضجيج أصوات آلات تنبيه العديد من السيارات المصطفة على جانبي الطريق، تومض وتضج بلا توقف على نحو هستيري دفع العديد من سكان العقارت المحيطة للنزول والوقوف في حيرة جوار سياراتهم، بينما العديد من الكلاب الضالة تنبح راكضة تفر من المجهول، تصاعد الوجوم في قلب (فاتن)، لقد رتبوا ميعاد إدلائها للبيان بالتزامن مع تخليق المادة المعتمة، أو هكذا تصوروا، همست مشفقة:

- تخليق مادة سلبية هي مجرد نظرية ويبدو أنها ستفشل.. الطاقة تثير جنون كل شيء هنا.

لم يجبها (فريد)، اعتلى وجهه الشحوب وانقبضت معدته كمن تلقّي لكمة من الداخل، بفم فاغر همس:

- ألسنا في حي السفارات!؟

لم ينتظر إجابة، أجرى اتصالًا بوالدة (ليلى) من جديد وسألها:

- معذرة، لقد أخبرتني (ليلى) أن صديقه لها هي من دلتها على طبيب (ريم)، هل تعرفين هذه الصديقة!؟

مرت لحظة صمت ثم أجابت والدة ليلى:

- نعم، إنها مدربة (ريم) للموسيقى.. (جوليا).

مسح (فريد) وجهه براحته يعتصر قلبه ألم مازجه غيظ، (جوليا) موفدة الشركة الراعية لتدريب ابنته لتكون جوارها ترصد كل لحن جديد تقوم بتأليفه، لقد رشحت طبيبًا تابعًا لهم ليمكنه دراسة ابنته طبيًا، بقهر أغلق المكالمة، أشار (لفاتن) بالتوقف بالقرب من (فيلا) صغيرة من طابقين تغرق في الظلام والصمت.

ترجلا من السيارة، حث (فريد) الخُطى صوب (فيلا) يعرفها جيدًا، تتصدر واجهتها لافتة يتوسطها اسم طبيب استشاري في مجال التخاطب والصحة النفسية للأطفال، يأتي إليه أسبوعيًا مع ابنته الراحلة لتلقي علاجها، شعر بجرح غائر ينخر كرامته، كان يأتي بها إليهم، لولا تلك الدلالات لظل أحمق غافلًا، غبيًا بامتياز، دلالات حمالة لأربعة أوجه، الوجه الأخير منها تمثل إحداثيات موقع معمل أخوية (كتشينر) في مصر، أي شيفرة عبقرية تحمل كل تلك الأوجه معًا!؟

سارا متجاورين في خطى واسعة، قالت (فاتن) همسًا:

- العالم يتحدث الآن عن تحالف الإلحاد الإرهابي، ويصفقون تهليلًا

لأخوية كتشينر التي كشفته.. غير أن كليهما مجرد مجرمين.

مطّ (فريد) شفتيه بينما عيناه ترصدان تزايُد أعدادالسكان المتوترين في الشارع، وسط هواء يحمل كهربية إستاتيكية تقشعر لها الأبدان وينتصب لها شعر الجسد، حث الخطى صوب مدخل (الفيلا) المعتم، تحقق من قفل مغلق، دارت (فاتن) ببصرها بحثًا عن مجهول:

- كيف يدخلون ويخرجون في أوقات غلق العيادة..

شخص (فريد) ببصره عبر عدة بنايات:

- ذلك الملهى الليلي (فيرسا).. لو أن (للفيلا) مدخلًا آخر فلن يكون إلا من هناك.

تسلقت أمارات الذهول وجه (فاتن) وهي تقول بصوت خفيض:

- اسم الشركة الطبية الراعية للاكتشاف!

عادا أدراجهما حتى مدخل المقهي على بُعد حوالي مائة متر من (الفيلا)، هبطا سلم لأسفل حتى وصلا لبوابة تعتليها أضواء يتوسطها الاسم، طرق (فريد) بابًا خشبيًا من درفتين عدة مرات حتى برز له رجل ضخم غليظ بدا عليه أثر النعاس:

- المكان مغلق سوف يفتح السا...

لم يتم عبارته عندما دفع (فريد) درفة الباب الخشبية في وجهه، تراجع مترنحًا بأنف ينزف، دخل (فريد) عنوة وهشم زجاجة خمور فارغة فوق رأسه، غير أن الرجل استعاد توازنه بوجه دامٍ وشرع ينقض مجددًا على (فريد) حين دفنت (فاتن) صاعقها الكهربي في عنقه، راح جسده يرتج قبل أن يتكوم منتفضًا، رمق (فريد) الصاعق بامتنان و(فاتن) تعيده لحقيبتها (الهيرشل)، همست (فاتن) من خلفه:

- عفوًا..

دون أن يلتفت إليها أجابها (فريد) بثقة:

- كنت متمكنًا منه.

مطت (فاتن) شفتيها وراح كلاهما تدور أعينهما في أرجاء مقهى خاوٍ وشبه معتم، تخيل (فريد) موضع (الفيلا)، وولى وجهه شطرها حيث وجد نفسه أمام أرفف خشبية تتراص فوقها زجاجات خمور، جذبها (فريد)، شعر بها تتخلخل عن موضعها، تقدمت (فاتن) وراحت تفتش داخل الأرفف خلف الزجاجات حتى وجدت ذراعًا صغيرة جذبتها فانفصلت الأرفف عن الحائط ببضعة سنتيمترات، دفعها (فريد) فانزاحت جانبًا كاشفة عن ممرٍ صغيرٍ مضاء، التفت (فريد) إليها في دهشة وتساءل:

- كيف علمتِ بأمر المقبض!؟

- ليس قبل أن تخبرني كيف علمت بأمر السرداب من داخل المقهى.

خطا (فريد) داخل الممر بحذر وأجاب:

- لديّ سابق خبرة مع السراديب أسفل البنايات، بالإضافة إلى اسم المقهى.. الآن دورك!

- تجربة سابقة مع الأرفف التي تمثل أبوابًا، دائمًا هناك مقبض خلف ما يتراص فوقة تلك الأرفف.

شرع (فريد) في التعقيب غير أنه كان يعرف مقصدها،فعاد يستبقها إلى نهاية الممر حيث وجدا أنفسهما أمام باب خشبي انفتح بسلاسة مَن لم يتوقع متطفلين، وعبر فرجة صغيرة رنا (فريد) ببصره حجرة متسعة خاوية ذات أضواء شحيحة تشبه مخابئ الألمان في الحرب العالمية، لا منفذ يتخللها سوى ممرٌ ينخفض تدريجيًا وينتهي بغرفة موصدة يصدر عنها أزيز متصل ينخر عقولهم مع كهربية إستاتيكية تعبث بأجسادهم تبث خوفًا مبهمًا للقلوب كلما توغلا داخل الممر:

- لا أعلم ما الذي يكمن بنهاية ذلك الممر، لكن المؤكد أنه يؤدي إلى حيث لا يمكننا التراجع.

أومأت (فاتن) برأس يمزقه الصفير الحاد:

- شكرًا لعباراتك المطمئنة.

نهاية الممر الرئيسي حيث أكبر درجات الانحدار كانت بوابة معدنية ذات مزلاج دائري يشبه مزلاج الغواصات، وعن اليمين ممر آخر قصير يكمن في آخره بوابة مماثلة، لحظة تردد غمرت (فريد)، حسمتها (فاتن) وهي تشير صوب البوابة الثانية:

- سنتفرق توفيرًا للوقت، إذا ما تصادف الانبعاث الرابع مع هبوط طائرة ستكون النتائج كارثية.

وافقها (فريد) بإيماءة مضطرة:

- لا تتورطي فيما تعجزين عن تخطيه.

تبسمت (فاتن):

- أشعر وكأن حياتي باتت مشاهد متكررة.

***

الفصل الثاني والعشرون

قطع (فريد) الممر الصغير في خطواط واسعة، حتى وصل للبوابة، وجدها مفتوحة يكمن خلفها ممر متسع نظيف جيد التهوية يكسوه الرخام الأبيض، وعند نهايته باب معدني ضخم، تقدم نحوه بخطى سريعة، وعبر فرجة صغيرة أبصر خلفه قاعة ضخمة بمساحة (الفيلا)، تم تجهيزها طبيًا على نحو متطور بنفقات باهظة، ضاق صدر (فريد) كمدًا كل هذا أسفل عيادة بريئة، هل كانوا يأتو بابنته هنا كي يجروا عليها تجارب وهو يجلس بالأعلى يدخن السجائر ويقرأ المجلات!.

استشعر حركة خلفه، لم يكد يلتفت حتى اصطدم بصره بـ (عبد القادر) وجواره مساعدان يصوبان نحوه أسلحة نارية، بينما ابتسامة (عبدالقادر) الساخرة تتسع وانفرجت شفتاه:

- طبيب الأموات، أنت عنيد، كونك حيًا ووصلت إلى هنا هو أمر يدعو للحيرة، هل روح الانتقام يمكن حقًا أن تدفع بشخص إلى كل هذا العناد والإصرار.

- وأكثر أيها الخنزير.

ضحك (عبد القادر) على نحو مستفزٍ وعقب:

- صدقني أنت لا تفهم شيئًا، لكن يكفي أن تعلم أننا على أعقاب كشف علمي للمادة المعتمة في الكون، المادة التي تبث القدرة وتدفع الخلايا للحياة وتمسك المجرات بالكامل.. الروح أيها الأحمق، هل ستضحي بكل هذا في سبيل الحصول على انتقامك!؟

- أنت مَن لا تفقه شيئًا، تلك الكتل السالبة التي تطلقها أجهزتك لم تخلق شيئًا.. فقط ستقوم بخلخلة التوازن في المنطقة وهدم المباني فوق رؤوس أصحابها، تجربتك فاشلة، ونواياك خبيثة، وأخويتك القديمة ستغرق في مستنقع الفضيحة كما غرق مؤسسها يومًا في قاع المحيط.

مَط (عبد القادر) شفتيهِ في فراغ صبر أشار لمساعديه، انقضا على (فريد) وقبل أن يتحرك تلقى ضربة على رأسه أظلمت لها الدنيا أمام عينه وراح عقله يسبح في الفراغ.

***

بسرعة ورعونة قاد النقيب (مصطفى) سيارته صوب مدخل المطار حيث تتراص سيارات في انتظار دفع رسوم الدخول، وفقًا لكلمات العميد (فوزي) فأمامه دقائق حتى ينتشر حدث يضرب أقرب الطائرات هبوطًا ويسقطها فوق المهبط بركابها، لم يقف على جميع مُلابَسات ذلك

الخطر لكنه يثق في مثله الأعلى في جهاز الشرطة، لم يتوقف، قفز بسيارته فوق الرصيف وتجاوز البوابة في بادرة أثارت تحفظ الأمن ودفعتهم للإبلاغ عن سيارة تجاوزت حاجز الأمن، نزل من فوق الرصيف بارتجاجات عنيفة ثم رفع سرعة السيارة من جديد بحث ببصره في الأفق (صالة 2 وصول)، اختار أقصر الطرق إليها، ترجل بينما صوت أبواق سيارة الشرطة تتعالى خلفه، أبرز هويته لضابط الأمن فسمح له بالدخول في توجس يراقبه وهو يركض صوب مدخل المهبط، أبرز هويته لأمن المدخل، غير أنهم أوقفوه:

- معذرًا غير مسموحٍ لأحدٍ بالدخول

لم يتجادل كثيرًا وهو يعلم عندما يتلقى فرد أمن تعليمات من رتبة أعلى، تركه وهرول صوب ضابط أعلى رتبة يقف غير بعيد، وضع هويته أمام وجهه وبكلمات لاهثة:

- سيادة اللواء، المهبط سيتعرض لعمل إرهابي، أرجوك يجب إيقاف هبوط أقرب طائرة خلال اللحظات القادمة وإلا ستتحطم فوق أرض المهبط .

ظل الضابط واجمًا ينقل بصره بين وجه (مصطفى) وهويته الشرطية، أفاق من هول ما يسمع:

- لكن لم تصلنا أي أوامر بهذا الشأن، وإيقاف هبوط طائرة هو أمر كبير لا يتم بسهولة

- أرواح عديدة الآن معلقة في رقبتك.. أرجوك.

جاءت الكلمة كبيرة على روح الضابط، هالَهُ الأمر واندفعت الدماء لرأسه، أشار لأحد الضباط:

- متى ستهبط أول طائرة؟

راجع الضابط المسؤول جدول الطيران ثم عاد إليه:

- طائرة بوينج على متنها 145 راكبًا، لقد دخلت منذ لحظات المجال الجوي للمطار .

امتقع وجه النقيب (مصطفى)، ازدرد لعابه ونظر بتوسل للضابط، مط الضابط شفتيه في حيرة:

- المكان مؤمن جيدًا، ما نوع العمل الإرهابى الذي سيقع على الطائرة

لم يعلم (مصطفى) تحديدًا ما عليه قوله لكنه ارتجل:

- بمجرد أن تقترب من الأرض سوف تتعطل أجهزتها بناءً على تكنولوجيا لا سلكية، ستسقط متحطمة على أرض المطار.

مسح الضابط شعر رأسه بكلتا راحتيه في حيرة تنازعه روحه، توجه صوب الاتصال الداخلي، وتحدث:

- اللواء (هاشم) معك، البوينج التي ستهبط الآن، هناك شكوك حول سلامة الهبوط، هل يمكنك إعادة توجيهها للمناورة حتى نتأكد من سلامة المهبط؟

صمت اللواء لحظات يستمع للطرف الآخر حيث برج المراقبة أصابه توترًا بدا من تصاعد الأصوات عبر جهاز الاتصال، وجمَ الضابط وراح لونه، نظر إلى (مصطفى) لحظة ثم زاغت عيناه، أجاب برج المراقبة مقتضبًا:

- حسنًا

أغلق جهاز الاتصال ثم هرول صوب الواجهة الزجاجية التي تطل على أرض المهبط ورنا ببصره في السماء حيث أضواء طائرة البوينج تومض مقتربة، أشار لمعاونيه قائلًا بلهجة منفعلة:

- حرك المطافي وسيارات الإسعاف صوب المهبط، لقد أبلغ الربان عن فقدان السيطرة على الطائرة.

من النظرة الأولى علمت (فاتن) أنها أمام غرفة حاسوبمتصل بجهاز

مكثف (بوز- اينشتاين)، الجهاز الذي يتم الاعتماد عليه في تبريد المادة حتى الصفر المطلق، ومنها خلق كتل سالبة ، اختلست نظرة عبر فرجة الباب لإحدى الشاشات تتراص فوقها المعادلات وتتوافق بدا وكأن المكثف يتلقى بيانات من مصدر ما، دفعت الباب واقتحمت الغرفة فبدا رجلين بملامح أجنبية ومعاطف بيضاء التفتا إليها بدهشة يمازجها الغضب، فتراجع أحدهم عن طاولة تراصت فوقها مكثفات وعدسات أمام قاذف ليزري متصل بحِزم أسلاك غزيرة تحيطها ملفات مجلفنة، وحين تقدم نحوها كانت هرولته غريبة، تحركات جسده لم تكن متوافقة، بجسد أقشعر من برودة الغرفة واستاتيكية الهواء شرعت (فاتن) في التراجع عن متناول الرجل غير أن عينيها اتسعت في ذهول عندما وجدت خطواتها للخلف أدت لاندفاعها للأمام، خفق قلبها بقوة وشعرت بداور، الآن فهمت سر تحركات الرجلين الجسدية الغير متوافقة، أنهم يسيروا للخلف حتى ينقضا عليها، إنها تقف وسط حقل من الطاقة السالبة.

اعتصرت عقلها في محاولة للتأقلم، دفعت عضلاتهاللأمام فتراجع جسدها عكسيًا، مناورتها أبعدتها عن قبضة الرجل، الأمر شاق ذهنيًا لكن يجب عليها التأقلم سريعًا، الأزيز يتصاعد عبرَ من المكثف بما ينذر بانطلاق الدفقة الرابعة، الطريقة الأضمن لإيقاف مكثف هي بلا شك قطع مصدر الطاقة عنه.

بدا أن الرجلين قد حاصراها بينما أعينها تسري فوق كابلات الطاقة المؤدية للمكثف، ضخمة وسميكة ومحمية بطبقة غليظة من العازل، امتدت قبضة أحد الرجلين إليها، غريزتها دفعتها لحماية وجهها برفع يدها، فكان التحرك لأسفل فتلقت اللطمة على وجهها، فارتدت لها إلى الأمام، صاحت في حنق:

- اللعنة على هذه الهستيرية.

شرع الرجل يتلقاها بلطمة أخرى غير أنها وعيت الدرس، طوحت

ذراعها لأسفل وللخلف فتلقت اللطمة على كف يدها، وعندما اندفع للأمام أثر اللطمة دفعت ساقها لأسفل فارتفعت ركبتها تغوص بين ساقي الطبيب ترنح وخرج عن الوعي لحظات استغلتها للركض للخلف فاندفعت صوب الكابلات وراحت تتفحصها، حاولت سحبها من مصدر الطاقة دون جدوى، تركتها مضطرة عندما انقض عليها الطبيب الثاني، أبصرت سلاخا ناريًا صغيرًا فوق أحد المقاعد، تحركت عكس اتجاهه لحظة واحدة وكان بين يدها تصوبه للطبيب الثاني، لم تطلق سلاح ناري من قبل لكن الأهداف قريبة والضغط على زر صغير مهارة تمتلكها، توقف الطبيب وراح يتراجع في بطء، لقد سادت الموقف وانتهى الصراع لكن شيئًا ما في أعين الطبيب الشامتتين دفعها لإعادة التفكير في موقفها، امتقع وجهها وقد فطنت سر تراجعه بعيدًا عنها، ضغطة واحدة على زناد ذلك السلاح وترتد الرصاصة للخلف لينفجر بأكمله في وجهها.

انقضا الرجلين من جديد وتلقت لطمة من أحدهم ثم ثانية وثالثة دارت لها رأسها وغامت الدنيا أمام عينيها.

تذكر أنك حملت رواية الرمز السابع حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

***

الفصل الثالث والعشرون

كانت مائتي مترًا فقط تفصله عن بوابة مدرسة ابنته حيث يراها تنتظره وحيدة بعد أن تأخر على ميعاد انصرافها، بسبب حادث سير سخيف، لانت ملامحه لرؤيتها وتبسم، حين انقض عليها رجل وحملها عنوة وزج بها داخل سيارة تنتظره، والتفت ينظر إليها نظرة واحدة شامتة، ثم انطلقوا بابنته في اللحظة التي وصلت فيها (فريد) بقلب

خافق وعقل لم يهضم بعد حقيقة كون ابنته تم اختطافها أمامه، ضغط دواسة الوقود فقفزت سيارته تلاحق المختطفين، ولما قصرت المسافة بينهما وأشرف على اللحاق بهم، تباطأت سيارة المختطفين وأجبرته خلفها على التباطؤ، انفتح بابها وقاموا بإلقاء ابنته خارجها ولاذوا بالفرار، ترجل في لوعة، هرول إليها، كانت منكبة على وجهها دون حراك، وبلهفة الدنيا قَلبها على ظهرها غير أنه انتفض عندما تطلع لملامحها التي تبدلت وصارت مسخًا تصرخ بلا انقطاع، أجفل في اللحظة التي راح فيها صوت (ليلى) يتصاعد من مكان ما حوله، يناديه بلا توقف، يسحبه لأعلى، بينما صراخ ابنته المتألم يتصاعد مع صوت (ليلى)، فتح عينيه دفعة واحدة وشهق يملأ رئتيه بالهواء بينما قلبه يدوي بتلاحق سريع، راحت غشاوه تنسحب من أمام مقلتيه أبصر (ليلى) مقيدة أمامه فوق مقعد يعتلي وجهها إرهاق وكدر، شرع ينهض نحوها غير أنه اصطدم بكونه مقيدًا بدوره إلى مقعد مماثل، نظر لقيود معصميه، حاول نزعها بلا جدوى، رفع وجهه من جديد صوب وجه (ليلى) يعتليه الأسى والأسف، انفرجت شفتيها الجافتين وبصوت يشوبه الإعياء:

- كنت أود أن أخبرك أمرًا.

تبسم (فريد) مشفقًا:

- لقد وصلتني رسالتك.

لانت ملامحها الأسفة وتراخت متبسمة حين أكمل (فريد):

- أخبريني، ما الشيء اللعين الذي وعدوكِ به!؟

انفرجت شفتيها المتحجرتين وقبل أن تشرع في التوضيح جاء الجواب في إزاحة ستار ثقيل من أمامهما كشف خلفه عن مقعد طبي مقيدة فوقه (ريم) ابنتهما، متمددة في حالة ما بين الغفو واليقظة، أعينها نصف مغلقتين بالكاد ترى بهما، رغم ظهور (عبد القادر) بصحبة أحد الأطباء إلا أن (فريدًا) قد غابت التفاصيل من حوله، انغمس في

بؤرة ابنته يلتهمها بأعين متسعة، يحتويها بقلب متواثب يكاد يقفز من الضلوع، عطف رأسه صوب (ليلى) يستجدي تفسيرًا، غير أن الكلمات جاءت من (عبد القادر) في صورة تهكم:

- ألم أخبرك أنك لم تفهم بعد.

أشار (عبد القادر) للطبيب جواره فخطا صوب محول كهرباء متصل بمقعدي (ليلى) و(فريد)، ودون تمهيد أو إنذار ضخ شحنة كهربية انتفضا لها (فريد) و(ليلى)، ألم حارق تصاعد لعقليهما، وصرخات مكتومة انفلتت من حنجرتهما، تابعتهما أعين (ريم) بشفقة واهنة، بينما أصابعها تعبث بأزرار لها ترتيب أزرار البيانو تنبعث على أثرها رنات موسيقية تتقفاز لها فوق شاشة مجاورة مؤشر يتفاعل مع النغمات، بينما حاسوب يقوم بعزل هزات السلم الكروماتيكي وحساب أطوال النغمات مع مفاتيح الأوكتان ويقوم بتحويلها لرموزٍ وصيغ رياضية تنضم بجوار عشرات الأرقام والرموز الرياضية بدا واضحًا من علامة التصفح الجانبية أنها تملأ عدة صفحات مخفية عن واجهة الشاشة، بقلق رنا الطبيب ببصره صوب (عبد القادر) ينتظر أوامر غلق التيار الكهربي، غمغم يحدث شياطينه بغيظ:

- مازالت المعادلة لم تكتمل .

أشار للطبيب فأوقف شحنة الكهرباء خارت قوة (ليلى) وأغشى عليها، تراخى جسد (فريد)، لم يكد يتمالك نفسه حتى سب (عبد القادر) وراح يحاول تحرير معصمه بعنف، أشار (عبدالقادر) للطبيب فراح يحقن (ليلى) بالأدرينالين لإفاقتها بينما توجه هو إلى (فريد) ضغط وجنتيه في غلٍ قائلًا:

- هيا يا طبيب الأموات أصرخ كثيرًا فإن الخوف هو أكثر ما يحفز قدراتها ويدفع إبداعها للتدفق.

بغضب جارف طغى على الألم سأله (فريد):

- لقد كفنت ابنتي ودفنتها بيدي أيها الخنزير، أي مسخ هذا الذي صنعته!؟

تبسم (عبد القادر) ثم وجم إثر تباطؤ تدفق الرموز على الشاشة عقب تباطؤ الفتاة عن العزف، التفت (عبد القادر) لمنضدة معدنية تراص فوقها عدة زجاجات، وجوارها حافظة جلدية تحوي سوائل متباينة الألوان، سحب (عبدالقادر) مزيجًا من العقارات داخل محقن وبلا تردد غرسها في ذراع الفتاة وأفرغها، أشار للطبيب يعيد الكَرَةِ وهو يقول لـ (فريد):

- فكر يا طبيب الأموات، ماذا فعلنا بالقطاع الثاني من معادلتها الخاصة بعجب الذنب، ألم تفهم بعد مَن الذي قمنا باستنساخ سجل جيني كامل له ..ألا ترى أنها معادلة مكتملة لاستنساخ شخص من آخر، بل ودفعه للنمو سريعًا حتى سن معين.

أضاف (عبد القادر) وهو يشير لصندوق زجاجى ضخم يحتوى سائل تغذية ومتصل بحواسيب عديدة:

- لقد استعملنا القطاع الثاني وحصلنا على نسخة أخرى موهوبة.

نظرة ذهول مازجها شفقة ملتاعة ضيقت المساحة بين حاجبي (فريد)، وبصوت أقرب للبكاء:

- صنعتم نسخة من ابنـ..!؟

تيار كهربي كاسح سرى في جسده؛ فبتر عبارته وتقوص ظهره وراح يتألم بصوت مكتوم، بينما (ليلى) فقدت جأشها وراحت تصرخ في ألم، اتسعت حدقتا الفتاة وراحت تبيض تدريجيا كما لو أنها لم تعد ترى، وخيط من الزبد نبت من طرف شفتيها، راح يتسلل عبر شدقها يشير بمقدمات تلف بالمخ، بينما أصابعها راحت تعمل من جديد.

***

في الهواء الطلق وعلى أرض مهبط طائرات مطار القاهرةومضت أضواء عشرات سيارات الإطفاء والإسعاف على جانبى المهبط، بينما اللواء (هاشم) مسؤول أمن المهبط وإلى جواره النقيب (مصطفى) وبعض معاونيه يقفوا أمام الواجهة الزجاجية لبرج المراقبة على ارتفاع تسعون مترًا حيث فغرت الأفواه وشرعت الأعناق، صوب طائرة بوينج تقوم بأغرب ما قد تفعله طائرة على وشك الهبوط، كلما انخفضت قليلا ترتد لاعلى كما لو هناك قوة خفية تدفعها للتسارع عكس اتجاه قوتها، ومع كل ارتداد يضعف بدنها وينبعج حتى شارف على التفسخ، بانزعاج شديد التفت اللواء إلى (مصطفى):

- ما الذي يحدث للطائرة!؟

لم يكن (مصطفى) يملك الكثير من التفسيرات، فحاول تلخيص الأمر قد المستطاع:

- جاءتني معلومة أن هناك عملا تخريبيًا ممن أذاعوا بيان التطور منذ ساعات وهم نفسهم المتسببون في أزمة مجلس الشعب، يختبئون في مقر سري في حي (مدينة نصر).

- هل السلطات على علم بالأمر؟

- ليس بعد.

بهت اللواء من الأمر شرع يعترض لكن اقتراب هدير البوينج دفعه للالتفات إلى حيث البوينج ترتفع عكسيًا عائدة للوراء على نحو تصاعدت له أدخنة من أحد محركيها، دنا (مصطفى) من مراقب البرج:

- أخبره أن يخفض زخم المحركات للحد الأدنى.

تردد المراقب لحظات وغمغم:

- ستسقط الطائرة لو أوقف المحركات.

صاح به (مصطفى):

- زخم المحركات للأمام سيدفع الطائرة للتسارع للوراء.. صدقني ستتفكك الطائرة قبل أن تطأ أرض المهبط

حسم المراقب أمره عندما أكد عليه اللواء الأمر، نقل الأوامر لربان الطائرة، مرت لحظة صمت بينما مصطفى يجري اتصالًا ب(فوزي):

- سيادة العميد الوضع هنا حرج، لحظات والطائرة تسقط فوق أرض المطار، القوى العكسية مازالت تحيط بها.

قبل أن يتلقى جوابًا انتزع اللواء الهاتف منه في اقتضاب وتحدَّث إلى (فوزي):

- سيادة العميد، طوال حياتي المهنية لن يتمكن أحدٌ من تخريب ما أنا مسؤول عنه، أخبرني الآن من المسؤول عما يحدث في المهبط!؟

لحظات استمع فيها اللواء لكلمات (فوزي) اللاهثة بينما أعينه تتابع الطائرة بمنظار مقرب، حين تردد صوت الربان يصيح في انزعاج عبر جهاز الاتصال:

(الارتدادات قلت كثيرًا لكن ما زال هناك ضغطًا عكسيًا لن تتحمله الأجنحة.. ستتحطم في أي لحظة)

خفض (اللواء) الهاتف في مرارة وعيناه ترصدان الطائرة بعد أن فقدت اتزانها وصارت في مهب الريح تتقاذفها الأقدار.

***

الفصل الرابع والعشرون

(بقلبك وعقلك الدوافع، لذا ستفعلها)

دارت الفكرة الحماسية في فكر (هشام) داخل قاعة مجلس النواب، رفع هوائي حقيبة التحكم، حين صاح أحد معاونيه بالانتهاء من تفعيل العشرات من المتفجرات الموزعة على محيط القاعة، أشار لهما (هشام)

بالاقتراب بينما عيناه ترصد موضع رمز التفعيل، استرجع كلمات مساعد القدير وهو يمليه عليه ثم كتبه بحرص فأشرقت الشاشة بالعديد من المواضع النابضة باللون الأحمر تشي بجاهزية المتفجرات، ضغطها جميعًا ثم ضبط المؤقت على ثلاثين دقيقة، صعد الدرج المؤدي لمنصة رئيس المجلس واخفى حقيبة التحكم أسفلها ضبط ساعته وهبط السلم، حيا رجليه بتهكم وشهر سلاحه قائلًا:

- معذرةً إنها أوامر القدير، لا أحد يخرج سواي.

أطاح بهما بطلقات آثارت همهمات مكتومة من نواب مكممي الأفواه، ثم حث الخُطى صوب الغرفة المؤدية للنفق.

راقبه (جمال) وانتظر حتى اختفى عن نظره، مشتعل العقل والأعصاب تلاحقه (ريناد) في ذعر، هبط وسط القاعة، راح يدور حول نفسه، المشهد من أعلى مختلف تمامًا عن الوقوف فوق خشبة مسرح الأحداث، ارتفع الأدرينالين في دمه استعرت له خلاياه، أشار إلى (ريناد) هاتفًا:

- حاولي حل وثاقهم.

صعد الدرج، فتش عن جهاز التحكم، وجده رابض أسفل مقعد المنصة بحجم ذراع صغير داخل حقيبة معدنية حملها في حذر، هبط بها وسط القاعة ترصد عينيه خمسة وعشرون دقيقة، مس شاشة اللمس بإصبعه غير أنها لم تستجيب سوى بإظهار لوحة مفاتيح أحرف هجائية يعتليها فراغًا ينتظر رمز الإدخال. شرع في إدخال الأربعة أرقام قبل أن تتسمر يداه فوق لوحة الأحرف؛ غمغم ساخطًا:

- اللعنة رموز الإدخال أحرف وليست أرقام يا والدي.

حاول تنظيم أفكار تفور في عقله، تلك الحقيبة سترسل إشارة تفجير للمتفجرات من حوله خلال دقائق، تحطيمها سيعجل العملية وسترسل الإشارة على الفور، لا مجال لإيقاف إشارة التفجير إلا بكلمة سر لا

يملكها، ليس لديه سوى تحرير النواب، حين أتاه صوت (ريناد) البائس:

- جمال أنهم مصفدون بسلاسل معدنية.

هرول إليها ينزف خوفًا، أمسك بسلسلة تتدلى من أول نائب قابله، متصلة بمقعده المعدني المثبت أرضًا، رفع الغطاء الأسود عن رأسه أطل من خلفها أقسى آيات الرعب مجسدة في أعين النائب مكمم الفم بلاصق قوي تألم عندما نزعه (جمال)، انفجرت الكلمات من فم النائب:

- أخرجنا من هنا.

رفع جهاز التحكم أمام أعين النائب:

- ألم تسمعهم يتحدثون عن كلمة السر!؟

اصطدم بإيماءة نافية هشمت طموحه، حياته وحياة النواب تتأرجح على كف رجيم، فرك جبينه، دار حول نفس، وقع بصره على دقائق شاشات المتفجرات الموزعة، تتطابق مع تعداد شاشة حقيبة التحكم، لا يستطيع إجلاء أكثر من مائة نائب مصفدين بالسلاسل، القوات في الخارج لديها معلومات مغلوطة ولن يتدخل أحد قبل ساعة، لا يوجد وقت للخروج وتوضيح الوضع فلن يتفهمه أحدٌ، هذا إذا ما لم يردونه قتيلًا فور رؤيته، الثواني تتراقص كأنها جان، ثعبان يلتهم ذيله، وقع بصره على طرف شاشة التحكم عبارة (RANGE 5 K.M) قفزت الفكرة لمخيلته بغتة.

- هيًا بنا.

حمل الحقيبة، جذب (ريناد) عنوةً وركضًا صوب غرفة النفق متجاهلًا استنجاد النائب به، للوهلة الأولى ظنت (ريناد) أنه قرر أن ينجوا بأنفسهما، لم تكد تشرع في التساؤل حتى بادر (جمال) وهو يفتح غطاء النفق بأنفاس مترددة شارحًا:

- سنحاول الابتعاد لأكثر من خمسة كيلو مترات ونحرم المتفجرات

من إشارة التفعيل دون الإضرار بجهاز التحكم.

استغرق عقل (ريناد) المضطرب لحظات حتى تمكنت من استيعاب منطق (جمال) في الخروج بحقيبة التحكم، تبعته هبوطًا على السلم حتى النفق شحيح الإضاءة، وحش أسطوري التهمهما قبل أن يلوكهما في نهم، عن يساره على بعد ثلاثمائة مترًا كان شبحُ السلم الهابط من المسجد، اتخذه دليلًا لصحة مساره إلى خارج أسوار المجلس، ركضا كثيرًا، ركضا وركضا عبر ممر بلا نهاية تطبق جدرانه على أنفاسهما اللاهثة، اختلس نظره لجهاز تحكم انعكست أضواء دقائقه التنازلية على وجهه.

حث (ريناد) على الركض وزاد من سرعته، حتى وصل لسلم صاعدًا، قفز الدرجات حتى وصل لسقف النهاية، غِطاء منفرج قليلًا يشي بسبق فتحه منذ قليل من (هشام)، دفعه بحرص وبطء حتى طالعه ظلامًا نسبيًا والكثير من الضجيج، لفظه النفق داخل غرفة معدنية ضيقة للغاية رنا ببصره عبر ضفتي المخرج، طالعه في المواجهة بوابة مبنى منقوش فوقه اسم كنيسة (جاردن سيتي)، مخرج النفق ينتهي داخل مجسم لغرفة كهرباء مموهة وسط شارع جانبي، اختلس نظرة عبر دفتي المخرج فعاد مبهوتًا، أمامه ضابطين يتفحصان جثة زميل لهما سالت دماؤه، وآخر مصاب بعيار ناري، سيارة إسعاف فاغرة فاها تلتهم الضحايا، تشكلت في أفق مخيلته صورة لما حدث، خرج (هشام) من فتحة النفق فاصطدم بحرس الكنيسة، أطلق عليهم الرصاص وفر هاربًا، يبدو أن أحدًا لم يكتشف مِن أين خرج، حدق (جمال) في عداد الوقت لديه حيث خمس عشرة دقيقة تتناقص، سحقته قبضة اليأس والعجز، لن تكفي المدة المتبقية للابتعاد خمسة كيلو مترات، إلا إذا... انتهى تفكيره عند امتداد بصره، حيث دراجة شرطة قوية أمام مدخل الكنيسة، كان يعلم في ظِل التوتر أن لحظة رؤيته يخرج من محول الكهرباء سيمطرونهما بوابل من الرصاص، حاول الاتصال بوالده ولم يجِب، ترك له رسالة صوتية يصف له الوضع، ثم تابع ببصره تحركات

الضباط حتى ابتعد قليلًا، فتح ضفتي المحوّل برفق، حمل الحقيبة، سارا على أطراف أصابعهما يرافقهما الخوف حتى وصلا للدراجة، ناول (ريناد) الحقيبة وركب الدراجة وهي خلفه تقبض على الحقيبة، أمسك بمفتاح تشغيل المحرك، حث (ريناد) على التمسك جيدًا، أخذ نفسًا عميقًا، ثم أشعل محرك الدارجة، ثبت قدمه أرضًا ودار بها حول محورها ثم اندفع بها في اللحظة التي التفت فيها الضابطان، وفي اللحظة التالية قفزت أيديهما تنتزع أسلحتهما من غمدها وأطلقا عدة أعيرة طائشة، ركضا داخل سيارة الشرطة التي حفرت إطاراتها في الأرض وهي تقفز خلفهما بعواء مرتفع وإصرار على تصفيتهما دون تفاوض.

***

لم يكد مساعد (عبد القادر) يدفع باب غرفة المكثف حتى اندفع عبر الغرفة ذراع هائل من البرق اصطدم بصدره ودفعه أرضًا بلا حراك تتصاعد أدخنة من صدره، تنحى (عبد القادر) جانبًا في ذهول، بعد أن لمح نظرة واحدة داخل الغرفة تغزوها أزرع البرق تضرب كل شيء بلا توقف تنحى جانبًا للحظات، حين راح البرق يهدأ تدريجيًاَ بعد أن تم ادتنفاذ الشحنات السالبة في الهواء حتى سكنت الغرفة، وقف (عبد القادر) واجمًا متيبسًا أمام الغرفة المدمرة كملحد وقف أمام الله ليتلقَ حسابه، يحدق بعينين متسعتين ذهولًا، وفك تدلى حتى لامس الأرض، المكثف متفحم تحت ضربات البرق، وعلى الأرض تمدد جسدي العالمين متفحمين إثر شحنات كهربية ما زالت تضرب جسديهما، حين برزت (فاتن) من خلف أريكة احترقت واجهتها، وعلى وجهها ابتسامة شامتة:

- تصادم شحنات سالبة وموجبة هو البرق بعينه.

خطت صوبه بينما عيناها الزرقاوان تنافس البرق، تحدقان فيه بغضب هادر احتدم في صدرها وراح يتصاعد مع أنفاسها، انفرجت شفتاها تقطر كرهًا:

- لماذا أنا بالذات!؟

- صدقيني، لن يكون لك مستقبلًا في (ناسا) إذ لم تتعاوني معنا

كان (عبد القادر) يتراجع خارج الغرفة في حذر حين لاحظته (فاتن)، فاندفعت تمسك بالسلاح الناري الملقى أرضًا حين دفع (عبد القادر) باب القاعة ينغلق ثم ركض عبر الممر الطويل صوب المخرج.

فتحت (فاتن) باب المعمل بصعوبة في اللحظة التي انعطف فيها (عبد القادر) بعد نهاية النفق، دون تردُّد اندفعت تركض خلف جاسوس زهق العديد من الأرواح، وما زال، عبث بها وقام باستغلالها كما استغل الجميع، حتى صار تحطيمه أولويتها.

***

للمرة العاشرة حاول (فوزي) تجاوز أمن البوابة بلا جدوى، أوامر صارمة بعدم مرور ذبابة للداخل حتى يتم إجلاء النواب، راح يدور حول نفسه وسط تشابك عنيف للمحتجين مع الأمن يبحث عن من يعينه لدخول المجلس، أعصاب الجميع وتر حساس على وشك الانقطاع لن يستمع له أحد، حين داهمته الفكرة، لن يطلب العون من شخص ولا اثنين بل الآلاف، اختمرت الفكرة في عقله فراح يهرول صوب أحد الشباب القيادين مستغل ملابسه المدنية صائحًا:

- لقد تم خداعنا جميعًا، الشرطة قبضت على إخواننا في الداخل، اقتحموا المجلس، أنقذوا إخواننا قبل أن يتم اعتقالنا واحدًا تلو الآخر كالخراف.

اقتضب الشاب وعبس، فارت الدماء في رأسه، تلفت حوله يرصد المتواجدين، لم يستغرق نداؤه الكثير حتى استجاب له المئات من مشحوني الأعصاب الثائرة نفوسهم، ركضوا بالمئات صوب بوابة المجلس، توتر أفراد أمن البوابة، لم يكن من الحكمة وقوفهم في مواجهة الطوفان، تنحوا جانبًا عنوة فتدفق سيل العرم إلى الباحة

واندفعوا يطيحون بالبوابة الخشبية الداخلية، حين توقف أول الداخلين لحظات مبهوتًا عندما وقعت أعينهم على المشهد، ما يربو على المائة عضو فوق مقاعدهم يغطي رؤوسهم غطاء أسود، تعتريهم حالة من الذعر بدت في تحركاتهم المحمومة وتصاعد رنين سلاسل تقيد حركتهم فوق مقاعدهم، تدفق الجميع للداخل، نزعوا أغطية الرأس عن النواب، نظروا للقيود المعدنية في حيرة، تصاعد نداء من نائب في الصفوف الأمامية من قام (جمال) بتحرير كمامة فمه:

- يوجد متفجرات هنا على وشك الانفجار.

أثار هتافه موجة ذعر دفعت بعض الضباط لاختراق الحشود والركض صوب ذلك النائب حتى تبينوا منه ما يحدث، حين وقعت أعينهم على المتفجرات المتراصة حول محور القاعة تتسابق الأرقام فوق شاشة صغيرة في كلا منها تتناقص لأقل من خمس دقائق، صاح (فوزى) يستجدي وعي محتجين أصابتهم صدمة وتسمروا في أماكنهم:

- سيتم تفجير المجلس بالجميع أحضروا قواطع لتلك السلاسل المعدنية

انتقل الهتاف للصفوف الخلفية فهرع الجميع للخارج للبحث عن قواطع، بينما تحدث ضابط التأمين عبر اللاسلكي للقيادة ينقل لهم الوضع ويطالب بدعم سريع لمتخصصين في المتفجرات، كان قد صدق لديه يقين في صحة كلمات (فوزي)، أنهى اتصاله، المتفجرات بالعشرات والوقت أضيق من أن تصل وحدة التفكيك، أصدر أوامر للمجندين بمعاونة الشباب، ركضوا عبر شارع المجلس حيث انعدمت الصراعات و حل التعاون محل التناحر، سحب على أثرها المجندين قواطع حديدية من داخل سيارات الشرطة، واندفع بعض الشباب صوب متجرًا ضخمًا لأدوات التشجير واضطروا لتحطيم الرتاج ونقل العشرات من القواطع لداخل قاعة المجلس، تكاتف الجميع في تحطيم السلاسل المعدنية بشتى الطرق في سباق محموم مع الزمن، اصحاب

الديانات المختلفة والغير متدينين، المدنيين والعسكريين، الكبير والصغير، الجميع بات نسيجًا واحدًا غير مسبوق راح على أثره يتحرر النواب وتدفقوا عبر بوابة المجلس غير مصدقين أنهم نجوا بينما بقي أخرون في معاونة زملائهم، واعينهم على متفجرات توشك أن تطيح بالمبنى وبمن فيه.

لهث (فوزي) من فرط الإنهاك وأنّت ذراعاه من كثرة ما حطم من أغلال بين فكي مقصلته. وقف لحظة ورنا ببصره صوب ضباط يحاولون التعامل مع المتفجرات، غير أن كثرتها وتعقيد تركيبها كان يشي باستحالة إبطالها جميعًا، الكارثة واقعة لا محالة، بخلاف أمل باقٍ في قدرة (جمال) على إبعاد جهاز التحكم للمسافة التي تكون فيها المتفجرات خارج تغطية إشاراته التفجيرية .

***

عبر شوارع حي جاردن سيتي الهادئة اندفع (جمال) بدراجة الشرطة النارية بسرعة خطيرة وتحكم اكتسبها من طول قيادته لدراجته الخاصة حتى إن (ريناد) راح قلبها يتواثب واحتبست الصرخات داخل قلبها فتشبثت يسارها في خصره ويمينها قبضت على حقيبة تحكم تركض الأرقام على شاشاتها تنازليًا، تحررت الكلمات من حلقها وراحت تنقل إلى (جمال) المتبقي من الثوانٍ وبصرها يرصد علامة شبكة الهوائي أعلى طرف الشاشة، خمسة خطوط متوازية متدرجة في الطول، لم تنقص شيئًا بعد، ما زال تواصل شبكة جهاز التحكم بمتفجرات المجلس في قمته، بينما (جمال) يتحدث لوالده عبر سماعة لاسلكية مثبتة داخل أذنه، يناور رصاصات طائشة من ضباط احتدم الغضب في صدورهم وعقدوا العزم على تصفيتهما.

- جمال، قوة الشبكة تناقصت خط واحد، ومتبقٍ دقيقة وخمسون ثانية.

هتفت بها (ريناد) بتهدج يمزقها الهلع، قفزت الدراجة قليلًا في الهواء

إثر مرتفع صغير وعادت تدك الأرض بقوة امتصتها هيدروليكية إطاراتها، ثم أجاب (جمال):

- اختفاء كل خط يمثل قطع كيلو متر، أستطيع الابتعادأربعة كيلو مترات في الوقت المتبقي، لكن دون طلقات نارية تفتش عن جسدينا.

اقتحم وعي (جمال) صوت والده عبر السماعة يتساءل في جزع:

- جمال أين أنت، لدينا ترميز الإبطال، هل جهاز التحكم أمامك؟

أجابه (جمال) بانفعال جارف وصوت مرتفع يغالب حفيف تدفق الهواء في وجهه:

- الشرطة تطاردني.. بحوزتي.. سأبتعد خمسة كيلو.. سيوقف ذلك إشارة البث.. يطلقون علينا الرصاص.

كاد يتوقف قلب (فوزي) مع توقف حركته المباغتة داخل قاعة المجلس، المخاطر تحيط بـ(جمال) من جديد، كان يعتقد أنها مجرد مطاردة عادية وسيفر (جمال) منهم، لكن ما يقوله يشي بشراسة وترصد له.

- بني، أنا أثق بك عندما تكون فوق دراجة نارية، ناورهم واهرب، جد لنفسك مكانًا أمنًا وتوقف ثم أدخل رمز الإبطال، كلما ابتعدت سوف تحتاج لرمز جديد.

- لا يمكنني التوقف.. أملي الرقم عليّ الآن، (ريناد) خلفي على الدراجة سأنقله لها.

- يا إلهي الرحيم!

نطقها (فوزي) همسًا بعد علمه بوجود صديقته معه في المطاردة، قام بتحويل اتصال مفتوح مع (فريد)، فراح الأخير من داخل المعمل يملي له رمز الإيقاف:

- الحرفان A-c

تلقى (جمال) الرمز، فصاح به إلى (ريناد) التي رفعت الجهاز بيمينها خلف ظهره تفتش بأعين متسعة رعبًا عن أحرف أبجدية، رنت ببصرها صوب شاشة تعرض عشر ثوانٍ وتتناقص، بينما طرف الشاشة العلوي يزينه أربعة خطوط تشي بتبقي أربعة كيلو مترات للخروج من المدى.بالكاد تشبثت قبل سقوطها عن الدراجة بينما (جمال) ينحرف إلى طريق جانبي بزاوية حادة أدارت معها قائد سيارة الشرطة المقود بكل قوته غير أنه لم يتمكن من الانعطاف بزاوية كافية تسمح بدخول السيارة للشارع الجانبي، فقد سيطرته على المقود فاصطدمت السيارة بالبناء على ناصية الشارع وتوقف محركها عن العمل فخرجت السيارة من المطاردة.

شعر (جمال) بشيء من الارتياح بينما ضغطت (ريناد) حرف (a ،(وقبل أن تنقضي الثانية الثالثة ضغطت الحرف (c) جوار نظيره، ثم أعقبتها بزر الإدخال.

توقفت الأرقام عند ثانيتين للحظة واحدة ثم حدث أمرًا لم يكن بالحسبان، إدخال الرمز أعاد ضبط عداد الثواني لخمسة عشر ثانية ثم راحت الثوانٍ تتناقص من جديد، وظهر على شاشة اللمس موضع رمزين. حين أبصرت (ريناد) تناقص لأحد خطوط الشبكة بما يعني ابتعادهم كيلو متر آخر.

استغرقت (ريناد) ثانيتين لتتدارك هذه الحقيقة، نقلتها إلى (جمال) فنقلها لوالده في اللحظة التي تهشم فيها زجاج الدراجة الأمامية على نحو انخلع له قلب (جمال)، ألقى نظره لمرآة الدراجة فأبصر خلفه دراجة نارية قوية تطارده وفوقها مسلح يعتمر خوذة داكنة غير أن ملابسه كانت تشي به، (هشام) من جديد يسعى لتأكيد نجاح مهمته.

لم تكن (ريناد) قد استوعبت الموقف قبل أن تمد أنامل مرتعشة انسحبت منها الدماء تعيد إدخال نفس الرمزين السابقين، غير أنها

اصطدمت برسالة رفض واستكمال لتناقص الثوانِ بلا رحمة.

***

الفصل الخامس والعشرون

دنت (ليلى) من (ريم) بحذر، نادتها عدة مرات، مست كتفها بأناملها، لكن عقل الفتاة لم يكن هنا، بل لا تراها من الأساس، بدأ إيقاع العزف يتباطئ عاجزة عن إكمال المقطوعة، فاشتد نباح الكلاب وبدأوا يقتربون حين عادت للعزف عنوة فتراجعت الكلاب، تفهمت (ليلى) حقيقة دوامة الخوف التي سقط فيها عقل (ريم)، من جديد راحت تتباطئ أنامل (ريم) وتاه منها اللحن فتوقفت بينما عيناها متسعتان ترصد الكلاب تقترب من سرير طبي مسدل ستائره البيضاء، لم تزه (ليلى) سوى الآن، تساءلت من يرقد فوق تلك الأسرة!، جاءها الجواب على هيئة صرخة من (ريم) وقفزة من الثلاثة كلاب عبرت بها جسم (ريم) واستقروا فوق الفراش ينهشون شيئًا ما تلطخت له الستائر البيضاء بحمرة الدم، ارتجف قلب (ليلى) وامتدت أناملها المرتعشة وأزالت الستائر لتقع عينيها على نفسها وجوارها (فريد) نائمين فوق السرير تنهش الكلاب أحشاءهما بينما (ريم) في غمرات في الخوف والهلع. كان للمشهد وقع نفسي رهيب على (ليلى) تشنجت له أوصالها وتراجعت بخطوات واهنة بينما أناملها قضبان أمام شفتيها تحبس صرخة محتجزة.

تموجت الرؤية أمامها ثم استقام المشهد، الستائر عادت مسدلة بيضاء أمام السرير الطبي والكلاب تنبح و(ريم) تعاود العزف في انهيار. قام عقلها بتجميع الأحجية، عقار يثير المخاوف لدفعها لإكمال المقطوعة الموسيقية فجاء عقل (ريم) بها إلى أكثر مكان تخشاه، وتعريض أكثر أشخاص تحبهم للموت أمامها من أكثر كائنات تخافها إن لم تكمل اللحن.

تلفتت (ليلى) حولها وهمست لنفسها:

(كل ما يحيط بنا هو من عقلها، لا سبيل لكسر تلك الحلقة إلا عن طريقها)

- بنيتي، لا تخشِ علينا، أنا هنا جوارك.

ظلت الفتاة عاكفة بكل كيانها على العزف فحسب، تتشنج وتنتفض، بينما أعينها تتقلب بين أزرار الباينو والكلاب التي تتقدم كلما تباطأت، جلست (ليلى) بجوارها، مررت أناملها على وجهها، اقتربت من أذنها وهمست بكل دفء الدنيا:

- كانت (سندريلا) تتقافز في سعادة وبهجة، تتباهى بفستانها الجميل وهي بين يدي الأمير تنظر في عينيه بحب، كانت الأعين تتابعها لكنها لم تبالِ، سعادتها غامرة وضحكاتها تفيض من القلب، رقصاتها فراشات تتهادى فوق زهور الجنة، لقد اطمأن قلبها وهامت جوارحها.. وملكت الدنيا إيذانًا بحياة.. تأمل أن تنعم بها.

كلمات هامسة مقتبسة من قصة ريم المفضلة، نبعت من صميم قلب (ليلى) بينما عيناها الدامعتان أسبلتهما في رضا وقناعة، اطمأنت بذلك الشعور حتى غمرتها السَّكينة وفاض قلبها حبًا، انتبهت لتوقف اللحن ففتحت عينين غشيتهما طبقة رقيقة من الدموع، أبصرت وجه ابنتها وقد استدارت إليها بأعين لم تعد زجاجية، دبت فيهما روح الوعي والحياة يطل منهما الاشتياق، الملاذ، الاطمئنان، بئر ماء وجده ظمآن وسط صحراء قاحلة، التفتا إلى حيث الكلاب فلم يعد هناك أحد، عاونتها (ليلى) على النهوض، أزالت الستائر البيضاء فكانت الأسرّة خاوية، عادت (ريم) تنظر إليها، راحت ابتسامتها تتسع حتى انغلقت عيناها.. ونغزتا وجنتيها تزدادان عمقًا.

***

(أجهزة الطائرة انتظمت لكننا قريبون جدًا من الأرض، سوف نصطدم

بعنف)

صدر صوت ربان الطائرة عبر جهاز الاتصال في جزع، فأصدر اللواء أمرًا عبر اللاسلكي:

- إلى كل وحدات الدفاع المدني على المهبط، تأهبوالهبوط اضطراري خلال لحظات.

خطا (مصطفى) قُرب واجهة البرج، يتابع الجميع بقلوب متواثبة الطائرة بعد أن توقفت القوة السلبية عليها وزالت عنها الطاقة العكسية لكنها ظلت تتهاوى صوب مهبط المطار في ترنح، يكافح الربان لاستعادة زخم المحركات بعد أن قام بإطفائها، بينما مراقب البرج يلقي وابلًا من التعليمات على الربان باختيار زاوية الهبوط والسرعة واتجاه الرياح بينما منظومة أجهزة الهبوط المصطفة على طرفي المهبط تعوي بلا انقطاع، تعلن خروج الطائرة عن حدود جانبي المهبط.

محاولات مستميتة من الربان بذراع القيادة اليدوية يجاهد لإعادتها لحدود المهبط بينما الجنيحات ترتفع للحد من سرعة السقوط، تحملت الأجنحة لحظات قبل أن تتسلقها شروخ في اللحظة التي مست فيها العجلات أرض المهبط قبل أن تنسحق وينكب بدن الطائرة أرضًا، احتبست الأنفاس واختلجت القلوب عندما زحف جسم الطائرة فوق أرض المهبط مطلقًا شررًا، طارت الأجنحة خلف بدن ظلّ يحفر الأرض بزحف عنيف لمسافة طويلة دنت من نهاية المهبط قبل أن تستقر تتصاعد منها الأدخنة بينما الوقود يسيل على الأرض.

حين هرول النقيب (مصطفى) واللواء (هاشم) إلى موضع استقرار الطائرة كانت عربات الإطفاء قد هرعت إليها، يجاهد ضباط الحماية المدنية لمنع اشتعال الوقود بسيل من الرغوة البروتينية المضاف إليها مركب (الفلوروكربون)، وعبر سلم الإطفاء صعد ضابطان اقتلعا الباب عنوة، غابا في الداخل لحظات قبل أن ينفتح سلم الطوارئ المطاطي.. وتوالى انزلاق الركاب.

الفصل السادس والعشرون

أبقى (فريد) على اتصاله بـ (فوزي)، التفت إلى حيث زوجته والفتاة فانقبض قلبه ولم ينبسط، تصدع السطح المعدني للمنضدة وتم اختراقه في عدة مواضع، نظر بمقت إلى فوهة السلاح الآلى المندسة عبر فرجة الباب، انتبه لصوت (فوزي) عبر سماعة الهاتف، أحنى رأسه في سخط بينما (فوزي) يبلغه بكون الرمز منحهم خمس عشرة ثانية فقط ويحتاج لرمز آخر مختلف.

حاول (فريد) تجميع إرادته والتركيز من جديد، أنهاتدفقية تحتاج لرمز مختلف كلما قطع مسافة معينة، الرقم التالي في الأرقام المتوالية هو رقم واحد.

(2 -1 -1 -0- ....) والواحد في الترميز الثنائي الجيني أصله T,G =1 وكذلك سيكون الرمز الثالث، رفع الهاتف وصاح :

- فوزي الحرفين (T,G)، سيمنحانك ثواني تصاعدية مرة أخرى والرمز الثالث نفس الحرفين.

دس الهاتف في جيبه، اختلس النظر صوب العميل يقوم بإعادة تلقيم السلاح، نهض ركضًا صوب منظار معدني ثقيل رفعه بصعوبة أشعلت جرح صدره، حث به الخُطى حتى ألصق كتفه بالجدار المستوي مع الباب، وخطا حثيثًا حتى اقترب به من الباب وانتظر حتى دسّ المسلح ماسورة سلاحه عبر ثقب الباب، وهوى عليها بالمنظار بآخر ما يملك من عزم، انبعجت ماسورة السلاح قليلا، لكن بقدر كافٍ لأن تنحشر داخلها الرصاصات المتلاحقة، فجرت معها السلاح بالكامل وأطلق لها المسلح بالخارج صرخة ألم، فتح (فريد) الباب بغتة، انفجار السلاح ترك الرجل بأعينٍ مصابة بشظايا وذراع دامية سهلت المهمة على (فريد) فدفعه حتى الجدار المقابل، طوح العميل قبضته على غير هدى أصابت صدر (فريد)، تراجع بجرح دامٍ وضلوع تنخر رئتيه، ثم عاد يدفع العميل من جديد وانهال على وجهه بلكمات الغل والبغض حتى سقط العميل

صريعًا.

عاد (فريد) داخل المعمل مترنحًا تؤلمه أنفاسه، جثا على ركبتيه في حنو عندما وجد (ليلى) تفتح عينيها، تطلعت (ليلى) لهيأته المزرية في دهشة وهمست:

- عجبًا!، هل دهمك قطار!؟

ضحك (فريد) ودمعت عيناه دنا منها يحتضنها، إلىأن صك مسامعه سعال الفتاة، اعتدل ورنا ببصره إليها تتمازج المشاعر على قسمات وجهه بين حنين لابنته الراحلة وتوجس من نسخة بديلة بدا في عينيه وهو يعاون الفتاة على النهوض، كانت ضعيفة شاحبة هزيلة، فتحت بوهن عينين محمرتين تقلبت مقلتيها بين وجهي (فريد) و(ليلى)، ارتجفت شفتا (فريد) وشعر بإعصار كاسح من الاشتياق مازجه مرارة الفقد، كم يشتاق لابنته، كم يفتقدها، أمامه الآن بملامحها وقسمات وجهها، لكن أبت روحه أن تعانق روحها.

وضع أنامل مرتجفة على كتفها، سألها بشفتين واجلتين:

- هـ.. هل أنتِ بخير!؟

هنا كان أكثر مما تحتمله (ليلى)، اندفعت إليهاواحتضنتها وهمست لها:

- لا تخافي يا حبيبتي لن يعذبكِ أحد بعد الآن .

أشاح (فريد) بوجهه يخفي دموعًا سالت على وجنتيه، في الوقت الذي راح جسد الفتاة يتيبس ويتشنج وينتفض.

أرقدها (فريد) على ظهرها وراح يتفحص جفنيها في قلق، حين احتقن وجهها وتقطعت أنفاسها.

***

شعر (فوزي) بصدره ينشرخ لاهاثًا من فرط المجهود المبذول في قطع

أغلال النواب المعدنية، بينما أرجاء القاعة تردد دويًا متلاحقًا لطلقات رصاص الضباط تحصد الأغلال عبأت القاعة بأدخنة خانقة، كان يعتقد أن من سيقوم بتحريره من النواب سيهرع هاربًا للخارج، غير أنه وجدهم يعاونوهم في تحرير زملائهم، بينما عشرات الأعين المقيدة أصحابها تترقب تحريرهم في تضرع صامت وأنين نابع من خلف كمامات فموية ورنين سلاسل معدنية صلبة ترفض التحطم بسهولة، وسط حالة عامة من الذعر والصخب تضج بها القاعة، راح (فوزي) يدعو الله أن ينجح الرمز الثاني والثالث في إبطال إشارة التفجير، قطع سلسلة أحد النواب ثم ركض صوب أقرب المتفجرات منه وعيناه ترصدان اثنتي عشرة ثانية وتتناقص، حاول الاتصال (بفريد) ولم يجب أرسل له برسالة: أريد الرمز الرابع على الفور.

رفع بصره لعداد الثواني ارتفع لعشرين ثانية جديدة أثلجت صدره، (الرمز الثاني) دفع بعشرين ثانية إضافية، راح يتقافز فوق مدرجات القاعة يصل للمزيد من النواب، وسط العشرات من الشباب والضباط والنواب المتحررين، يستعملون كل ما وصلت إليه أيديهم من قواطع ومطارق وأسلحة نارية بحوزة الضباط لتحرير الجميع في تسارع محموم مع ثوانٍ تلتهم الشاشات، كلما تعمق (فوزي) لأركان المجلس وجد العديد من المتفجرات المعلقة على محيط جدران القاعة، ضربت عزيمته بمطرقة اليأس، من قاموا بذلك ينوون تصفية النواب على نحو استعراضي بهدم قبة المجلس على رؤوسهم فوق مقاعدهم.

قفز من مدرج لآخر بينما القاطع في يساره، دس سلسلة نائب بين فكي المقصلة ثم ضغط الذراعين بينما عينه قاصرة الطرف صوب عداد إحدى المتفجرات حيث دنت أرقام شاشته من خمسة ثوانٍ ويتناقص، لماذا لم يقُم (جمال) بإدخال الرمز الثالث! (فريد) أكد على صحة تكرار الرمز، ازدرد (فوزي) لعابه وامتقع وجهه بينما عيناه مركزتان على شاشة تشير للثانية الثالثة دون توقف بينما صدره احتوى قلبًا انتهت صلاحيته.

***

ظل (عبد القادر) يركض بقدر ما تسمح به لياقته البدنية عبر الممر أسفل (الفيلا)، نظر في ساعته، علم أن الوقت داهمه، نسف المكثف أوقف تفعيل المعادلات وإطلاق الطاقة المعتمة، الأمر غير مهم، سيجد طريقة لبناء المكثف مرة أخرى قبل أن يكتشف أحد خدعة خلق العين، الأهم الآن أن الأخبار وصلت بالبدء في تسليم التحالف إلى أخوية (كتشينر) بحشد ومساندة الجميع، مولد كيان قوي يمتلك كل شيء. دفع بكلتا يديه بوابة المقهى الخشبية وقفز يصعد بضع درجات صار بعدها على قارعة الطريق، توقف لحظة ينظر بقلب خافق لسيارتي شرطة وبدء انتشار العديد من أفراد الأمن، استيقظ عقله على صوت ارتطام الباب الخشبي للمقهى يشي باقتراب (فاتن)، تلك العنيدة لا تهدأ أبدًا، بأنفاس متقطعة واصل الركض حتى دار حول (الفيلا) حيث المرآب الخلفي الخاص بالمجمع السكني، كان يتوقع وجود معاونيه ومعهم الفتاة، ولم يجد سوى وقع أقدام (فاتن) تلاحقه عبر الساحة الواسعة المكدسة بالسيارات، اندفع صوب سيارته وشرع في فتح بابها في اللحظة التى صكت مسامعه صوت رصاصة يتبعها صوت (فاتن) تقترب بخطى واسعة وهي تشهر السلاح في وجهه:

- توقف أيها اللعين فهنا نهاية جولتك.

استدار (عبد القادر) بوجه مضطرب، حاول التبسم:

- لقد خسرتِ يا ابنة نجيب، أخويتنا تنهض الآن عالميًا.

غمز بعينه وأضاف:

- بعد نسف مجلس النواب بمن فيه برعاية تحالف الإلحاد.

تصاعدت المرارة لحلق (فاتن)، كانت تعلم أنه على حق غير أنها استعادت عنادها قائلة:

- حسنًا، لكن لن تعيش لترى ما قمت به.. سيجدونك هنا مدرجًا في

دمائك ولن يعرف أحد ماحدث.

أعقبت قولها بتوجيه سلاحها لصدر (عبد القادر) حين اصطدمت بضحكته قائلا:

- هذا أيضًا لن يحدث لأنني سوف أمضى وستتركينني طواعية.. لأنني حقنت ابنة صديقك بمركب عصبي قوي يعتصر مخها ليخرج أفضل ما لديه، لكنه مميت خلال دقائق كنت أتمنى أن أستخرج المعادلة خلالها.

ضاق جبين (فاتن):

- إنها نسختكم فمن يعبأ بها .

تبسم (عبد القادر) وأجابها بخبث:

- بل النسخة هي من كانت معهم، صديقك نبش الأرض بحثًا عن سبب حالة ابنته المرضية بعد الحادث، ولم يفترض أنها ليست هي، بل تم استبدالها خلال دقيقة داخل تلك السيارة أمام مدرستها على مرأى ومسمع منه.

امتقع وجه (فاتن) وتراخت يدها الممسكة بالسلاح، ذهول اتسعت له عيناها، غالبت انفعالها ورفعت السلاح من جديد:

- وما السبيل لإيقاف تأثير ذلك العقار؟

- حافظة أمبولات بجوارها يتم مزج العقار المضاد بنسب معينة، إذا ما زادت النسبة في مركب قد يسمم المخ.. وإذا قلت نسبة مركب منهم فلن يكون ذا فاعلية، وفي كلتا الحالتين ستموت ابنته بين يديه.. من جديد.

تطاير شرر الغضب من عين (فاتن) أخرجت هاتفها الصغير من حقيبتها أجرت اتصالًا بـ (فريد) وسألته مباشرًا:

- فريد هل الفتاة بخير؟

أتاها صوته خاضعًا في قلة حيلة:

- تتشنج ويتوقف تنفسها إنها تحتضر.

تطاير البرق من عينيها تقصف بهما (عبد القادر)، مد راحته صوب هاتفها في ترقب:

- الآن اذهبي إلى الطرف الآخر من المكالمة وسأبلغك بالنسب الصحيحة للعقار.

- وما الضامن أنك ستمنحني النسب الصحيحة!؟

- لا ضمانات، أنا أريدها على قيد الحياة، من يدري ربما أعاود الانتفاع بها يومًا.

لحظة تردد نازعتها نفسها، ستترك ذلك اللعين يهرب بفعلته، صوت (فريد) و(ليلى) بلغا مسامعها يحاولان إنعاش الفتاة بلا جدوى، هو لا يعلم أنها ابنته الفعلية وملتاعًا لهذا الحد، غير أنها لا تضمن صدق ذلك اللعين، لعلها محاولة للهرب، لكن لن تسامح نفسها لو ماتت ابنة (فريد) وكان بيدها أمل ولو ضئيلًا في إنقاذها، عليها اتخاذ قرار سريع والاختيار بين الصعب والأصعب.

***

بدا واضحًا من رصاصات (هشام) التي راحت تتطاير من حول دراجة (جمال) وتمسها أنه غير مُدرب جيدًا، مجرد جاسوس مندس وسط الشباب، غير أنه كان يلاحق (جمال) كظله يرصده و(ريناد) من خلف زجاج خوذته الداكن وهو يناور في صعوبة بالغة عبر شوارع ضيقة وملتوية، حتى طالع (جمال) في نهاية إحداها انحناء يأخذه مباشرةً إلى كوبري قصر النيل، اتساع الشارع سيمنحه سرعة أكبر ومناورة أعلى، ضغط (جمال) خانق الوقود وزاد سرعته للمعدلات القصوى

قفزت الدراجة واقتحمت نهر السيارات فوق كوبري قصر النيل عنوة بُهت لها قائدو السيارات المندفعة، ارتبكت فرائس (جمال) وامتقع وجهه عندما وجد نفسه يندفع بسرعته القصوى عكس حركة السير، تنهمر السيارات في مواجهته بسرعة مخيفة ارتفعت لها معدل نبضه وتحفزت حواسه للغاية، بالكاد تفادى اصطدامًا وشيكًا، وراح يتمايل بالدراجة بلا توقف، بينما (هشام) يلاحقه بمهارة وإصرار علم معها (جمال) أنه لن ينجو طويلًا، تدريجيًا مال صوب الرصيف الفاصل ثم قفز عبر الحافة وقطع بضعة أمتار فوقه ثم هبط على الجانب الآخر مع نهر الطرق في مبادرة ارتجت لها الدراجة بشدة وكاد جهاز التحكم أن ينفلت من يد (ريناد)، قبضت عليه بأنامل صغيرة جمدها الخوف والهواء المندفع، كانت أدخلت الرمز الثاني (T,G) حين تناقصت إشارة التفجير خط آخر فلم يتبقَ سوى ثلاثة خطوط تشي ببقاء أقل من ثلاثة كيلو مترات على الخروج بالجهاز من مجال بث إشارته التفجيرية، تعليمات (جمال) لها تحتم تكرار الرمز من جديد.

بدا أن (هشام) قد شعر بخطورة ابتعاد (جمال) بجهاز التحكم عن مبنى المجلس، لن يغفر له (القدير) إخفاقًا كهذا، الأفضل له أن يموت، وصوله لتلك النقطة دفعه للاستنفار فقفز بالدراجة فوق الرصيف خلف (جمال) وحين هبط على الجانب الآخر رفع معدل سرعته وراح يتمايل بين السيارات بمهارة وطيش حتى دنا للغاية من دراجة (جمال)، لحظة اختراقه المسافة الفاصلة بين أسدي قصر النيل عند مخرج الكوبري، فور انتهاء (ريناد) من إدخال الرمز الثالث فاستعاد نظام العد خمسة وعشرين ثانية جديدة، بتصاعد خمسة ثوان، نقلتها إلى (جمال) فنقلها (جمال) لوالده وهو يصيح في غضب:

- متى ستتوقف تلك اللعينة؟

أدخلت (ريناد) الحرف الأول ثم الثاني بصعوبة بالغة لشدة الاهتزازات ، بينما (جمال) يناور مناورات هزيلة إثر إصابته، كان لتوقف السيارات خلفهما أثره في خواء الطريق أمامه، أقل من كيلو متر، (هشام) أعاد

تلقيم سلاحه، (ريناد) ضغطت الحرف الثالث حين قفزت الدراجة قفزة عنيفة حالت دون إكمالها للرمز، لم تدري ماذا حدث بينما عرف (جمال) أن رصاصات (هشام) أصابت إطار الدراجة الخلفي، قاوم ارتجاجات عنيفة لم تكبحها ذراع واحدة فانحرف المقود وعلم أنه سيسقط لا محالة، بدلًا من أن يكبح الدراجة تركها تميل صوب دراجة (هشام) التي برزت عن يمينه فاصطدمت به وانقلبتا، زحفت الدراجات والأجساد حتى استقرت أرضًا بلا حراك مثخنة بالجروح، رفع (جمال) رأسه يدور به، التفت إلى (ريناد) فوجدها تحاول تحريك جسدها بصعوبة، (هشام) ينهض وقد حمته خوذته، زحف (جمال) بعناد وإصرار صوب جهاز التحكم ينشد إدخال الحرف الأخير من الرمز، مد ذراعه الممزقة إليه وعينه ترصد سبع ثوانٍ على شاشاته، حين هرست قدم (هشام) ذراعه، دامي الجسد يخلع خوزته والتشفي يقطر من بين شفتيه، شرع في الحديث حين شق عيازٌ ناري سكون المشهد، التفتت الأعناق صوب (ريناد) تجثو على ركبتيها وتمسك بأيدي مرتعشة بسلاح (هشام) تتصاعد منه الأدخنة، نظر (هشام) للدماء المتدفقة من معدته في ذهولٍ، شرعَ في التوجه إليها قبل أن تعاجله برصاصة أخرى في صدره أردته أرضًا فسقط جوار (جمال)، لكن طاقة غل دفعته للامساك بتلابيب (جمال) منعته من الزحف لجهاز التحكم .

حين عثرت خوذة (هشام) على أصابع (جمال) فرفعهاوهوى بها على وجه (هشام) والغضب يتردد في صدره.

- خائن.

سمع صوت عظام جمجمة (هشام) يتحطم، غير أن ابتسامة دامية سالت من بين أسنانه المحطمة؛ امتقع لمغزاها وجه (جمال)، تركه بعد أن تحجرت عيناه مع ابتسامته الشامتة وأسلم الروح، وترنح صوب حقيبة التحكم في اللحظة التي أصدر فيها الجهاز صفيرًا متقطعًا وعرضت شاشته أصفارًا تشي بانتهاء العدّ وبث الإشارة التفجيرية.

***

تصاعدت أصداء الطلقات النارية المتلاحقة داخل القاعة الرئيسية لمجلس النواب صادرة عن أسلحة الضباط النارية، تحصد الأغلال المعدنية لما تبقى من النواب المحتجزين، بينما (فوزي) يجذب أحد النواب من مقعده بعد قطع أغلاله، دار ببصره وجسده وروحه في القاعة بحثًا عن آخرين فمن وجده من النواب كان أمامه بصحبة ضباط أو شباب فجذب من بصحبته خارج مدرج المقاعد، حانت منه لمحة لأقرب المتفجرات تعرض شاشتها ثلاث ثوانٍ، شعر أنه حان الوقت، لقد انقطع الاتصال بـ (جمال) كما فقد اتصاله بـ (فريد) بعد أن أخبره بانتهاء التسلسل عند الرمز الخامس، إنها الثوان الثلاث الأخيرة، ركض مع النائب خلف عدد من الضباط والشباب صوب باب القاعة، الباحة الأمامية تكدست بفارين راحوا يتدفقون بغزارة خارج الأسوار.

صياح ضباط وشباب، تحذيرات من حناجر جهورية، حث على سرعة الخروج، هدير سيارات شرطة وإسعاف ودخول سيارات إطفاء لمحيط المجلس، العديد من العسكريين عند البوابة الخارجية بصياح هادر يدفعون كل من يخرج ، لم يكد الجميع قد تجاوز باحة المجلس الخارجية بعد عندما شاهد الجميع قبة المجلس تنهار وتغوص داخل القاعة وأعقبها تداعي القاعة نفسها كجبل هائل خر صريعًا فانهالت أحجاره تدوي كالرعد في الآذان حتى طغت على صوت الصرخات دفعت بموجة كاسحة من غبار اجتاحت الباحة والأسوار والشوارع المحيطة، طبقة كثيفة من الغبار الناعم غمرت سيارات الشرطة والإسعاف والمطافي، الشباب، النواب، الضباط، حجبت الرؤية تمامًا، تقاذفت الأحجار الصغيرة في كل الاتجاهات من قلب قاعة صارت ركامًا، للحظات ساد صمت مطبق، لا يسمع أحد سوى طنين يدوي في الآذان، حتى بدأ الغبار تتقاذفه الرياح فقللت من كثافته، فبهت لونه الرمادي وبات شفافًا ترى من خلاله أشباح أجساد مشعثة مغبرة تساوت في الهيئة، يسيرون ببطء على غير هدى في ذهولٍ زائغي

الأبصار والقلوب، تضج آذانهم بطنين مؤلم، وصدور نسوها دون تنفس فضاقت طلبًا للهواء. شخصت الأبصار صوب ركام قاعة المجلس مبهوتين، ثم انتابتهم نوبة سعال حاد، وقتها علموا أنهم مازالوا أحياء، استردوا عقلهم فشرعوا في التعاون من جديد ومساندة المصابين دون علم بهوية أحد، هرع رجال الإسعاف بأقنعة تقيهم استنشاق الغبار وتكاتفوا لاستخراج المصابين، ولاحقهم رجال الإطفاء بمعاونة الضباط في العثور على ضحايا أو مصابين قرب الركام، ومن خارج الأسوار المعدنية سادت حالة وجوم جماعي من حشود بشرية كستها الأتربة .

***

الفصل السابع والعشرون

تسمرت (فاتن) لحظات واحتفظت بامتداد ذراعها بالسلاح في مواجة (عبد القادر) ويدها الأخرى تمسك بهاتفها الصغير ينبع منه صوت (فريد) و(ليلى) في محاولات لانعاش الفتاة، صعوبة الاختيار عصفت بتفكيرها لحظاتٍ حين أطرقت بالسلاح أرضًا ورفعت الهاتف إلى أذنها:

- (فريد)، لا تغلق الاتصال.

نظرت إلى (عبد القادر) وانفرجت شفتيها يقطر من كلماتها مقت الدنيا:

- سوف أعثر عليك أيها الخنزير.

ألقت إليه الهاتف والتفتت تركض بكل كيانها صوب بوابة الملهى، كانت تسابق مُركبا كيميائيًا يسحق عقل الفتاة، لهثت بينما تتداعى على مخيلتها المشاهد والأشخاص، لن ترغب في أن يفقد أحدٌ عزيزًا إذا ما حانت لها الفرصة في الزود عنه، كانت خمس وعشرين ثانيةً قطعتها داخل الممرات أسفل (الفيلا) بعقل يضج بعشرات الذكريات والوجوه، طالعها الحارس صريعًا أمام باب القاعة، قبل أن تقتحم الباب المهشم، بحثت بعينيها حتى أبصرت (فريد) و(ليلى) يجثوان خلف منضدة

محطمة بجوار الفتاة، تقافزت تتجاوز حطام المعمل، انكبت على ركبتيها وانتزعت الهاتف من (فريد)، وجدت (عبد القادر) مازل على الهاتف، بمجرد أن سمع صوتها أجابها مباشرة:

- سنتيمتر من المحلول الأحمر وخمسة مليمترات من الأزرق وسنتيمتران من الشفاف يحقنون في عنقها.

ثم أغلق الاتصال مباشرة، زحفت (فاتن) تلتقط حافظة الأمبولات الملقاة أرضًا وعلى مسافة قريبة منها المحقن المعدني بينما (فريد) في غمرات من اليأس توقف عن محاولات التنفس الصناعي، وغمغم في شحوب:

- أعتقد أن الأوان قد فات.

التفتت إليه (فاتن) بإصرار مشفق:

- لا.. هذا لن يحدث.

ناولته الحافظة وأملت عليه النسب، سحب السائل من الزجاجات وحقنها في عنق (ريم)، رنت الأبصار والأفئدة صوب الفتاة المسجاة أرضًا بلا حراك، أطبقت (فاتن) شفتيها وبنَت جدارًا من الصمت حول حقيقة إذا ما عرفها (فريد) دون أن يكتب لهذه الفتاة أن تعيش، فلن تزيده سوى شقاءً، لحظات من الصمت المدوي مرت كساعة، تأرجح يقين (فاتن) تجاه التحصن بالصمت وعدم البوح بحقيقة الفتاة لما بدا أنها لن تنجو، حين تحركت أنامل الفتاة قبل أن تشهق بغتة ثم راحت ترتجف، انسحب احتقان وجهها تدريجيًا وانفرجت أهدابها في وهن تُفصح عن أعين محتقنة وغائمة لكنها لم تفقد بريق الحياة بعد.

لفظت (فاتن) كل ما يعتل به صدرها، جلست أرضًاوارتكنت على الحائط.. الآن فقط يمكن أن تخبره:

- دكتور (فريد).. ذلك اليوم الذي اختطفوا فيه ابنتك، لقد استبدلوها داخل السيارة.. تركو لك نسختها، واحتفظوا بابنتك.. كانوا يريدون أن

تعيش النسخة في وسط اجتماعي مماثل حتى تتعافى نفسيًا وجسمانيًا ضمانًا لنجاح عملية الاستنساخ، بينما كانوا يحاولون هنا مع ابنتك إكمال المعادلة.

كمن تلقى صاعة برق خطفت بصره وعقله، ظل يحدق في وجه (فاتن) يفتش في قسمات وجهها عن حقيقة كلمات ضربت يقينه حتى فتته، عندما غرق في الحزن غابت عنه الحقائق، ومضت في فضاء مخيلته عشرات المشاهد في ضوء تلك الحقيقة .

تعلّق بصره بـ (ليلى)، اجهشت بالبكاء فوق صدر(ريم)، تهمس لها بصوت واهن:

- تعجبت من استمرار رسائلك المستغيثة في أحلامي حتى بعد موتك!. كنتِ أنتِ طوال الوقت يا حبيبتي!

انتبه (فريد) أن دموعه أيضًا تتقاطر أنهارًا، بينما يديه تقبض على أنامل ابنته، كان شعوره خارج نطاق الوعي والزمان، هنالك كانت لحظة.. شعر فيها أنها الأولى له في الحياة.

(فاتن) ظلت ترتكن على الجدار بظهرها ورأسها، أسبلت جفنيها واعتلت شفتيها ابتسامة حانية، تصاعد من حقيبتها (الهيرشل) صوت رنين إنذار ينبعث من هاتفها اللوحي يُشي بحلول ميعاد صدور البيان الخاص بها، أخرجت الهاتف، حاولت من جديد فتح (فيديو) عزيز، نظرت في أسى لشاشته تعرض (فيديو) مغلقًا يتصدره فراغ لكلمة سر من أربعة أحرف .. انتبهت إلى (فريد) يمد يده إليها، لم تفهم في البداية مأربه غير أن يده توجهت صوب الهاتف، ناولته له في تعجب، شيء ما في بريق عينيه الدامعتين كان يشي بالكثير، راقبته عن كثب وهو يفتح لوحة الأحرف، وراح يكتب كلمة السر (reem)، دار سهم التحميل لحظة ثم سطع المشهد الأول من (الفيديو) ينتظر التشغيل، تبسم وأعاد الهاتف إليها هامسًا :

- ها هو توثيق بيانِك.. ريم ابنتي.. هي (الرمز السابع) الذي تركه

(عزيز)، قابلها هنا، أحبها وأحب اسمها.

***

الفصل الثامن والعشرون

راحت سُمرة الليل تذوب في حواشِ الآفاق حين أطلت الشمس وسط بحيرة شفق دامية وأرسلت خيوطها الذهبية لتخترق غبارًا كثيفًا يُخيم فوق منطقة التحرير ومجلس الشعب راح ينقشع تدريجيًا؛ ليتجلى ركام المبنى الرئيسي لمجلس النواب توجل له القلوب والأبصار، وعبر البوابة الخارجية بزغت الأجساد المتحاملة على بعضها البعض، مشعثين مغبرين متماثلي الهيئة والملامح والأعمار والألقاب والطبقات، أجساد مترنحة لم تستوعب ما حدث بعد، يهرول إليهم العديد من المسعفين، تحامل مصابٌ مغبرًا على آخر حتى تسلمه أحد المسعفين، وسأل المغبر الذي لم يكن سوى العميد (فوزي) إذا ما كان بحاجة لعناية طبية، رفع (فوزي) يده شاكرًا ثم مضى في خُطى وئيدة مترنحة يتطلع لوجوه كالحة مغبرة وهو أحدهم، مسح شعره ووجهه فتساقط غبار كثيف، انسحب الطنين في أذنه تدريجيًا واستعاد اتزانه فخفق قلبه في لوعة على ابنه، أخرج هاتفه فكان محطمًا كجثة هامدة، حث الخُطى إلى الشارع الرئيسي حيث فوضى عارمة اجتاحت الشوارع وسط تدفق سيارات المطافئ والشرطة ومزيدٍ من سيارات الإسعاف، ودار ببصره وفي قلبه لوعة (أين أنتَ يابني) سار في تخبط صوب سلم خارجي لإحدى البنايات، صعد بضع درجاتٍ ثم وقف يدور ببصره في الأفق، يتلفت كلما بلغ مسامعه هدير يشبه صوت دراجة نارية، دقائق وتهاوى بجسد نصف محطم فوق الدَرَج واحتوى رأسه بين كفيه بلا حيلة دقائق لم يحصها قبل أن يتناهى إلى مسامعه أزيز دراجة نارية يتصاعد مقتربًا ثم توقف غير بعيدٍ، رفع رأسه بقلب خافق، كانت (ريناد) تترجل من فوق الدراجة قبل أن يترجل (جمال) بدوره، تفجر قلبه بالشوق والقلق بادٍ في عينيه، توقف (جمال) لحظة أمام الدرج ثم تبسم وخفض رأسه وصعد درجات السلم يرصدها بعينيه، جلس جوار والده

ورنا ببصرهما للأفق وانفرجت شفتاه:

- أرى أنك ورطت نفسك في المتاعب أيضًا.

أعقب قوله بالالتفات لوالده، نظرة حانية دارت بينهما قبل أن يندفع (فوزي) يحتضنه وراح يطرق ظهره بقوة عدة مرات قائلًا:

- أيها العنيد الصغير.. أيها العنيد الصغير، سوف أخبر أمك بما اقترفت ولسوف يكون عقابها لك شديدًا.

ثم أضاف: بل لكلينا.

ضحكا بأعين كستها طبقة لامعة من الدموع، تطلّع (فوزي) لوجه (جمال) في عتاب مازجه فخرًا، حين انتبه لجرح ذراعه، فوجم وعاونه على النهوض قائلًا:

- دعنا نجد لك مسعفًا.

نزلا إلى حيث تقف (ريناد) جوار الدراجة وقد انتشرت الجروح والكدمات في جسدها، فأضاف (فوزي):

- نجد لكليكما.

ساروا متجاورين قبل أن يعقب (جمال) وهو يشير إلى (ريناد):

- أبي إنها (ريناد)، لم تسنح الفرصة لأعرفك عليها، زميلتي في الجامعة ولسوف.. أعتقد.. أنت تعلم بالطبع.

- لا بأس أيها الشقي، فلنتحدث عن هذا لاحقًا.

قنع بالصمت حتى وصلوا إلى سيارة إسعاف وسط حشود قلت كثافتها غير أن العشرات منهم توقفوا في أماكنهم يحدقون لشاشات هواتفهم بشغفٍ على نحو أثار انتباه (فوزي)، ترك المسعف يضمد جراح (جمال) و(ريناد) وخطا صوب أقرب الشباب وتسأل عما يثير انتباههم فأجابه:

- إنها (فاتن نجيب عبد الحافظ) كتبت منذ قليل أنها خلال لحظات سوف تدلي ببيانها المقرر من قبل لكن على نحو مدوٍ.

نبتت ابتسامة على وجه (فوزي) وتحدث همسًا:

- لقد نجوا!

التفت للشاب فوجده عاد ببصره إلى شاشة هاتفه حيث قناة مباشرة على العديد من المواقع يتصدرها عداد تنازليٌ لإذاعة البيان خلال دقيقة واحدة، تلفت (فوزي) حوله، القليل فقط من ينتبه لإذاعة ذلك البيان، يجب أن ينتبه الكل، أشار إلى (جمال) وركض هاتفًا له:

- ابقوا هنا سأعود إليكم.

هرول مبتعدًا دون انتظار تعقيبٍ، توجه إلى حيث محال أجهزة إلكترونية ضخمًا، اقترب من الباب وتفحص القفل فدنا منه رجل في تساؤل، عرف منه (فوزي) أنه صاحب المتجر خشي من سرقته وانتصب أمامه يحيمه، فأخبره:

- أريد عرض بيانٍ مهمٌ يخص تلك الأحداث أنه مهمٌ للغاية و...

قاطعه الرجل وهو يرفع هاتفه:

- هل تقصد بيان (فاتن نجيب)!؟

تبسم فوزي:

- بالضبط، أريد عرضه على الشاشة الكبرى أعلى متجرك.

أشار لشاشة ضخمة للغاية وضعها صاحب المتجر أعلاه؛ لتجميع الحشود في أوقات المباريات كدعاية للمتجر، استجاب الرجل على الفور، فتح الأقفال، رفع الباب، حث الخطى إلى جهاز تحكم الشاشة، وقام بتوصيل هاتفه المتصل (بالإنترنت) وقام بتشغيل الشاشة فسطعت بضوءٍ أعقبه صوت سماعتها الهادر أثار انتباه الجميع فتركوا هواتفهم وتوجهوا في خُطا وئيدة وتجمهروا أسفل الشاشة شارعة

أعناقهم، حين بدأ التسجل بوجه (فاتن) مرهقًا يعتلي وجنتيها إصابة دامية، ومن خلفها معمل مهشم، حاولت التبسم حين بدا عليها الألم، تنحنحت ثم تحدثت:

- إلى الجميع.. لكل من انتظر بياني بشغفٍ، أنا أيضًا أتطلع إليكم بشغف، لقد مر ثلاث سنوات على آخر ظهور لي أمامكم، كانت أوقات عصيبة وفتن كقطع الليل المظلم، لكن الله وفقنا إلى سبيل الحق، اليوم أيضًا كان يومًا عصيبًا، خضنا فيه صراعات لا حصر لها حتى ألقي عليكم بيانًا انتظرتموه منذ بضعة أيام خلت لمجرد أنني أنا من سيلقيه، لذا كان حقًا عليَّ أن أتيقن من كل حرف سأتلوه عليكم.

ظهر في التصوير تدفق لأفراد شرطة من قسم مدينة نصر، اقتحموا المعمل وبرز خلفهم النقيب (مصطفى) بصحبة (هاشم) لواء تأمين المطار، تبسم (فوزي) وغمغم بعبارت العرفان لذلك الشاب، شرع الضباط في التقدم صوب (فاتن)، حين أشار لهم اللواء بالتوقف قائلًا:

- اتركوها تكمل من فضلكم.

تراجعوا وتركوا لـ (فاتن) فرصة إكمال البيان، استعادت (فاتن) تركيز شتته دخول الضباط ثم ملأت رئتيها بشهيق العرفان وأكملت:

- جميعكم سمع بيان التحالف الدولي للإلحاد حول تمكنه- خداعًا- من خلق خلية عصبية من الصفر، ثم علمنا ما قام به من دفع المناصرين له إلى أعمال عنف وإرهاب غرضها الضغط على الحكومات للانضمام للتحالف، لذا كان قرارًا صائبًا بسقوطه كمنظمة دولية ومعاقبة المسؤولين فيه دوليًا، لكن حقيقة هناك عدو رئيسي يدعى أخوية (كتشينر)، قديمًا جدًا، مستتر في الظلام، رأس أفعى ومدبر، والأدهى أن مسؤول الأخوية في بلادنا كان بيننا هنا يتقلد منصبًا رفيعًا، تمكن من استغلال الجميع وكنت سأكون منهم لولا تدخُّل رجل أدين له بالعرفان. والآن لن أجد أبلغ من (فيديو) تم تسريبه من داخل اجتماع أخوية كتشينر بمعرفة جراح رمد انصهر حب الخالق في قلبه تبدل

المشهد وظهر تصوير مهتز لوجه (عزيز) يتحدث همسًا:

- هذا الفيديو لتذكيري بأمور سيتم محوها من ذاكرتي قريبًا، لقد تم استدعائي من شركة (فيس فيرسا) ذراع أخوية كتشينر الطبي، للمساهمة في تخليق عين بشرية من جين غريب يدعى (باكس12 (أخفوا عنا مصدره، علمت أن المعادلة مستقاة من فتاة موهوبة، تقابلت معها في معملهم قبل سفري، وافقت وطلبت مقابل عملي معهم الحصول على نموذج لتلك العين لمنحها لحفيدي، وافقوا على طلبات جميع الأطباء، وكان شرطهم الموافقة على حقننا بعقار يدمر خلايا الذاكرة خلال فترة عملنا هنا، وافقنا جميعًا وحصلنا على المقابل كما وعدونا، لكن خلال العمل هنا لثلاثة أشهر كاملة أكتشفت أنهم لم يتوصلوا بعد للطاقة التي تدفع الخلايا للعمل، بالإضافة إلى اخفائهم أمر ذلك الجين وادعاء خلقهم للعين تطوريًا من الصفر، خدعة خبيثة غرضها خداع العالم وحشد مناصرون لهدم الديانات ونشر الانحلال، وقتها قررت ..

صدر صوت طرقات على الباب، اهتزت (الكاميرا) ثم ظهرت الغرفة أمام (عزيز) وبدا أنه الصق (الكاميرا) بموضع زر معطفه الأبيض ثم دخل الغرفة رجل يحمل مجلدات وقلادة حورس ووضعها أمام (عزيز) على المكتب قائلا:

- لقد تمت الموافقة على شحن مشترياتك تلك دكتور (عزيز)، ستصلك خلال أيام، الآن استعد للاجتماع الختامي.

ثم تركه وانصرف، نهض (عزيز) وراح يتفحص المجلدات ثم خطا صوب باب الغرفة وفتحه وسار عبر رواق وهو يهمس (للكاميرا):

- اليوم هو المؤتمر الختامي، وسيتم حقننا بعده، تلكالأغراض سوف أرسلها لمنزل ابنتي، اخترتها بعناية حتى لا تثير شكوكهم وبالفعل تفحصوها ولم يتوصلوا لما بها من تلميحات ستجعلني أقف على عناصر الخدعة حتى بعد محو ذاكرتي، وأعلم بوجود هذا (الفيديو) بعد تهريبه

بطريقة مبتكرة داخل جينات العين التى سيمنحونني إياها.

توقف (عزيز) عن الكلام حين دخل غرفة متسعة يجلس وسطها بضعة رجال بمعاطف بيضاء حول طاولة مستطيلة، وأشخاص بسترات رسمية يقف أحدهم أمام شاشة عرض:

- اجلس دكتور عزيز.. لا يُخفَ عليكم أنه أثناء محاولتنا تخليق خلية حية من الصفر عجزنا تمامًا عن ذلك، فقمنا بإحضار جينات منزوعة من خلايا متحجرة موجودة من الأساس كانت بحوزتنا منذ العثور عليها بمعرفة مؤسس هذه الأخوية اللود (كتشينر)، وبعد مجهود مضنٍ لسنوات، لم تعمل تلك الخلايا أيضًا، حيث اكتشفنا أن الخلق والمخلوقات قائمة على المادة والطاقة، ينقصها ما يدفعها للعمل، ينقصها طاقة مجهولة.. معتمة، وهو ما عجزنا عن فهمه، لذا وحفاظًا على كياننا قمنا هنا في شركة فيرسا والممولة من أخوية (كتشينر)، بطرح تلك العين للعالم باعتبارها مخلوقة ابتداءً من لا شيء بتطور دارويني حديث ومُسرع، إلى حين الوصول لسر الطاقة المعتمة، ثم تناقشنا حول طريقة إعلان ذلك، بحثنا جميع الطرق وكان الاحتمال الوحيد لعلو الأخوية بسرعة قياسية مدوية هو بتسلق أنقاض كيان آخر شهير وسط مشاهدات عالمية، ووقع اختيارنا على التحالف الدولي للإلحاد.

أشار الرجل لبضع أطباء كان (عزيز) وسطهم:

- طاقم الأطباء.. وفقًا للاتفاقية سيتم حقنكم بعقار يدمر بروتينات الذاكرة الخاصة بفترة عملكم معنا وستحصلون على ما وعدناكم به.

ثم أشار لعدة أشخاص بسترات رسمية يتقلدون جميعًا مناصب في بلدانهم، يجلس وسطهم مدير هيئة نارس المصرية (عبد القادر) وأكمل:

- طاقم المشرفين.. استعدوا لتنفيذ الترتيبات. الاستهداف سيكون للدول الرائدة ذات النزعة الدينية، حيث سقوطهم سيكون مدويًا وله

تابعية للعديد من الدول الأخرى....

انقطع التسجيل عند هذا الحد واحتل السواد الشاشات، حين عاد وجه (فاتن) متشحًا بالأسى قائلةً:

- حقيقةً لا أريد أن أحمل المسؤولية لهؤلاء الذين انساقوا مع الأكاذيب، الخدعة كانت محكمة على نحو قاسٍ، حتى كدت أن أركن إليها بدوري وأنجرف في تيارها.. إنكم عصب المجتمع، وجودكم وأفكاركم هي بادرة أمل.. جانب مشرق لضخ دماء جديدة تسعى للبحث عن الحقيقة في مجتمع جَمُدت الدماء في عروقهِ، مجتمع أصبح مرتبكًا أمام فوضى التنازع على الرغبات، والركون غير المتبصر إلى الموروث.. لقد عجز الجميع عن تقديم نموذج عملي للحضارة المبنية على الإيمان، بل الاكتفاء باجترار الماضي المشرق لحضارة شيدها أسلافنا، فتخلفنا عن تطوير الخطاب الإيماني وقصرنا في بناء قواعد للبحث العلمي القائم على الإيمان بالله، ونسينا أن العلم والإيمان طريقان يرويان نفس القصة، يجب أن لا نتسرع في الحكم على هؤلاء الشباب ولنكف عن فتح النار في وجوههم فمعظمهم ليسوا ملحدين بقدر ما هم باحثين عن الحقيقة، فلتتشابك الأيدي والأذرع والقلوب ولنرفع وجوهنا للسماء، حيث يتصاعد الشعاع المشترك الذي تتوحد عنده الديانات، حيث الخالق عز وجل.. أليس بغريب أن نضعه في إطار دنيوي، ونسينا أنه لا يجوز إخضاع الخالق.. لمقاييس قام هو بخلقها!؟

أظلمت الشاشة على ابتسامة (فاتن) الحانية، تصلبت أعين الآلاف أمام شاشات هواتفهم بينما المئات وقفوا أمام شاشة العرض قرب مجلس النواب المتهدم، مختلجة قلوبهم، يسودهم صمتًا مطبقًا، وعلى وجوههم المغبرة لاحت نظرة وجوم، لم يجد أحد مايقوله، فقط اقشعرت الأجساد واختلجت القلوب.

تذكر أنك حملت رواية الرمز السابع حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة

والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

***

الخاتمة

قد نحيا حياة كاملة في حلم يقظة قصير الأجل، نخالها طويلة قبل أن يطرق الوعي مغلق الأجفان، فتفتح عينيك على واقعٍ يثير حزنًا وأسى أصاب (فاتن) داخل شقتها بحي الزمالك حيث جلست خلف مكتب والدها، ألقت نظرة على ساعة فوق المكتب أشارت عقاربها للسادسة مساءً، فركت جفنيها في سهادٍ ثم أمسكت بتهاون طرف خطاب يعتليه شعار وكالة (ناسا الأمريكية لعلوم الفضاء) حيث قاموا باستبعادها، تبسمت ابتسامة هازئة، وضعته فوق ملف أزرق يحتوي خطاب الأخوية المكلفة به والقتهما في سلة مهملات جوار المكتب، ومعهما كل ما تحمله من ألمٍ وضيقٍ، شعرت بعدها بأحمال انزاحت عن كاهلها.

تخللت أصابعها شعرها المنسدل وشردت تجتر ذكرياتاعتلت لها على شفتيها ابتسامة شوق وحنين بثت إليها السكون في العروق حتى هدأت جوارحها واطمأنت بها، قبل أن يبدد أخيلتها المنسجمة طرقات على باب شقتها، انتزعتها من غفوتها، تعجبت لحظةً ثم نهضت وفتحت جزءًا من الباب بعد أن تم كبحه بسلسله المزلاج، تفحصت الواقف خلف الباب لحظات، حلة رسمية ووجه حليق متبسم لا تذكر أنها رأته من قبل:

- مندوب من الرئاسة، هل يمكنني الدخول؟

بدهشةٍ أعادت إغلاق الباب وأزالت السلسلة ثم فتحته، أعاد الرجل تعريف نفسه، أشارت له بالدخول فجلس على أقرب مقعد في أريحية، جلست غير بعيدة تنازعتها الأفكار وقالت:

- هل نحن مدانون بشيء!؟

تبسم الرجل وقال:

- لقد توافقت أقوالك أنتِ ودكتور (فريد)، مع أقوال العميد (فوزي) والنقيب (مصطفى) واللواء (هاشم)، أعمالكم أسقطت كيانًا خبيثًا، وأطاحت بآخر كان على وشك أن يطل علينا برأسه القذر، كشفتم جاسوسًا يتقلد منصبًا كبيرًا لدينا، أنقذتم النواب من انفجار ضخم، أنقذتم مائة خمسة وأربعين راكبًا داخل طائرة كادت تتحطم فوق مهبط مطارنا الدولي، كشفتم مقرًا سريًا ذا أجهزة طبية غاية في التطور، أعدتم تصحيح مسار عقول شباب سقطوا فريسة الغدر والمؤامرة.

قلب كفيه في استنكار أضاف:

- كيف يمكن إدانتكم بعد كل هذا!؟

تبسمت (فاتن) في فتور أومأت برأسها في امتنان وقالت:

- أعتقد أن تلك النتائج أغضبت العديد من الجهات.

- نعلم ذلك، ونعلم بشأن إقصائك من (ناسا) بخطاب منهم وصلك منذ ساعتين.

لم ينتظر منها تعليقًا، أخرج من جيب سترته الداخلي مظروفًا صغيرًا أنيقًا مزينًا بشعار رئاسة الجمهورية ومد يده إليها معقبًا:

- إنه ترشيح رئاسي لشغل منصب رئيس الهيئة المصرية لعلوم الفضاء(نارس).

تملكتها الدهشة وتطلعت للخطاب الممتد إليها:

- هل أمسكتم بذلك اللعين عبد القادر؟!

- للأسف تمكن من الفرار، لكن بعد أن تم درج اسمه ضمن قائمة

المطلوبين دوليًا، سيظل مطاردًا إلى أن يسقط يومًا.

قنعت (فاتن) بإيماءة من رأسها قبل أن يستجدي تركيزها قائلًا:

- دكتورة فاتن، هل سترفضين الترشيح أو ما شابه!؟

تبسمت ونظرت إلى الرجل:

- وهل لدي الاختيار لأرفض؟!

- جميعنا لدينا الاختيار لكن صدقيني.. إنهم يريدونكِ بشدةٍ.

شردت لحظة تتجاذبها الأفكار زمت على شفتيها وقالت بتردد:

- سيعد جنون رفض منصب كهذا، لكن...

سحبت من يده الخطاب بيمينها وضربت به راحة يسارها مرتين وأضافت:

- سأفكر!

تبسم الرجل ونهض دون تعقيب، فتح باب الشقة وقبل أن يغادر التفت إليها:

- دكتورة.. ننتظرك لتلاوة القسَم.

غادر وأغلق الباب خلفه تاركًا إياها على وقفتها شاردةيتأرجح يقينها ويتماوج أفق مخيلتها بين حنين الماضي ومفاتن الحاضر.. وآمال المستقبل.

***

بعد أسبوع

مستشفى الرمد الدولي

راح العميد (فوزي) ينفث دخان سيجارته في الهواء وقدبدا الترقب في عينين قلقتين راحت تتقلب بين (نهلة) ابنة (عزيز) تقف غير بعيدة

تعتريها اللهفة أمام زجاج غرفة بالمستشفى وبين طفلها يجلس فوق سرير طبي بينما الجراح جواره ينتهي من إزالة أربطة سميكة تحيط رأسه وعينيه، ثم قام بعدة اختبارات ضوئية وحسية، تفحص عينيه بعدسة مكبرة، أومأ برأسه في امتنان ثم ألقى ببعض التعليمات لمساعده وغادر الغرفة فاستقبلته (نهلة) في لهفة وتساؤل، فجاوبها:

- اطمئني سيدة نهلة نجحت عملية الزرع.

شرعت نهلة تفتح باب الغرفة لكن الطبيب أوقفها مكملًا:

- سيحتاج أولًا لبعض الفحوصات، دقائق ويمكنك الدخول.

توقفت (نهلة) تلتهم طفلها بأعينها من خلف الزجاج بينما تحدث الطبيب مع (فوزي) مطمئنًا:

- هل تعلم أنه حتى يومنا هذا ذلك الطفل هو سادس شخص يقوم بزراعة عين حقيقية كاملة!؟.. كان الأمر أصعب مما تخيلنا.

- هذه السيدة فقدت زوجها ووالدها، كان يجب تعويضها مهما تكبد الأمر من مشقة.

أومأ الطبيب برأسه موافقًا:

- تقنية صناعة تلك العين مذهلة وقريبًا سيتم تعميمها للعالم أجمع والفضل يرجع لجد ذلك الطفل، حقًا كان يجب تحقيق رغبته في رد بصر حفيده.

فتح معاون الطبيب الغرفة وخرج، أشار للطبيب فأومأ له موافقًا، فالتفت إلى (نهلة) وقال:

- الآن سيدة نهلة يمكنك الدخول لطفلك لكن كوني حذرة فمازال مشوشًا.

لم تسمع نهلة باقي العبارة، كانت بالفعل داخل الغرفة وبعد خطوتين تملكتها رهبة وتباطأت قليلًا؛ إن طفلها ينظر إليها مباشرةً وعلى وجهه

ابتسامة مرتبكة شاحبة، بخُطى وئيدة بلغت مرقد صغيرها مدت أنامل مرتجفةً صوب وجهه فأمسك الصغير راحتها وهمس لها:

- أمي!

هنالك انكبت نحوه بكل جوارحها.. احتضنته، احتوته، أطبقت جفنيها، وسالت دموع سعادتها مقترنة بدموع حزن على ما فقدت. ومن خلف زجاج الغرفة وقف (فوزي) يراقب المشهد في تأثر، حين انتبه لوقع أقدام تقترب منه، التفت متبسمًا لرؤية (ليلى) و(فريد) ووسطهم تقبض (ريم) على راحتيهما وتتقافز في مشيتها.

صافحهما ثم انحنى إلى (ريم) وداعب وجنتيها فضحكت وكورت خدها في مرح، فقال لها:

- إنكِ تستحقين كل الجلبة التي حدثت من أجلك يا حلوتي الصغيرة.

نهض وأشار إلى خلف زجاج الغرفة:

- لقد تم الأمر ونجحت العملية.

تبسم (فريد) ممتنًا:

- أشكرك لتمكنك من إخراج العين من دائرة الأحراز.

طفت في عيني (فوزي) نظرة دهشة واستنكار مصطنعة:

- أي عين تلك التي تتحدث عنها!؟

ضحك (فريد) وأشاح بوجهه صوب (نهلة) وراح في تأمُل طويل تتماوج في مخيلته الأحداث من بدايتها، رجل أراد لحفيده رؤية نور الدنيا، غير أنه ضحى بضياع ذلك من أجل هدف أسمى، تحدى أعتى منظمات العالم، لإنقاذ العالم من براثن المكر والخديعة، فسخر الله له آخرون لتحقيق مأربه.. همس (فريد) بعينين مركزتين إلى حفيد (عزيز):

- مَن يصدّق أن (عزيز) هو من أرسل لنفسه كل تلك الدلالات العبقرية.

بلغ مسامعهما صوت يسأل أحدَ الممرضين عن غرفة الصغير فعطفوا رؤوسهم نحوه فإذ به (جمال) بصحبته (ريناد) يغطي ذراعه المصابة ضمادات طبية، بينما جزء من جبين (ريناد) مغطى بشاش طبي، راقبتهم الأعين حتى وصلا إليهم، تساءل(جمال):

- هل نجحت عملية الزرع ؟

ظل (فوزي) واجمًا وهو يجيب:

- نعم نجحت، لكن لماذا أنت ليس في محاضراتك؟ ألم تعاهدني ووالدتك أن تنتبه لدراستك؟

اتسعت أعين (جمال) في إشارة تنبيه على وجود (ريناد)، كبح (فوزي) غضبه وحيا (ريناد) وقال لها:

- يجب أن تتعاونا في دراستكما يا بنيتي، إن هذا الولد طائش يحتاج دائمًا لمَن يعيد ضبطه.

افتعل (جمال) الضحك:

- والدي يحب المزاح دائمًا.

ثم أشار إلى (ريناد):

- دعينا ندخل ونشارك هذه السيدة فرحتها.

دخل كلاهما الغرفة بمرح وطاقة إيجابية أشاعوها في الغرفة تجلت من خلف الزجاج بالخارج راقبهما (فوزي)، لم تكن (نهلة) رأتهم من قبل لكن دخولهما بتلك السعادة الغامرة بث في روحها عدوى السعادة فنهضت وصافحتهم وتركتهم يقبلون طفلها، راحت (ريناد) تلهو مع الطفل، تجاوب معها وراح يضحك بصوت مرتفع على نحو ارتجف له قلب (نهلة) طربًا.

تبسم (فوزي) بالخارج فقال له (فريد):

- ترفق به يا فوزي إنه شاب يافع شديد الذكاء ينتظره مستقبلًا مبهرًا.

تنهد (فوزي) فى حيرة:

- هذا ما يقلقني يا فريد، أن إيقاعهم شديد السرعة حتى إننى ألهث في ملاحقة عقليته، وكما رأيت، بحثه عن الحقيقة دفع أحدهم لاستغلاله على نحو كاد أن يهلك معه.

- لكن أثناء بحثه كان عقله يعمل، لم يتوقف، أدرك الخدعة بنفسه.

زم (فوزي) على شفتيه وتنهد يفرغ صدره من القلق ثم عطف نظره صوب (ريم) تمسك بيد (ليلى) وقال لـ(فريد):

- أنت خير من يعلم أن ابنائنا هم فلذة أكبادنا، وأن قسوة الدنيا لتذوب حسرة على قبلة حانية يطبعها الأبناء على وجنتين الوالدين.

تبسم فريد:

- أصبت، لذا...

حمل (ريم) وأكمل:

- سوف أقضِ باقي اليوم مع عائلتى بعيدًا عن كل ما يعكر صفونا.

- تستحق ذلك بعد ما مررت به.

تدخلت (ريم) على نحو مباغت وأشارت لوالديها:

- هل ستبقيا كلاكما معي!؟

صمت الجميع في دهشة فجاءت الإجابة من (فوزي):

- نعم يا محبوبة سيبقيا كلاهما معكِ.. رغمًا عنهما.

صمت الجميع في دهشة فجاءت الإجابة من (فوزي):

- نعم يا محبوبة سيبقيا كلاهما معكِ.. رغمًا عنهما.

نظرة تأكيد خاطفة سرت بين (فريد) و(ليلى)، أشرق لها وجه (فريد) دون تعقيب، ثم انفرجت شفتيه:

- أراكَ قريبًا عميد (فوزي)، لكن رجاءً.. لا تتصل بي مرة آخرى فى الرابعة فجرًا.

ضحك (فوزي) دون تعقيب، حيته (ليلى) ثم انصرفا، راقبهم (فوزي) يسيرا متجاورين عبر ممر المستشفى ثم عاد يرنو ببصره عبر زجاج غرفة الرعاية حيث (جمال) و(ريناد) ينتزعان ضحكات مجلجة من الطفل ووالدته بمداعبات مرحة لم يسمع منها شيئًا، شرد وسبحت في عقله عبارة عفوية تفوه بها منذ قليل: (إن قسوة الدنيا لتذوب حسرة من قبلة حانية يطبعها الأبناء على وجنتي الوالدين) تصاعدت العبارة في أفق مخيلته، ثم تموجت وراحت تتبخر تدريجيًا.

***

اندفعت سيارة (فريد) (الجيب) يقودها عبر طريق سريع وجواره (ليلى) حين طبعت (ريم) قُبلة حانية على وجنته وأعقبتها بواحدة على وجنة والدتها، ثم عادت تغوص داخل المقعد الخلفي للسيارة، ورنت ببصرها عبر النافذة الجانبية صوب صحراء مترامية زحفت زوائب الليل على ترابها، شردت عيناها طويلًا حتى ثقل جفناها وانسحبت إلى عالم الأحلام المخدرة وانتظمت أنفاسها، تطلع إليها (فريد) عبر مرآة السيارة الأمامية، انفطر ثغره بابتسامة حانية، سأل (ليلى) وعيناه مثبتتين إلى الطريق:

- مضى ساعة تقريبًا خارج حدود القاهرة وأنا أقود السيارة، ألم تخبريني عن سبب قصدنا ذلك المكان!؟

عطفت (ليلى) رأسها تتثبت من غفوة (ريم)، ثم عادت تستقر في مقعدها، ترددت لحظة، ثم انفرجت شفتاها هامسة:

- فريد، أريد أن أخبرك أمرًا .

سادت لحظة صمت استحضرت خلالها الكلمات المناسبة ثم أكملت:

- عندما كنت هناك في عقل (ريم)، عاونتها على مواجهة أسوأ مخاوفها فانسحب الخوف من أوصالها وغمر قلبها الاطمئنان والحب، وقتها.. أكملت معزوفتها.

استبدت بـ(فريد) دهشة مازجها قلق، واختلس نظرة تيقن وعتاب قبل أن يعاود النظر للطريق، حين أخرجت (ليلى) من حقيبتها ورقة مطوية، فضتها فكانت ورقة كبيرة تراصت فوقها رموز وصيغ:

- كما فعلت أنت ودكتور (صبحي) - رحمه الله- ، قمت بتحويل كسور المقطوعة الموسيقية إلى ما يوازيها من رموز وأرقام، حتى اكتمل القطاع الثالث من المعادلة، استنبط معادلة رياضية عسيرة الفهم بالنسبة لي، لكن ما استرعى انتباهي هي مجموعة أرقام متراصة شعرت أنها كيان مستقل، تذكرت عندما رويت لي عن إحداثيات (عزيز) التي اكتشفتموها كانت على نفس النمط وعندما أدخلتها على برنامج الخرائط.

أشارت إلى خارج السيارة واكملت:

- كان هذا المكان .

أشارت وسط المعادلة إلى مجموعة أرقام متراصة:

- هذه هي الأرقام، التي تمثل إحداثيات.

أقرنت قولها بإمالة هاتفها صوب (فريد) حيث يتصدر شاشته موقع خرائط يتوسطه علامة حمراء تشير لموقع الإحداثيات حيث موقعهم الحالي، دقق (فريد) النظر ثم راح يقلل من سرعة السيارة تدريجيًا حتى توقف على جانب طريق يشق صحراء مصر الغربية، ألقى نظرة على صيغ المعادلة، ثم شرع ببصره صوب سماء صافية مرصعة بالنجوم يشقها ذراع المجرة، إحدى ست أذرع تمتد حلزونية من مجرة درب التبانة، تتراصف داخله مليارات النجوم لتصنع ذراعًا حلزونيًا مضيئًا،

حوافه غبار كوني مظلم، مزيج مبهر من الألوان يشق السماء، أمسك (فريد) بورقة المعادلة، ترجل من السيارة وترك أضواءها، صفعته نسمات هواء بداية ليلٍ صافي السماء، بسط الورقة فوق مقدمة السيارة تتقافز عيناه سريعًا فوق الرموز والأرقام، تركته (ليلى) لحظةً ثم سحبت وشاح من حقيبتها ودثرت به ابنتها النائمة في المقعد الخلفي، وترجلت بدورها ووقفت جواره وهو يحصي صيغ المعادلة بصوت مسموع:

- إن أحدَ طرفيّ المعادلة هي تحفيز للكتل السالبة التي واجهناها مع ذلك الأحمق.

مرَّر سبابته وعيناه على تكملة المعادلة في حيرة:

- تكملة المعادلة هي تحفيز لكتلة إيجابية!؟

رفع بصره صوب الجانب الشرقي من الطريق، وأمعن النظر صوبَ سطح بحيرة لامعًا يميل للحُمرة، مزينة بانعكاس النجوم، يترقرق من وسطها ينبوع يفور بالماء من تحت الأرض.

استدار مبهوتًا إلى (ليلى) وهمس لها:

- إنه وادي النطرون التابع لمحافظة البحيرة.. حيث بدأ كل شيء!

زمت (ليلى) على شفتيها، أومأت برأسها وعقبت:

- وهذه هي بحيرة السماء، مياه غنية بأملاح معدنية نادرة تشفي أمراضًا عديدة، وبمعجزة إلهية يفور وسط تلك الملوحة الشديدة ينبوع مياه شديدة العذوبة.

اعتلت الحيرة ملامح (فريد) فعاد للمعادلة، تسري عيناهعلى الأرقام حين أضاءت في أفق مخيلته فكرة أخرج على إثرها هاتفه، فتح تطبيق الآلة الحاسبة وغرق عقله في محيط ثائر من الأرقام، مرت لحظات صمتٍ لا تسمع سوى صفير الهواء البارد، همست (ليلى) بينما عيناها

شاخصتان صوب ذراع المجرة:

- المعتم والمضيء.

اختلست نظرة إلى (فريد) يغذي حاسوب هاتفه بالأرقام وهمست:

- السالب والموجب.

التفتت ببصرها صوب البحيرة وهمست:

- المالح والعذب .

غرض تلك الأخوية والتصدي لها (الشر والخير)، تصدر مخيلتها العين التي لم يتمكنوا من خلقها فتصاعد لعقلها (المادة والطاقة) التفتت إلى ابنتها النائمة داخل السيارة وتذكرت نسختها (الموت والحياة)، الخلق لوحة واحدة تحتوي النقيضين، كل منهما مكملًا للآخر وضروري لوحدة اللوحة، وظهورها كأحد مبادئ وفلسفة خلق الكون، وسر إبداعه المرتكز على الوحدانية، استنشقت نسمات الهواء البكر بينما عينيها تتطلع لنهر النجوم المبهر، حين رفع (فريد) الهاتف أمامه في صمت، خفضت عينيها تطلع لصف ضخم من رموز المعادلة وفى النهاية بعد علامة المحصلة ظهر رقم (واحد)، التفتت إلى (فريد) متبسمة في انبهار وهمست:

- واحد صحيح!

أومأ (فريد) برأسه إيجابًا وهمس لها بدوره:

- من الواحد يخرج الكل.. وإلى الواحد يعود الكل.

جلست (ليلى) فوق مقدمة السيارة وفكرت بصوت خفيض:

لم يتمكن أحد من استكشاف تلك الطاقة الغامضة الهائمة في الكون، القدرة الإلهية، الروح

صعد (فريد) جوارها فوق مقدمة السيارة، مط شفتيه في حيرة:

(إنها داخلنا على أي حال، ما يوجد في الفضاء السحيق،يوجد في أدقّ

تفاصيل أجسادنا، إن رحلة داخل عمق خلايا الجسد البشري توازي رحلةً للفضاء السحيق، نحن أحدُ الأحاد الذي خرج من الواحد الأحد، السر يكمن داخلنا.. كما فوق تحت).

دارت رأس (ليلى) بصخب أفكار أرهقت عقلها، استنشقت الهواء بقوة، أعلنت فراغ جعبتها عند هذا الحد، لاذت بصمتٍ ظاهريٍ وأعين شردت للأفق في لوحة من إبداع الخالق.

حين راحت أعين (فريد) الناعسة تتعمق بين نجومالسديم الكوني الهائل في الأفق بينما عقله يتساءل مستنكرًا:

- كل هذا السحر أتى صدفة!؟

مطَّ شفتيه يُعلِن توقّف تفكيره عن تلك النقطة، ومنخلفهما في المقعد الخلفي للسيارة، كانت (ريم) منفرجة العينين تراقب والديها بابتسامة ناعسة، تدثرت بالوشاح وغاصت أكثر في المقعد وأسبلت جفنيها، بينما ابتسامتها ما زالت عالقة على شفتيها، ابتسامة رضا واطمئنان من بعد خوف، ابتسامة لم يرَها أبويها وهما متجاوران فوق مقدمة السيارة يسودهما صمت السكينة، متحابين، متقاربين، ملتحمين كواحد صحيح، يكملان لوحة قطبي الحياة كما عرفتها الفطرة (رجل وامرأة)، حين هبت نسمة هواء باردة اقشعرت لها الأبدان، وطارت معها ورقة المعادلة وظلت تتصاعد إلى أفق متشح بسواد مرصع بمليارات كواكب ونجوم تنبض بالتسبيح لخالقها.

تمت بفضل الله